

.....

الصحیح
من سيرة النبي الأعظم

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف
الطبعة الأولى
٢٠٠٥ م - ١٤٢٦ هـ. ق

المركز الإسلامي للدراسات

الصحيح
من سيرة النبي الأعظم

العلامة المحقق
السيد جعفر مرتضى العاملي

الجزء السادس عشر

المركز الإسلامي للدراسات

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الثاني

عهد الحديبية.. وقائع وآثار

الفصل الأول: بيعة الرضوان
الفصل الثاني: عهد الحديبية: أحداث وتفاصيل
الفصل الثالث: إدانة البريء
الفصل الرابع: تبرئة المذنب
الفصل الخامس: اللمسات الأخيرة
الفصل السادس: عهد الحديبية.. نتائج وآثار

الفصل الأول:

بيعة الرضوان

حديث البيعة:

قال الصالحى الشامى: لما بلغ رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن عثمان قد قتل، (وقتل معه العشرة الآخرون^(١))، دعا الناس إلى البيعة، وقال: «لا نبرح حتى نناجز القوم».

وأتى رسول الله «صلى الله عليه وآله» منازل بني مازن بن النجار، وقد نزلت في ناحية من الحديبية، فجلس في رحالهم تحت شجرة خضراء، ثم قال: «إن الله تعالى أمرني بالبيعة».

فأقبل الناس يبائعونه حتى تداكوا، فما بقي لبني مازن متاع إلا وطئ، ثم لبسوا السلاح وهو معهم قليل.

وقامت أم عمارة إلى عمود كانت تستظل به، فأخذته بيدها، وشدت

(١) السيرة الحلبية ج ٣ ص ١٦ وتفسير الثعالبي ج ٥ ص ٢٥٥ وشرح أصول الكافي ج ١٢ ص ٤٥٢ وعن فتح الباري ج ٧ ص ٤٩ وتحفة الأحوذى ج ١٠ ص ١٤١ وجامع البيان ج ٢٦ ص ١١١ وتفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٢٠٠ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٧٩ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٩١ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٧٨٠ وعن عيون الأثر ج ٢ ص ١١٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٣١٩.

سكيناً في وسطها.

وروى ابن جرير، وابن أبي حاتم، عن سلمة بن الأكوع، والبيهقي عن عروة، وابن إسحاق عن الزهري، ومحمد بن عمر عن شيوخه، قال سلمة: بينا نحن قائلون إذ نادى منادي رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «أيها الناس البيعة البيعة، نزل روح القدس، فاخرجوا على اسم الله». قال سلمة: «فسرنا إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» وهو تحت شجرة سمرة فبايعناه»^(١).

وفي صحيح مسلم عنه قال: فبايعته أول الناس.. ثم بايع، وبايع، حتى إذا كان في وسط من الناس قال: «بايع يا سلمة». قال: قلت: قد بايعتك يا رسول الله في أول الناس^(٢).

(١) أخرجه البيهقي في الدلائل ج ٤ ص ١٣٦ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٨ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ١٦ و ١٧ وصحيح مسلم ج ٦ ص ٢٥ والمصنف لابن أبي شيبة ج ٨ ص ٥١٢ وكنز العمال ج ١ ص ٣٣٢ وتفسير الميزان ج ١٨ ص ٢٩٢ وزاد المسير ج ٧ ص ١٦٧ وتفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٢٠٥ وتفسير الجلالين ص ٧١٣ والدر المنثور ج ٦ ص ٧٣ ولباب النقول ص ١٧٧ وفتح القدير ج ٥ ص ٥٢ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٧٩ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج ٢ ص ٦٢٢.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٨، أخرجه مسلم في الجهاد ج ٣ ص ١٤٣٤ (١٣٢) وصحيح مسلم ج ٥ ص ١٩٠ ومسند أحمد ج ٤ ص ٥٤، والبيهقي في الدلائل ج ٤ ص ١٣٨ وتاريخ مدينة دمشق ج ٢٢ ص ٩٠ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٧٩.

قال: «ورآني رسول الله «صلى الله عليه وآله» عزلاً، فأعطاني حجة -
أو درقة -.

ثم بايع حتى إذا كان في آخر الناس قال: «ألا تبايعني يا سلمة؟»
قال: قلت: يا رسول الله قد بايعتك في أول الناس، وفي وسط الناس.
قال: «وأيضاً»، فبايعته الثالثة.

ثم قال لي: «يا سلمة أين حجفتك - أو درقتك - التي أعطيتك؟»
قال: قلت: يا رسول الله، لقيني عمي عامر عزلاً فأعطيته إياها.
قال: فضحك رسول الله «صلى الله عليه وآله» وقال: إنك كالذي قال
الأول: اللهم ابغني حبيباً هو أحب إلي من نفسي^(١).
وفي صحيح البخاري عنه قال: بايعت رسول الله «صلى الله عليه وآله»
تحت الشجرة.

قيل: على أي شيء كنتم تبايعون؟
قال: على الموت^(٢).

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٩ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ١٨ ومسند أحمد ج ٤
ص ٤٩ وصحيح مسلم ج ٥ ص ١٩٠ وشرح مسلم للنووي ج ١٢ ص ١٧٥
والجامع الصغير ج ١ ص ٣٨٧ وعن تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٢٠٢.
(٢) أخرجه البخاري (٤١٦٩) والبيهقي ج ٤ ص ١٣٨ وراجع: سبل الهدى والرشاد
ج ٥ ص ٤٩ وج ٩ ص ١١٠ ومناقب آل أبي طالب ج ١ ص ٣٠٣ والبحار ج ٣٨
ص ٢١٨ ومسند أحمد ج ٤ ص ٥٤ وعن صحيح البخاري ج ٤ ص ٨ وعن فتح
الباري ج ١٣ ص ١٧٢ وعن تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٢٠١ والدر المنثور
ج ٦ ص ٧٤ وفتح القدير ج ٥ ص ٥٢.

وروى الطبراني عن عطاء بن أبي رباح قال: قلت لابن عمر: أشهدت بيعة الرضوان مع رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟

قال: نعم.

قلت: فما كان عليه؟

قال: قميص من قطن، وجبة محشوة، ورداء وسيف، ورأيت النعمان بن مقرن المازني قائم على رأسه، قد رفع أغصان الشجرة عن رأسه يبايعونه.

وفي صحيح مسلم، عن جابر قال: بايعنا رسول الله «صلى الله عليه وآله» وعمر آخذ بيده، تحت شجرة - وهي سمرة - فبايعناه غير الجذ بن قيس الأنصاري، اختفى تحت بطن بعيره.

وعند ابن إسحاق، عن جابر بن عبد الله: فكأني أنظر إليه لاصقاً بإبط ناقتة، قد خبا إليها، يستتر بها من الناس. بايعناه على ألا نفرّ، ولم نبايعه على الموت^(١).

وروى الطبراني عن ابن عمر، والبيهقي عن الشعبي، وابن منده عن زر بن حبیش قالوا: لما دعا رسول الله «صلى الله عليه وآله» الناس إلى البيعة كان أول من انتهى إليه أبو سنان الأسدي، فقال: أبسط يدك أبايعك.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «علام تبايعني؟»

قال: على ما في نفسك.

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٩ وج ٩ ص ١١١ أخرجه مسلم ج ٦ ص ٢٦ ومسند أحمد ج ٣ ص ٣٥٥ وشرح مسلم للنووي ج ١٣ ص ٢ وصحيح ابن حبان ج ١٠ ص ٤١٦ والمعجم الكبير ج ٢٠ ص ٢٢٨ وسير أعلام النبلاء ج ٢ ص ٤٨٤.

زاد ابن عمر: فقال النبي: وما في نفسي؟

قال: أضرب بسيفي بين يدك حتى يظهر لك الله أو أقتل. فبايعه، وبايعه الناس على بيعة أبي سنان^(١).

وروى البيهقي عن أنس، وابن إسحاق عن ابن عمر، قال: لما أمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» ببيعة الرضوان كان بعث عثمان رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى أهل مكة، فبايع الناس، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «اللهم إن عثمان في حاجتك وحاجة رسولك، فضرب بإحدى يديه على الأخرى، فكانت يد رسول الله «صلى الله عليه وآله» لعثمان خيراً من أيديهم لأنفسهم^(٢).

وروى البخاري وابن مردويه عن قتادة قال: قلت لسعيد بن المسيب: كم كان الذين شهدوا بيعة الرضوان؟ قال: خمس عشرة مائة.

قلت: فإن جابر بن عبد الله قال: أربع عشرة مائة.

(١) أخرجه ابن أبي شيبة ج ١٤ ص ٨٧ (٦٠٠) وذكره السيوطي في الدر المنثور ج ٦ ص ٧٤ وراجع: سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٥٠ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ١٨ ومجمع الزوائد ج ٦ ص ١٤٦.

(٢) أخرجه الدولابي في الكنى ج ١ ص ١٣٣ والطبراني في الكبير ج ١ ص ٤١ وابن أبي شيبة ج ١٢ ص ٤٦ والحاكم ج ٣ ص ٩٨ وانظر: الدر المنثور ج ٦ ص ٧٤، وراجع: سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٥٠ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ١٧ وسنن الترمذي ج ٥ ص ٢٩٠ وكنز العمال ج ١٣ ص ٦٤ وضعيف سنن الترمذي ص ٤٩٦ وتاريخ مدينة دمشق ج ٣٩ ص ٧٦ وأسد الغابة ج ٣ ص ٣٧٩.

قال: يرحمه الله توهم، هو حدثني أنهم كانوا خمس عشرة مائة^(١).
وروى الشيخان، وابن جرير عن عبد الله بن أبي أوفى قال: كان أصحاب
الشجرة ألفاً وثلاثمائة، وكانت أسلم تُمن المهاجرين^(٢).
أفاد الواقدي: أن أسلم كانت في الحديبية مائة رجل.
وروى سعيد بن منصور والشيخان عن جابر بن عبد الله قال: كنا يوم
الحديبية ألفاً وأربعمائة، فقال لنا رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «أنتم خير
أهل الأرض»^(٣).
وروى الإمام أحمد، وأبو داود، والترمذي عن جابر بن عبد الله،
ومسلم عن أم مبشر: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال: «لا يدخل

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٥٠ و ٥١ عن البخاري ج ٧ ص ٥٠٧ (٤١٥٣)
والسنن الكبرى للبيهقي ج ٥ ص ٢٣٥ وعن فتح الباري ج ٧ ص ٣٤١ وتفسير
القرآن العظيم ج ٤ ص ٢٠٠ والدر المنثور ج ٦ ص ٧٣ وفتح القدير ج ٥ ص ٤٩
وتاريخ خليفة بن خياط ص ٤٩.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٥١ وعن البخاري في المصدر السابق ج ٥ ص ٦٣
(٤١٥٥) ومسلم ج ٣ ص ١٤٨٥ (١٨٥٧/٧٥) وتاريخ الأمم والملوك ج ٢
ص ٢٧١ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٩٥ وعن فتح الباري ج ٧ ص ٤٤٣ والسيرة
النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٣٢٦.

(٣) عن البخاري ج ٧ ص ٥٠٧ (٤١٥٤) وعن مسلم ج ٣ ص ١٤٨٤ (١٨٥٦/٧١)
والسيرة الحلبية ج ٣ ص ١٧ و ١٨ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٥١ وعن فتح
الباري ج ٧ ص ٣٤١ وتفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٢٠٢ والدر المنثور ج ٦
ص ٧٣ وتاريخ مدينة دمشق ج ١١ ص ٢٢٢ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٩٥
والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٣٢٥.

النار أحد بايع تحت الشجرة»^(١).

فلما نظر سهيل بن عمرو، وحويطب بن عبد العزى، ومكرز بن حفص، ومن كان معهم من عيون قريش من سرعة الناس إلى البيعة وتشميرهم إلى الحرب اشتد رعبهم وخوفهم، وأسرعوا إلى القضية^(٢).
ثم أتى رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «أن الذي ذكر من أمر عثمان باطل»^(٣).

أول من بايع:

وقالوا: إن أبا سنان الأسدي أول من بايع..
وقالوا: إن هذا هو الأشهر، وعليه الأكثر^(٤).

(١) راجع: سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٥١ أخرجه أبو داود (٤٦٥٣) والترمذي (٣٨٦٠) وأحمد ٣ ص ٣٥٠ وابن المبارك في الزهد (٤٩٨) وابن سعد ج ٢ ق ١ ص ٧٣ ومسلم في الفضائل باب ٣٧ (١٦٣) والسنن الكبرى للنسائي ج ٦ ص ٤٦٤ والبداية والنهاية ج ٦ ص ٢١١ وج ٧ ص ٣٧٢ ورأس الحسين لابن تيمية ص ٢٠٤.

(٢) راجع: سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٥١ و ٥٢.

(٣) راجع: سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٨ - ٥١ ومكاتب الرسول ج ٣ ص ٨٩ وجامع البيان ج ٢٦ ص ١١٢ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٩١ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج ٢ ص ٦٢١ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٧٨١ وعن عيون الأثر ج ٢ ص ١١٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٣١٩.

(٤) السيرة الحلبية ج ٣ ص ١٨ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٧٥ وكتاب الأوائل ص ٨٢ ومعرفة علوم الحديث ص ١٨٣ وعن الإصابة ج ٣ ص ١٥٧ وج ٧ =

ولكن نصاً آخر يقول: إن أولهم هو ولده سنان بن أبي سنان^(١).
ولعل هذا هو الصحيح، وذلك لأن أبا سنان نفسه قد مات في حصار
بني قريظة، ودفن بمقبرتهم^(٢).
وقيل: أول من بايع هو عبد الله بن عمر^(٣).
وقيل: هو سلمة بن الأكوع^(٤).
ولعل السبب في ظهور هذين القولين هو: أن ابن عمر قد بايع مرتين:
مرة في أول الناس، ومرة في آخر الناس^(٥).
كما أن سلمة بن الأكوع قد بايع ثلاث مرات: مرة في أول الناس، ومرة

= ص ١٥٣ البداية والنهاية ج ٤ ص ١٩١ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣
ص ٣٢٨ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٧٩ والمصنف لابن أبي شيبة ج ٧
ص ٥٦٢.

(١) السيرة الحلبية ج ٣ ص ١٨ والطبقات الكبرى ج ٣ ص ٩٣ وأسد الغابة ج ٥
ص ٢٢١ البداية والنهاية ج ٤ ص ١٩٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣
ص ٣٢٨.

(٢) السيرة الحلبية ج ٣ ص ١٨ والطبقات الكبرى ج ٢ ص ١٠٠ وج ٣ ص ٩٣
والإصابة ج ٧ ص ١٥٥ و ١٦٣ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٥٣ والبدية
والنهاية ج ٤ ص ١٤٥ و ١٩٢ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٧٣٣
وعن عيون الأثر ج ٢ ص ٥٨ و ١٢٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٤٣.
(٣) السيرة الحلبية ج ٣ ص ١٨.

(٤) السيرة الحلبية ج ٣ ص ١٨ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٩ ومسند أحمد ج ٤
ص ٤٩ وتفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٢٠٢.

(٥) السيرة الحلبية ج ٣ ص ١٨.

في وسط الناس، ومرة في آخر الناس^(١).
فظنوا، أن المراد بقوله: بايع أول الناس وآخر الناس: أنه لم يبايع النبي
«صلى الله عليه وآله» أحد قبله.
مع أن المراد: أنه كان في أوائل المبايعين تارة، وفي أواخرهم أخرى.

لماذا تعددت بيعة ابن الأكوع؟!

وقد أثار طلب النبي «صلى الله عليه وآله» من سلمة بن الأكوع أن
يكرر بيعته ثلاث مرات تساؤلاً حول سبب ذلك..
فادّعى البعض: أن ذلك كان فضيلة لسلمة؛ لأنه «صلى الله عليه وآله»
أراد أن يؤكد بيعته لعلمه بشجاعته، وعنايته بالإسلام، وشهرته في الثبات.
بدليل ما وقع له في غزوة ذي قرد، بناء على تقدمها على ما هنا، أو تفرس فيه
«صلى الله عليه وآله» ذلك، بناء على تأخرها^(٢).

ونقول:

١ - قد أشرنا فيما سبق: إلى أن ما يذكرونه عنه في غزوة ذي قرد ظاهر
الفساد، ولا يمكن تأييد صحته..

٢ - ومع غض النظر عن ذلك نقول: لماذا لم تظهر لسلمة هذا أية
مواقف أخرى في سائر المشاهد، بل هو قد فر مع الفارين، وأحجم مع
المحجمين؟! وتلك هي غزوة حنين، وخيبر، وسواهما، شاهد صدق على ما
نقول.

(١) تقدمت المصادر لذلك.

(٢) السيرة الحلبية ج ٣ ص ١٨.

٣- لماذا لا يطلب النبي «صلى الله عليه وآله» تكرار البيعة من جميع من عرفوا بالشجاعة، مثل علي، والمقداد، وأبي دجانة و.. و..؟!

٤- إن الشجاعة لا تناسب طلب تجديد البيعة، بل تناسب إعطاء المناصب، وإطلاق الكلمات المادحة في حق ذلك الشجاع.. أما البيعة فهي أخذ عهد، وإبرام عقد يطلب الوفاء به..

٥- إن تجديد العهود، إنما يكون بهدف تأكيد الإلزام بها، والحمل على الالتزام بالوفاء، وهذا إنما يطلب ممن يظن فيه الغدر، ويتهم بالخيانة وعدم الوفاء..

فليكن طلب البيعة مرة بعد أخرى يهدف إلى التلويح بإمكانية صدور هذه الخيانة منه..

٦- ويمكن تأييد ذلك بما ظهر في نفس ذلك المجلس، حيث يذكرون: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد أعطى سلمة في المرة الثانية دَرَقَةً - أو جَحْفَةً - فما لبث أن أعطاها لغيره، ثم طلب منه البيعة الثالثة فبايعه، فسأله عن جحفته أو درقته التي أعطاه إياها آنفاً، فأخبره أنه أعطاها لعمه عامر^(١). فلم يحتفظ بهذه الدركة سوى هذا الوقت القصير.

مع أن المفروض هو: أن يبقيا عنده، كأعز ذكرى لديه، وأنفس شيء حصل عليه في حياته.

وإذا كان الصحابة يتبركون بفضل وضوء النبي «صلى الله عليه وآله»، وبشعره، وبعصاه، وبكل شيء يرتبط به، فما بال سلمة يزهد بهذه العطية

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٩.

السنية، ويعطيها لسواه، ولا تستقر معه دقائق معدودات؟! ..

ولو أردنا أن نحمل عمله هذا على إرادة الإيثار، وهو عمل سام ونبل، يستحق فاعله التمجيد والتقدير. فإن هذا التوجيه لن يلقى قبولاً لدى أهل الدراية والمعرفة؛ لأنهم سوف يقولون لنا: إنه لا مجال للإيثار في أمور العبادة. وتقديس رسول الله، والتبرك بآثاره «صلى الله عليه وآله» هو من قبيل الصلاة، أو الحج، الذي لا يقبل الإيثار، إذ لا يمكن التخلي عن الصلاة لإيثار الغير بها فيصلي غيره ويترك هو الصلاة..

وقد قال البعض: إن من الممكن أن يكون رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد طلب البيعة أكثر من مرة من سلمة بعد أن أعطاه درقته، من أجل أن يزعم ثقة المشركين الذين هم على رأيه، والدليل على ذلك: أنه لم يحتفظ بالدرقة ولو لوقت قصير لكي لا تكون علامة انسجام بينه وبين النبي «صلى الله عليه وآله»، وقد ضحك رسول الله «صلى الله عليه وآله» ليفهم سلمة أنه - أي الرسول «صلى الله عليه وآله» - عارف بسبب تخلصه من الدرقة.

هل بايعوه على الموت؟!

وقد اختلفوا في بيعة الرضوان، هل كانت على الموت، أو على عدم الفرار..^(١) أو أن المراد واحد، كما ذكره البعض^(٢)؟

(١) راجع: سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٥٠ وفي هامشه عن: صحيح مسلم ج ٣ ص ١٤٨٣ (٢٦٧، ٦٩/١٨٥٦).

(٢) السيرة الحلبية ج ٣ ص ١٧.

ونقول:

إن البيعة على عدم الفرار - سواء أكانت هي نفسها البيعة على الفتح أم الشهادة - خلاف الحكمة والتدبير، وذلك لأنها تتضمن اتهاماً لأصحابه، بأنهم مظنة الفرار، من جهة..

وفيها أيضاً: إيجاء للعدو بأن رسول الله «صلى الله عليه وآله» غير واثق بنصر أصحابه له، وأن عدم الثقة هذا قد بلغ حداً جعله يلجأ إلى أخذ الموائيق والعهود منهم بذلك، من جهة أخرى.

ومن شأن هذا أن يدفع الأعداء إلى أن يطمعوا بالنصر عليه «صلى الله عليه وآله»، وأن يفكروا بأن بذل المزيد من الجهد قد يعطي ثماراً طيبة لهم.. ومما يشهد على ما قلناه:

ما روه: من أن أول من بايع هو سنان بن أبي سنان الأسدي، فقال للنبي «صلى الله عليه وآله»: أبايعك على ما في نفسك.

قال «صلى الله عليه وآله»: وما في نفسي؟!

قال: أضرب بسيفي بين يديك حتى يظهر لك الله أو أقتل، وصار الناس يبايعونه على ما بايعه عليه سنان^(١).

بيعة المنافقين في الحديبية:

قالوا: وقد بايع جميع الناس رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ولم يتخلف منهم أحد إلا الجدل بن قيس.

(١) تقدمت مصادر ذلك.

قال: لكأني أنظر إليه لاصقاً بإبط ناقتة، يستتر بها من الناس.
وقد قيل: إنه كان يرمى بالنفاق. وقد نزل في حقه في غزوة تبوك من
الآيات ما يدل على ذلك.

وكان الجد بن قيس سيد قومه بني سلمة - بكسر اللام - في الجاهلية.
ويقال: إن النبي «صلى الله عليه وآله» سَوَّدَ عليهم بشر بن البراء بن
معرور، وقيل: عمرو بن الجموح. ورجح ابن عبد البر الأول، ورووا شعراً
يؤيد الثاني..

وذكروا: أن سبب ذلك هو: أنه كان يرمى بالبخل^(١).

ونشير هنا إلى أمرين:

الأول: أننا نرى: أن النبي «صلى الله عليه وآله» لا يبادر إلى أمر كهذا
بلا مبرر قوي، لا سيما وأنه يجر عداوات، ويخلق أحقاداً وخصومات،
وينشئ عُقداً تجاهه «صلى الله عليه وآله». ومجرد بخل إنسان ما لا يكفي
مبرراً للإقدام على أمر كهذا.. إلا إذا كان ذلك قد حصل قبل إظهار الجد
بن قيس للإسلام، ولسنا بصدد تحقيق هذا الأمر..

الثاني: أن هذا النص يدل على: أن بقية المنافقين الحاضرين، ومنهم عبد
الله بن أبي قد بايع وبايعوا أيضاً.. وقد كان ابن أبي حاضراً بدليل:

١ - ما تقدم: من أنه كان حاضراً هو وجماعة من المنافقين، حين جاشت
البئر بالماء، بسبب غرس سهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» فيها.. فقبل
له في ذلك، فادّعى: أنه رأى مثل هذا فيما سبق، واستغفر له «صلى الله عليه

(١) راجع: السيرة الحلبية ج ٣ ص ١٧.

وآله» في هذه المناسبة.

٢ - أن قريشاً بعثت إلى ابن سلول: إن أحببت أن تدخل فتطوف بالبيت فافعل.

فقال له ابنه عبد الله: يا أبت أذكرك الله، أن لا تفضحنا في كل موطن. تطوف! ولم يطف رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟! فأبى حينئذٍ وقال: لا أطوف حتى يطوف رسول الله «صلى الله عليه وآله».

وفي لفظ قال: إن لي في رسول الله أسوة حسنة. فلما بلغ رسول الله «صلى الله عليه وآله» امتناعه رضي عنه، وأثنى عليه بذلك^(١).

حديث: «لا يدخل النار من شهد الحديبية» لا يصح:

وهذا يوضح لنا: عدم صحة الأحاديث التي تقول: لا يدخل النار من شهد بدرًا، والحديبية، وأن الله غفر لأهل بدر والحديبية، ونحو ذلك^(٢). فإن المنافقين يدخلون النار بلا شك. وقد كانوا حاضرين في الحديبية، وقد بايع قسم منهم النبي «صلى الله عليه وآله» في الحديبية، وعلى رأسهم

(١) السيرة الحلبية ج ٣ ص ١٨ والنص والاجتهاد ص ١٦٨.

(٢) السيرة الحلبية ج ٣ ص ١٧ و ١٨ وسنن أبي داود ج ٢ ص ٤٠٢ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٦ ص ٤٦٤ وفيض القدير ج ٥ ص ٣٨٤ وعن الإصابة ج ٢ ص ٤٤ البداية والنهاية ج ٣ ص ٣٩٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ٥١٤ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٥١.

.. :
- حسب قولهم - عبد الله بن أبي، الذي يقول عنه أهل السنة: إنه كان رأس
النفاق في زمن رسول الله «صلى الله عليه وآله».. وإن كنا نحتمل أن يكون
ثمة تضخيم لدور ابن أبي، ومحاولة الإنحاء باللائمة عليه في كثير من
الأمور، التي قد يكون بطلها الحقيقي شخصاً آخر يراد التستر عليه، أما ابن
أبي فهو ضحية هذه السياسة حين لا يكون له دور أساسي فيها، أو قد يكون
بريئاً من أي دور فيها. ولسنا هنا بصدد تحقيق ذلك.

وظهر أيضاً عدم صحة حديث: أنتم اليوم خير أهل الأرض^(١)، فإن
المنافقين كانوا فيهم، ولم يكن المنافقون خير أهل الأرض قطعاً. إلا إن كان
المراد: أنهم كذلك في ذلك اليوم بالنسبة للمعلنين بالشرك، والمظهريين العناد.
قال الحلبي: «قال ابن عبد البر (ره): ليس في غزواته «صلى الله عليه
وآله» ما يعدل بديراً ويقرب منها إلا غزوة الحديبية.
والراجح: تقديم غزوة أحد على غزوة الحديبية، وأنها التي تلي بديراً في

(١) السيرة الحلبية ج ٣ ص ١٧ وعن صحيح البخاري ج ٥ ص ٦٣ وكتاب المسند
ص ٢١٧ ومسنند أحمد ج ٣ ص ٣٠٨ وصحيح مسلم ج ٦ ص ٢٦ والسنن
الكبرى للبيهقي ج ٥ ص ٢٣٥ وعن فتح الباري ج ٧ ص ٣٤١ ومسنند الحميدي
ج ٢ ص ٥١٤ والمصنف لابن أبي شيبة ج ٨ ص ٥١٠ ومنتخب عبد بن حميد
ص ٣٣٢ والسنن الكبرى للنسائي ج ٦ ص ٤٦٤ وكنز العمال ج ١٠ ص ٤٧٥
وتفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٢٠٢ والدر المنثور ج ٦ ص ٧٣ وتاريخ بغداد
ج ١٢ ص ٤٣٩ وتاريخ مدينة دمشق ج ١١ ص ٢٢٢ وتهذيب الكمال ج ٤
ص ٤٤٩ وسير أعلام النبلاء ج ٣ ص ١٩٢ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٩٥
والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٣٢٥ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٥١.

الفضيلة»^(١).

وقد ظهر: أنه كلام بلا مستند صحيح، فالأولى الإضراب، والإعراض عنه، والتوجه إلى ما هو أهم، ونفعه أعم.

بيعة النبي ' عن عثمان:

وقد ادعوا: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد بايع عثمان، فوضع يده اليمنى على اليسرى، وقال: اللهم إن هذه عن عثمان، فإنه في حاجتك، وحاجة رسولك. أو نحو ذلك^(٢).

ونقول:

إننا قد تحدثنا عن هذا الأمر في الجزء السابق، غير أننا نعود فنذكر القارئ بما يلي:

أولاً: إذا كانت بيعة الرضوان قد حصلت، لأنه بلغهم أن عثمان قد قتل، فكيف بايع النبي «صلى الله عليه وآله» عنه؟!.. أما وقد كان عثمان حياً، فإن سبب البيعة لا بد أن يكون شيئاً آخر وهو: حبس العشرة الذين دخلوا إلى مكة^(٣). أو محاولتهم قتل رسوله إليهم، أعني خراش بن أمية، بعد أن عقروا

(١) راجع: السيرة الحلبية ج ٣ ص ١٨.

(٢) راجع: السيرة الحلبية ج ٣ ص ١٧ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٥٠ والمصنف لابن أبي شيبة ج ٧ ص ٤٨٩ والآحاد والمثاني ج ١ ص ١٣٠ والمعجم الأوسط ج ٧ ص ٢٠٩ والمعجم الكبير ج ٧ ص ٢٣ وكنز العمال ج ١٣ ص ٤٠ وتاريخ مدينة دمشق ج ٣٩ ص ٧٥.

(٣) راجع: السيرة الحلبية ج ٣ ص ١٧ والمصادر السابقة.

بعيره.

أو المناوشات التي جرت بينهم وبينه، حيث قتلوا أحد المسلمين.
أو محاولتهم انتهاز فرصة غفلة المسلمين لأسر بعضهم أو قتله، فأسر المسلمون منهم خمسين رجلاً تارة، واثنى عشر رجلاً أخرى.
أو إصرار قريش على منعهم من العمرة وزيارة بيت الله..
أو أن جميع هذه الحوادث قد انضم بعضه إلى بعض ليصبح سبباً للدعوة إلى البيعة.

هذا كله، إن لم يكن من أسباب هذه البيعة أنه «صلى الله عليه وآله» أراد أن يلزم أناساً بها، بعد أن شعر أنهم يدبرون أمر خيانة خطيرة في الخفاء..

ثانياً: لماذا لم يبايع النبي «صلى الله عليه وآله» عن العشرة الذين أخذوا في مكة جميعاً كما بايع عن عثمان؟!
مع أنهم يقولون: إنهم قد دخلوا في أمان عثمان أيضاً حسبما تقدم..

محاولة فاشلة:

وقد حاول بعضهم حل هذا الإشكال بادعاء: أن بيعة النبي «صلى الله عليه وآله» عن عثمان إنما كانت بعد مجيء الخبر بسلامة عثمان، أو أنه «صلى الله عليه وآله» قد علم بعدم صحة شائعة قتله^(١) فبايع عنه.
ويرد عليه: أنه إذا صح ذلك، فلا يبقى داع للدعوة إلى البيعة. كما أنها

(١) راجع: السيرة الحلبية ج ٣ ص ١٧.

كلها مجرد احتمالات لا شاهد لها، ولا دليل يساعدها، بل هي محض تخرص ورجم بالغيب.

الرد على الشيعة:

قال الحلبي: «وبهذا يُردُّ على ما تمسك به بعض الشيعة في تفضيل علي كرم الله وجهه على عثمان (رض)، لأن علياً كان من جملة من بايع تحت الشجرة. وقد خوطبوا بقوله «صلى الله عليه وآله»: أنتم خير أهل الأرض، فإنه صريح في تفضيل أهل الشجرة على غيرهم.

وأيضاً علي حضر بداراً دون عثمان، وقد جاء مرفوعاً: لا يدخل النار من شهد بداراً والحديبية.

وحاصل الرد: أن النبي «صلى الله عليه وآله» بايع عن عثمان، مع الاعتذار عنه: بأنه في حاجة الله، وحاجة رسوله.

وخلف رسول الله «صلى الله عليه وآله» عثمان (رض) عن بدر لتمريض ابنته «صلى الله عليه وآله». وأسهم له، كما تقدم، فهو في حكم من حضرها. على أنه سيأتي: أنه (رض) بايع تحت تلك الشجرة بعد مجيئه من مكة»^(١).

ونقول:

إن هذا الكلام كله لا يصح أيضاً، وذلك لما يلي:

١ - إن القول المنسوب إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»: أنتم خير

(١) السيرة الحلبية ج ٣ ص ١٧.

أهل الأرض، مكذوب عليه، ولا يصح؛ لأن المنافقين كانوا من بينهم.
وهكذا يقال: بالنسبة لما رَوَاهُ مرفوعاً: لا يدخل النار من شهد بدرًا
والحديبية..

٢- إن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يبايع عن عثمان حسبما تقدم؛ لأنهم
يدَّعون: أن البيعة كانت لأجل ما أشيع من أن عثمان قد قتل..
٣- إن الله سبحانه لا يحتاج إلى شيء، فلا يصح القول بأن عثمان كان
في حاجة الله تعالى..

إلا أن يكون المقصود: أنه كان في حاجة يريد بها الله منه بالإرادة
التشريعية، أو ما يقرب من هذا المعنى.

٤- حديث أن عثمان قد بايع النبي «صلى الله عليه وآله» بعد رجوعه
من مكة تحت نفس الشجرة، التي كان المسلمون قد بايعوه «صلى الله عليه
وآله» تحتها^(١)، لا مجال للاطمينان إليه، فإن من البعيد أن يقصد النبي «صلى
الله عليه وآله» تلك الشجرة بالذات لكي يجلس تحتها مرة أخرى، ثم يأتي
عثمان ويبايعه.. ولا يوجد داع إلى ذلك..

وهذا أشبه بالتمثيل، وصناعة الأفلام..
ولو أن ذلك قد حصل لامتألت الكتب في وصف الحادثة، ولكثر
رواتها، والمتسابقون لبيان تفاصيلها وجزئياتها.. خصوصاً من محبي عثمان،
ومن قومه من بني أمية..

٥- بالنسبة لقوله: إن النبي «صلى الله عليه وآله» هو الذي خلف عثمان

(١) السيرة الحلبية ج ٣ ص ١٧ و ١٨.

على ابنته ليمرضها، نقول:

ألف: إن الروايات قد صرحت: بأنه لم يكن مهتماً بمرضها، وبأن النبي «صلى الله عليه وآله» قد حرمه من النزول في قبرها، لأنه كان قد واقع في نفس ليلة وفاتها^(١) بصورة جعلته مستحقاً لهذا الحرمان.

وقد لاحظ ابن بطال هنا: أنه حين قال النبي «صلى الله عليه وآله»: أيكم لم يقارف الليلة أهله؟ سكت عثمان، ولم يقل: أنا، لأنه قارف ليلة ماتت بعض نسائه، ولم يشغله الهم بالمصيبة، وانقطاع صهره من النبي «صلى الله عليه وآله» عن المقارفة.

فتلطف النبي «صلى الله عليه وآله» في منعه من الدخول في قبر زوجته بغير تصريح^(٢).

وقد علق العلامة الأميني «رحمه الله» على هذه الواقعة بكلام جيد،

(١) راجع: صحيح البخاري ج ١ ص ١٥٢ و ١٤٦ ومستدرك الحاكم ج ٤ ص ٤٧ وتلخيص المستدرك للذهبي (مطبوع بهامشه) والإصابة ج ٤ ص ٣٠٤ والإستيعاب (مطبوع مع الإصابة) ج ٤ ص ٣٠١ ومشكل الآثار ج ٣ ص ٢٠٢ و ٢٠٤ والمعتصر من المختصر لمشكل الآثار ج ١ ص ١١٣ و ١١٤ وفتح الباري ج ٣ ص ١٢٧ ومسند أحمد ج ٣ ص ٢٧٠ و ٢٢٩ و ٢٢٨ و ١٢٦ والروض الأنف ج ٣ ص ١٢٧ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٤ ص ٥٣ وذخائر العقبى ص ١٦٦ والمصنف للصنعاني ج ٣ ص ٤١٤ وعن تاريخ البخاري الأوسط والتاريخ الصغير للبخاري ج ١ ص ١٤٤ وكنز العمال ج ١٥ ص ٦٠٣.

(٢) راجع: الروض الأنف للسهيلى ج ٣ ص ١٢٧ و ١٢٨ وفتح الباري ج ٣ ص ١٢٧.

ذكر فيه: أن النبي «صلى الله عليه وآله» الداعي للستر على المؤمنين، والداعي للإغضاء عن العيوب، والناهي عن التجسس عما يقع في الخلوات - كما نص عليه كتاب الله - قد خرج عن سجيته، وعرض بعثمان هذا التعريض الذي فضحه، فلو أن ما فعله عثمان كان حلالاً له، لم يقدم «صلى الله عليه وآله» على ذلك في حقه..

وهذا معناه: أن ما فعله، كان أمراً بالغ الخطورة..

ونقول:

ربما يكون هذا الأمر العظيم الذي عجز التاريخ عن الإفصاح عنه هو: ما أشارت إليه بعض الروايات.

فقد روي في الكافي: أن رقية لما قتلها عثمان، وقف النبي «صلى الله عليه وآله» على قبرها، فرفع رأسه إلى السماء، فدمعت عيناه، وقال للناس: إني ذكرت هذه وما لقيت، فرقت لها، واستوهبتها من ضمة القبر^(١). ولعل عائشة قد أشارت إلى ذلك أيضاً.

فقد روي: أن عثمان خطب فقال: ألسن ختن النبي على ابنتيه؟! فأجابته عائشة: بأنك كنت ختنه عليهما، ولكن كان منك فيهما ما قد علمت^(٢).

٦ - بالنسبة إلى إسهام النبي «صلى الله عليه وآله» لعثمان في بدر نقول:

(١) الكافي ج ٣ ص ٢٣٦ وقاموس الرجال ج ١٠ ص ٤٣٩ والفصول المهمة ج ١ ص ٣٢٥ وشجرة طوبى ج ٢ ص ٢٤٤ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج ٢ ص ٢٢٦ والبحار ج ٢٢ ص ١٦٣.

(٢) قاموس الرجال ج ١٠ ص ٤٤٠ عن تقريب أبي الصلاح، عن تاريخ الثقفى.

ألف: إسهامه «صلى الله عليه وآله» لرجل في بعض الغزوات لا يجعل ذلك الذي أعطاه «صلى الله عليه وآله» من سهامها بحكم من حضر تلك الغزوة، بل إن ذلك كما قد يكون لأجل إظهار فضله، قد يكون أيضاً تأليفاً له على الإسلام، وإنما يعرف هذا من ذاك من خلال القرائن والدلالات الأخرى..

ولأجل ذلك نلاحظ: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد أعطى غنائم بعض الغزوات للمؤلفة قلوبهم..

والحاصل:

أن القرائن تدل تارة: على أن الإسهام للشخص، وإعطائه من الغنيمة تكريم، وإجلال، وإعلان بفضل أو بتفضيل من يسهم له، إذا كان ذلك الشخص يقوم بمهمات جلى في خدمة الدين، وفي الدفاع عنه.. وتدل تارة أخرى: على مجرد استحقاقه ذلك، من حيث إنه قد كان له نوع مشاركة في تلك الحرب.

وقد أعطى رسول الله «صلى الله عليه وآله» طلحة وسعيد بن زيد من الغنائم في بدر؛ لأنه «صلى الله عليه وآله» قد أرسلهما ليتجسسا له خبر العير، فرجعا إلى المدينة بعد خروجه «صلى الله عليه وآله» إلى بدر^(١). وكذلك كان الحال: بالنسبة لجعفر بن أبي طالب، حيث روي عن الإمام الباقر «عليه السلام» أنه قال: ضرب رسول الله «صلى الله عليه وآله»

(١) راجع: السيرة الحلبية ج ٢ ص ١٤٧ و ١٨٥ والمستدرك للحاكم ج ٣ ص ٣٦٩ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ١٧١.

يوم بدر لجعفر بن أبي طالب بسهمه وأجره^(١).

وما ذلك إلا: لأن جعفرًا صلوات الله وسلامه عليه قد هاجر إلى أرض الحبشة، نصرته لدين الله تعالى، وحفاظًا على المسلمين المستضعفين، وإلا، فقد كان بإمكانه أن لا يهاجر إلى تلك البلاد النائية، حيث الغربة عن الوطن والأهل، والأحبة، بين أناس يختلفون معه في اللغة، وفي العادات، وفي الدين، وفي كثير من الأمور الأخرى..

ب: لقد جاء في حديث مناشدة علي «عليه السلام» لأهل الشورى؛ وفيهم عثمان، وطلحة، والزبير، وغيرهم قوله: «أفيكم أحد كان له سهم في الحاضر، وسهم في الغائب؟ قالوا: لا»^(٢).

وهو «عليه السلام» لم يغب إلا عن غزوة تبوك. وقد ذكر الزمخشري في مناقب العشرة: أن النبي «صلى الله عليه وآله» حين قسم غنائم تبوك دفع لكل واحد منهم سهمًا، ودفع لعلي «عليه السلام» سهمين. فاعترض عليه زائدة بن الأكوع، فأجابه النبي «صلى الله عليه وآله» بأن جبرائيل كان يقاتل في تبوك، وأنه هو الذي أمره أن يعطي

(١) سير أعلام النبلاء ج ١ ص ٢١٦ وشرح الأخبار ج ٣ ص ٢٠٥ وبغية الباحث ص ٢١٥ وتهذيب الكمال ج ٥ ص ٥٢ والبداية والنهاية ج ٣ ص ٣٩٦.

(٢) ترجمة الإمام علي بن أبي طالب لابن عساكر (بتحقيق المحمودي) ج ٣ ص ٩٣. وراجع: اللآلي المصنوعة ج ١ ص ٣٦٢ والضعفاء الكبير ج ١ ص ٢١١ و ٢١٢ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ٤٣٥ والموضوعات ج ١ ص ٣٧٩ وكنز العمال ج ٥ ص ٧٢٥.

علياً «عليه السلام» سهمين^(١).

وقد يقال: إن خطابه «عليه السلام» لأهل الشورى ناظر إلى هؤلاء الحاضرين في زمانه، وليس ناظراً إلى جعفر الذي كان قد استشهد في حياة النبي «صلى الله عليه وآله» ولا إلى أبي أمامة الذي لم يكن مع أولئك المخاطبين ولا نعرف تاريخ وفاته.

ج: إننا نشك في أن يكون قد تخلف عن بدر لأجل تمريض بنت (ربيبة) رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقد روي أيضاً: أن تخلفه كان لأجل أنه كان مريضاً بالجدري^(٢).

د: إنه لو فعل النبي «صلى الله عليه وآله» ذلك لوجدنا كثيرين ممن تخلفوا عن بدر يعترضون ويطالبون بإعطائهم سهمهم أيضاً، كما أعطي عثمان.. وخصوصاً إذا كان بعضهم قد تخلف على مريض له.

بل إننا قد نجد الأصوات ترتفع حتى من الذين حضروا بدرًا وقتلوا، فإنهم سوف لا يرضون بإعطاء من لم يحضر، ولم يقاتل، إلا أن يعرفهم النبي «صلى الله عليه وآله» بوجود سبب معقول، ومقبول لهذا الإعطاء..

هـ: إن تخلف عثمان كان بنظر مشاهير الصحابة منقصة له، وكانوا يعيرونه بها، فلو كان النبي «صلى الله عليه وآله» قد ضرب له بسهمه وأجره لم يكن هناك محل لهذا التعبير.

(١) راجع: السيرة الحلبية ج ٣ ص ١٤٢ ومناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ٧٧ وجواهر المطالب في مناقب الإمام علي ج ١ ص ٧٨.

(٢) راجع: السيرة الحلبية ج ٢ ص ١٨٥ و ١٤٦ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج ٢ ص ٢٢٤ والمغازي للواقدي ج ١ ص ١٣١.

فقد قال الوليد بن عقبة لعبد الرحمن بن عوف: ما لي أراك قد جفوت
أمير المؤمنين عثمان؟

فقال عبد الرحمن: أبلغه أني لم أفر يوم عينين - أي يوم أحد - ولم أتخلف
يوم بدر، ولم أترك سنة عمر.

فخبر الوليد عثمان، فاعتذر عن تخلفه يوم بدر بتمريضه رقية^(١).
وبمثل ذلك اعتذر ابن عمر لذلك الذي كان يعترض على عثمان بذلك^(٢).
ودخل رجل على سالم بن عبد الله، فطعن على عثمان بعين ما تقدم عن

(١) راجع: مسند أحمد ج ١ ص ٦٨ و ٧٥ والأوائل ج ١ ص ٣٠٥ و ٣٠٦ ومحاضرات
الأدباء المجلد الثاني ص ١٨٤ والدر المنثور ج ٢ ص ٨٩ عن أحمد، وابن المنذر،
والبداية والنهاية ج ٧ ص ٢٠٧ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٥ ص ٢١ و ٢٢
والمغازي للواقدي ج ١ ص ٢٧٨ والغدير ج ٩ ص ٣٢٧ وج ١٠ ص ٧٢ عن
أحمد، وابن كثير، وعن الرياض النضرة ج ٢ ص ٩٧ ومجمع الزوائد ج ٧ ص ٢٢٦
وج ٩ ص ٨٤ والمعجم الكبير ج ١ ص ٨٩ وتفسير القرآن العظيم ج ١ ص ٤٢٨
وتاريخ مدينة دمشق ج ٣٩ ص ٢٥٨ وتاريخ المدينة ج ٣ ص ١٠٣٣ وموسوعة
التاريخ الإسلامي ج ٢ ص ٢٢٤.

(٢) مستدرک الحاكم ج ٣ ص ٩٨ والجامع الصحيح للترمذي ج ٥ ص ٦٢٩ ومسند
أحمد ج ٢ ص ١٠١ والبداية والنهاية ج ٧ ص ٢٠٧ عن البخاري، والغدير ج ١٠
ص ٧١ و ٧٠ عن الحاكم، وأحمد، وعن صحيح البخاري ج ٦ ص ١٢٢ والبحار
ج ٣١ ص ٢٠١ ومناقب أهل البيت ص ٣٦٧ وعن فتح الباري ج ٧ ص ٤٨
وعون المعبود ج ٧ ص ٢٨٣ والجامع لأحكام القرآن ج ١١ ص ٢٥٦ وتاريخ
مدينة دمشق ج ٣٩ ص ٢٦١ وسبل الهدى والرشاد ج ١١ ص ٢٨٤.

عبد الرحمن بن عوف^(١).

فلو أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان ضرب له بسهمه وأجره لم يكن معنى لتعير كبار الصحابة له بذلك، وقد كان ابن عوف حاضراً في بدر، ولم يكن ما جرى فيها خافياً عليه.

كما أنه قد كان من المناسب: أن يعتذر هو بهذا الأمر، لا بتمريض رقية، فإنه أدحض لحجة المخالفين له..

و: إن ابن مسعود قد رد على سب عثمان له بقوله: «لست كذلك». ولكنني صاحب رسول الله «صلى الله عليه وآله» يوم بدر، ويوم بيعة الرضوان^(٢).

فقد أشار ابن مسعود إلى خصوص هذين الموضعين؛ لأن عثمان لم يحضرهما - أشار بذلك - ليرد بذلك عليه، لأنه كان قد تنقصه، ونال منه..

وذلك يدل: على أن عدم حضور عثمان لبيعة الرضوان يعد منقصة له، فلو أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان قد بايع عنه لكان ذلك من أعظم فضائله.

وهكذا يقال بالنسبة لتخلفه عن بدر حسباً أوضحناه..

الصحيح في القضية:

ولعل الصحيح في القضية هو: ما روي من أن أبا أمامة بن ثعلبة كان

(١) فتح القدير ج ١٠ ص ٧٠ عن الرياض النضرة ج ٢ ص ٩٤.

(٢) أنساب الأشراف ج ٥ ص ٣٦ والغدير ج ٩ ص ٣ و ٤ عنه وعن الواقدي والمسترشد للطبري ص ١٦٤ والبحار ج ٣١ ص ١٨٩ وحياة الإمام الحسين للقرشي ج ١ ص ٣٧٧.

قد أجمع على الخروج إلى بدر، وكانت أمه مريضة، فأمره النبي «صلى الله عليه وآله» بالمقام على أمه، وضرب له بأجره وسهمه، فرجع «صلى الله عليه وآله» من بدر، وقد توفيت، فصلى على قبرها.

بل في بعض نصوص هذه الرواية: أن أبا أمامة تنازع مع أخي زوجته، أبي بردة بن نيار، حيث أراد منه أن يتخلف على أخته، وأراد منه أبو بردة أن يتخلف على زوجته فحسم النبي «صلى الله عليه وآله» الأمر، بأن أمر زوجها بالتخلف عليها^(١).

وأما صلاة النبي «صلى الله عليه وآله» على قبرها، فلعله لأنها دفنت من غير أن يصلي عليها أحد، وكان في نبشها لأجل الصلاة عليها هتك لها.. وعليها أن لا ننسى أن هذا الإصرار من أبي أمامة على الخروج للجهاد، والسعي إلى إقناع أخي زوجته بالبقاء عند أخته، ثم اتخاذ الرسول نفسه «صلى الله عليه وآله» قرار إبقائه، يجعل الإسهام له من غنائم بدر أمراً مقبولاً لدى الصحابة، ولا يبرر لهم أي اعتراض على ذلك..

سؤال وجوابه:

ويبقى هنا سؤال، وهو: إذا كان عثمان غير مستحق لأن يسهم له في بدر؛ لأنه ارتكب في حق رقية أمراً عظيماً، حتى استحق التشهير به من

(١) راجع: السيرة الحلبية ج ٢ ص ١٤٧ والإصابة ج ٤ ص ٩ عن أبي أحمد الحاكم والإستيعاب (مطبوع بهامش الإصابة) ج ٤ ص ٤ وأسد الغابة ج ٥ ص ١٣٩ و ٥٦٦ وج ١ ص ١٥٤ ومجمع الزوائد ج ٣ ص ٣٢ والآحاد والمثاني ج ٤ ص ٥٧ والمعجم الكبير ج ١ ص ٢٧٢ وكنز العمال ج ١٦ ص ٥٧٩.

رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وحرمانه أمام كل الناس من الدخول إلى قبرها، وترجيحه «صلى الله عليه وآله» أن ينزل في قبرها رجل غريب، فلماذا لا يعاقبه على فعلته تلك؟!!

ولماذا يزوجه النبي «صلى الله عليه وآله» أختها أم كلثوم؟!!

ويجاب:

أولاً: إن النبي «صلى الله عليه وآله» لا يعاقب الناس على جرائمهم ما لم تتوفر وسائل إثبات ذلك، ولم يكن يحق له أن يستند في عقوبتهم إلى الغيب الذي يصل إليه بالطرق غير العادية، أو من خلال علم الشاهدية.. ومن الواضح: أن عثمان لم يعترف بما فعل، ولا شهد عليه به الشهود.. ولكنه أعطى الانطباع بصدور هذا الأمر منه..

ثانياً: إن هذا الإشكال مبني على أن رقية وأم كلثوم، هما بنتا رسول الله «صلى الله عليه وآله» من خديجة.. وقد أثبتنا عدم صحة ذلك، وأنها كانتا ربييتيه «صلى الله عليه وآله».. فلم يكن «صلى الله عليه وآله» بالذي يتصدى لتزويج بنات الناس، إلا إذا ظهر: أنهم يردن منه ذلك، ويطلبن نصيحته ومشورته.

فلعل أم كلثوم هي التي أقدمت على هذا الأمر، ولم تطلب النصيحة منه «صلى الله عليه وآله». وليس ثمة ما يثبت: أنها كانت مطلعة على ما جرى لأختها مع عثمان..

دليل على موت الخضر:

قال الحلبي: «واستدل بقوله «صلى الله عليه وآله»: أنتم خير أهل

الأرض على عدم حياة الخضر «عليه الصلاة والسلام» حينئذٍ، لأنه يلزم أن يكون غير النبي أفضل منه. وقد قامت الأدلة الواضحة على ثبوت نبوته، كما قاله الحافظ ابن حجر^(١).

ونقول:

أولاً: بعد أن ثبت: أن المنافقين قد حضروا بيعة الرضوان، وبايعوا، وثبت أيضاً أن الحديث القائل: أنتم خير أهل الأرض لا تصح نسبته إلى النبي «صلى الله عليه وآله».. فلا يصح الاستدلال به على حياة الخضر، ولا على غير ذلك من أمور.

ثانياً: قولهم: إنه يلزم أن يكون غير النبي أفضل منه، فلا يصح تفضيل أهل الحديبية على الخضر، لا يصح.

إذ لا شك في أن بعض الأولياء والأئمة أفضل من بعض الأنبياء، فإن علياً «عليه السلام» كان أفضل من الأولين والآخرين، باستثناء نبينا الأعظم «صلى الله عليه وآله»..

والأحاديث الدالة على ذلك كثيرة، ومنها قوله «صلى الله عليه وآله» للسيدة فاطمة الزهراء «عليها السلام»: لولا علي لم يكن لفاطمة كفؤ آدم فمن دونه^(٢).

(١) السيرة الحلبية ج ٣ ص ١٧.

(٢) تهذيب الأحكام ج ٧ ص ٤٧٠ ومناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ٢٩ والجواهر السنية ص ٢٥٢ والفصول المهمة ج ١ ص ٤٠٨ والبحار ج ٤٣ ص ٩٣ و ١٠٧ ومسند الإمام الرضا ص ١٤١ وعيون أخبار الرضا ج ١ ص ٢٢٥ واللمعة البيضاء ص ٢١٢ و ٢٤٦ ومجمع النورين ص ٢٧ و ٤٣.

حيث دل على أنه حتى أولو العزم من الأنبياء «عليهم السلام» - باستثناء نبينا «صلى الله عليه وآله» - لم يكونوا كفؤاً لها «عليها السلام»، وكان علي وحده الكفؤ، فهو إذن أرفع مقاماً من جميع الأنبياء. بل ذلك يدل على أفضلية الزهراء «عليها السلام» عليهم أيضاً، وذلك ظاهر..

هل أسلم ابن عمر قبل أبيه؟!

وفي البخاري وغيره، عن نافع: أن ابن عمر أسلم قبل أبيه، وليس كذلك. ولكن عمر يوم الحديبية أرسل عبد الله إلى فرس له عند رجل من الأنصار، يأتي به ليقاتل عليه. ورسول الله «صلى الله عليه وآله» يبايع عند الشجرة، وعمر لا يدري بذلك، فبايعه عبد الله، ثم ذهب إلى الفرس فجاء به إلى عمر وهو يستلثم للقتال، فأخبره: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» يبايع تحت الشجرة.

قال: فانطلق. فذهب معه حتى بايع الرسول «صلى الله عليه وآله»..

فهي التي يتحدث الناس: أن ابن عمر أسلم قبل عمر^(١).

وفي البخاري أيضاً: عن نافع، عن ابن عمر: أن الناس كانوا مع النبي

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٩ وفي هامشه عن البخاري ج ٧ ص ٥٢١ (٤١٨٦) وفتح الباري ج ٧ ص ٣٥٠ وتفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٢٠١ والتعديل والتجريح للباقي ج ٢ ص ٨٥٢ وج ٣ ص ١٣١٧ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٩٧ وعن عيون الأثر ج ٢ ص ١٢٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٣٢٨.

«صلى الله عليه وآله»، يوم الحديبية تفرقوا في ظلال الشجر، فإذا الناس
محدقون بالنبي «صلى الله عليه وآله»، فقال عمر: يا عبد الله، انظر ما شأن
الناس أحدقوا برسول الله «صلى الله عليه وآله»؟!
فذهب، فوجدهم يبائعون، فبايع، ثم رجع إلى عمر، فخرج، فبايع^(١).
ونقول:

إن ذلك لا يصح، وذلك لما يلي:

١ - روى ابن جرير، وابن أبي حاتم، عن سلمة بن الأكوع والبيهقي،
عن عروة وابن إسحاق عن الزهري ومحمد بن عمر عن شيوخه، قال
سلمة: بينا نحن قائلون إذا نادى منادي رسول الله «صلى الله عليه وآله»:
أيها الناس، البيعة، البيعة النخ..^(٢).

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٩ وفي هامشه عن البخاري ج ٧ ص ٥٢١
(٤١٨٧) ومسند أحمد ج ٥ ص ٣٢٤ وفتح الباري ج ٧ ص ٣٥٠ وتفسير القرآن
العظيم ج ٤ ص ٢٠١ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٩٧ والسيرة النبوية لابن كثير
ج ٣ ص ٣٢٩.

(٢) دلائل النبوة للبيهقي ج ٤ ص ١٣٦ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٨ والسيرة
الخلبية ج ٣ ص ١٦ و ١٧ وشرح أصول الكافي ج ١٢ ص ٤٥٢ وكنز العمال ج ١
ص ٣٣٢ والميزان ج ١٨ ص ٢٩١ وجامع البيان ج ٢٦ ص ١١٢ وزاد المسير ج ٧
ص ١٦٧ وتفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٢٠٥ وتفسير الجلالين ص ٧١٣ والدر
المنثور ج ٦ ص ٧٣ ولباب النقول ص ١٧٧ وفتح القدير ج ٥ ص ٥٢ وتاريخ
الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٧٩.

وذكر الحلبي: أن المنادي هو عمر بن الخطاب^(١).

٢ - لا ندري كيف أصبحت كلمة أسلم قبل عمر بمعنى: بايع قبل عمر، فإن ذلك من بدائع اللغة العربية؟!

٣ - إن التناقضات بين الروايتين المتقدمتين عن البخاري: ظاهرة، ولا حاجة إلى بيانها، مع أنها واردة في الكتب التي يدعون صحة جميع مروياتها.

٤ - إنه إذا كان هناك منادٍ قد نادى بالناس: البيعة البيعة، فكيف لم يعلم عمر بأن رسول الله «صلى الله عليه وآله» يبايع حتى أخبره ولده عبد الله، أو حتى رأى الناس محدقين بالرسول «صلى الله عليه وآله» حسبما تقدم؟!

لا توقدوا ناراً بالليل:

عن أبي سعيد الخدري قال: لما كان يوم الحديبية، قال لنا رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «لا توقدوا ناراً بالليل».

فلما كان بعد ذلك قال: «أوقدوا، واصطنعوا، فإنه لا يدرك قوم بعدكم صاعكم، ولا مدكم»^(٢).

(١) السيرة الحلبيّة ج ٣ ص ١٦.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٥١ ومستدرک الحاكم ج ٣ ص ٣٦ وذكر أخبار إصبهان ج ٢ ص ١٦٩ ومسنّد أحمد ج ٣ ص ٢٦ وعن المصنف لابن أبي شيبة ج ٨ ص ٤٨١ و ج ١٤ ص ٤٤٣ وعن فتح الباري ج ٧ ص ٣٤١ والسنن الكبرى للنسائي ج ٥ ص ٢٦٨ وكنز العمال ج ١١ ص ٥٢٨ ومجمع الزوائد ج ٦ ص ١٤٥ وج ٩ ص ١٦١ ومسنّد أبي يعلى ج ٢ ص ٢٧٢ والفايق في غريب الحديث ج ٢ ص ٢٦٣ وطبقات المحدثين بإصبهان ج ١ ص ٣٩١.

وهذا التوجيه النبوي الشريف ظاهر المأخذ: فإن مرحلة ما بعد الحديبية، قد اختلفت كثيراً عن المرحلة التي سبقتها، فإنه لم يعد ثمة من حاجة إلى التخفي في أي مسير يقوم به الجيش الإسلامي في أي اتجاه. بل أصبح إيقاد النيران للجيش الإسلامي يرعب العدو أكثر من أي شيء آخر..

ولم يعد هناك أي شيء من شأنه أن يفتح له باب التفكير بتسديد أي ضربة موجعة لذلك الجيش، لأنه يرى أنه لم يعد له حيلة فيه، وليس من مصلحته الاحتكاك به، بل المصلحة كل المصلحة تكمن في الابتعاد عنه، وإخلاء كل المحيط له.

وهذا هو أحد المظاهر التي تُجسّدُ صدق قول رسول الله «صلى الله عليه وآله» عن هذا الصلح: إنه أعظم الفتح. وظهر بذلك أيضاً مصداق قوله تعالى في مناسبة هذا الصلح: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾^(١).

عمر يقطع شجرة بيعة الرضوان:

إن هناك مفارقات ظاهرة بين آراء وتصرفات عمر بن الخطاب وبين ما هو ثابت عن النبي «صلى الله عليه وآله»، وعن الصحابة. بل هناك مفارقات بين تصرفات عمر بالذات.

فهو من جهة يتوسل إلى الله في الاستسقاء بالعباس عم رسول الله

(١) الآية ١ من سورة الفتح.

«صلى الله عليه وآله»^(١)، ويقبّل الحجر الأسود؛ لأنه رأى النبي «صلى الله عليه وآله» يقبّله^(٢).

وهو يرى: أن الصحابة يتبركون بفضل وضوء الرسول «صلى الله عليه وآله» وبشعره، وعرقه، وببصاقه، وبكل شيء يرجع إليه. ويشاهد بأم عينيه ما فعله «صلى الله عليه وآله» حين بصق وغرس السهم في البئر التي في الحديبية، بالإضافة إلى عشرات الموارد التي يشاهدها هو والمسلمون طيلة حياتهم معه «صلى الله عليه وآله» وعدة سنين بعدها فضلاً عن تبركهم بقبره الشريف وبغير ذلك^(٣). ولكنه من جهة أخرى - على رغم ذلك كله - لا يطيق في أيام خلافته رؤية المسلمين يتعاهدون شجرة بيعة الرضوان، ويصلُّون عندها.

(١) الغدير ج ٧ ص ٣٠١ ومكاتب الرسول ج ٣ ص ٦١٨ وعن فتح الباري ج ٢ ص ٤١٢ وج ٧ ص ٦٢ وتحفة الأحوذى ج ١٠ ص ٢٦ وتاريخ مدينة دمشق ج ٢٦ ص ٣٥٩ وسير أعلام النبلاء ج ٢ ص ٤١٣ وج ١٢ ص ٨٧ ودفع الشبه عن الرسول للدمشقي ص ١٣١.

(٢) المعجم الأوسط ج ٥ ص ١٩١ ورياض الصالحين للنووي ص ١٣٩ ومسند أحمد ج ١ ص ٣٥ وسنن أبي داود ج ١ ص ٤١٩ وسنن النسائي ج ٥ ص ٢٢٧ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٥ ص ٧٤ وشرح مسلم للنووي ج ٩ ص ١٦ وصحيح ابن حبان ج ٩ ص ١٣١ ونصب الراية ج ٣ ص ١١٧ وكنز العمال ج ٥ ص ١٧٣ وشرح مسند أبي حنيفة ص ١٩٩ عن الشفا بتعريف حقوق المصطفى ج ٢ ص ١٥ وسبل الهدى والرشاد ج ١ ص ١٧٨.

(٣) إن ما جرى في الحديبية ما هو إلا غيظ من فيض، فراجع كتاب: التبرك للشيخ علي الأحدي «رحمه الله».

فقد روي عن نافع قال: بلغ عمر بن الخطاب: أن ناساً يأتون الشجرة التي ببيع تحتها، فيصلون عندها، فتوعدهم. ثم أمر فقطعت^(١). والظاهر: أن موضعها بقي معلوماً، أو أن بقية منها كانت ظاهرة للناس فكانوا يقصدونها للصلاة عندها أيضاً، فحاول سعيد بن المسيب أن يشكك الناس في موضعها، تأييداً منه لما فعله عمر بن الخطاب. فقد روي عن طارق بن عبد الرحمن قال: انطلقت حاجاً، فمررت بقوم يصلُّون، فقلت: ما هذا؟! قالوا: هذه الشجرة، حيث بايع رسول الله «صلى الله عليه وآله» بيعة الرضوان.

فأتيت سعيد بن المسيب، فأخبرته، فقال سعيد: حدثني أبي: أنه كان فيمن بايع رسول الله «صلى الله عليه وآله» تحت الشجرة، فلما خرجنا من العام المقبل نسيناها، فلم نقدر عليها.. فقال سعيد: إن أصحاب محمد لم يعلموها، وعلمتموها أنتم؟ فأنتم أعلم؟!^(٢). ونقول نحن لسعيد: لعل أباك وبعض رفقاءه نسوا ذلك المكان، فلم

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٥٠ عن ابن أبي شيبة وابن سعد وشرح النهج للمعتزلي ج ١٢ ص ١٠١ والدر المنثور ج ٦ ص ٧٣ وفتح القدير ج ٥ ص ٥٢.
(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٥٠ عن البخاري وابن مردويه. وفي هامشه عن البخاري ج ٧ ص ٥١٢ رقم (٤١٦٣) وعن فتح الباري ج ٧ ص ٣٤٤ وتفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٢٠٥ والطبقات الكبرى ج ٢ ص ٩٩ وعن الإصابة ج ٦ ص ٩٦ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٩٦ والسير النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٣٢٧.

يقدرُوا عليه، وربما يكون نسيانهم هذا لأسباب مختلفة، ولكن هذا لا يعني أن يكون سائر الصحابة وعددهم ألف وأربع مائة أو أكثر قد نسوا كلهم ذلك المكان أيضاً.. إلا أن تكون هذه الأمة هي أغبى الأمم، وأشدّها تغفلاً!!

وفي حديث نافع الآخر: أنه خرج قوم من أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» بعد ذلك بأعوام، فما عرف أحد منهم الشجرة، واختلفوا فيها.

قال ابن عمر: كانت رحمة من الله..

وهذا الحديث: قد يكون هو نفس الحديث المتقدم عن طارق وسعيد بن المسيب (لكنه بدّل كلمة: «من العام المقبل» بكلمة: «بعد ذلك بأعوام»).

وحتى لو كان حديثاً عن جماعة أخرى، فالجواب عنه هو الجواب المتقدم عن حديث طارق أيضاً، فإن نسيان جماعة للمكان لبعض الأسباب، لا يلزم نسيان غيرهم له أيضاً.. ولعلمهم قد خرجوا بعد أن أمر عمر بن الخطاب بقطعها^(١)، فقطعت ولم يعلموا بقطعها، فبحثوا عنها، فلم يجدوها.. واللافت: أن عمر بن الخطاب قد أجرى امتحاناً للصحابة، وذلك حين مر بذلك المكان بعد ذهاب الشجرة (أي بعد أن أمر بقطعها) فقال: أين كانت؟

فجعل بعضهم يقول: ههنا.

(١) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٥.

وبعضهم يقول: هنا.

فلما كثر اختلافهم قال: سيروا، قد ذهبت الشجرة^(١).

وأما قول ابن عمر: «كانت رحمة من الله».

فإن كان يقصد به: أن الشجرة كانت رحمة من الله، فهو صحيح، لأن عبادة الله تعالى عندها من موجبات رحمته سبحانه..

وأما إن كان يقصد: أن قطعها كان رحمة من الله، فهو لا يتلاءم مع تترك الصحابة بآثار النبي ولا مع تبركه «صلى الله عليه وآله» بعلي «عليه السلام» وبالحجر الأسود، وبغير ذلك.

بل قد يقال: إن ذلك لا يتلاءم مع ما كان يفعل ابن عمر نفسه حيث رووا عنه: أنه كان يتتبع آثار رسول الله «صلى الله عليه وآله»، والمواضع التي صلى فيها، فيصلّي فيها.

بل يذكرون: أنه كان يتتبع مواضع قدمه «صلى الله عليه وآله» أيضاً.
إلا أن يقال: إنه لم يرد عن النبي «صلى الله عليه وآله» أنه قد صلى تحت تلك الشجرة، لكي يقتدي به ابن عمر ويصلي تحتها أيضاً..
وعلى كل حال: فقد عرفنا في ابن عمر تأثره الشديد لخطي أبيه، والالتزام بأوامره ونواهيه بصورة لافقة، ولعل هذا من ذاك.
مع أن اتباعه لرسول الله «صلى الله عليه وآله» ولصحابته في التبرك بآثاره، كان هو الأخرى به، والأولى..

(١) تاريخ الخميس ج ٢ ص ٢٠.

الفصل الثاني:

عهد الحديبية: أحداث وتفاصيل

تقديم:

فإن هدنة الحديبية كانت فاتحة عهد جديد، له خصوصياته، وكانت له آثاره العميقة في التحولات الكبيرة والعامة، التي أكدت الحاجة إلى طاقات، وإمكانات، وكذلك إلى وسائل، ثم إلى سياسات ومواقف من نوع آخر غير ما كان الواقع يحتاجه في الظروف وفي الفترة التي سبقت الحديبية. وإن سير الأحداث التي تلت هذا الصلح يظهر هذه الحقيقة. ويفرض على الباحث رؤية جديدة من شأنها أن توفر له فهماً أعمق، وأوضح لتلك الأحداث..

وقد يكون التوفر على هذا الأمر، والالتفات إلى ما يلزم الالتفات إليه يحتاج إلى تضافر جهود، وإلى إثارة أجواء من البحث، والمناظرة حول ذلك كله، وذلك من أجل إعطاء الرؤى كلها فرصتها لتتلاقى وتتكامل مع بعضها، ولربما ينالها المزيد من التقليم والتطعيم، وتصبح أكثر غنى باللفتات واللمحات، التي تجعل نتائج البحث أكثر عمقاً، وملاءمة للواقع، وأشد صفاءً ونقاءً..

ولكن ذلك وإن لم يكن متوفراً في مثل هذا الحال، فإن ما لا يدرك كله لا يترك كله، أو جله.

فإن المهم هو: أن تبدأ مسيرة الألف ميل ولو بخطوة واحدة.
فها نحن نبدأ هذه المسيرة ولتكن هذه هي الخطوة الأولى، وعلى الله نتوكل
ومنه نستمد العون والقوة، ونستنزل الصبر والتأييد والتسديد، إنه ولي قدير..

عهد الحديبية :

قال الصالحى الشامى: روى ابن إسحاق وأبو عبيد، وعبد الرزاق،
والإمام أحمد، وعبد بن حميد، والبخارى، وأبو داود، والنسائي، وابن جرير،
وابن مردويه، ومحمد بن عمر، عن المسور بن مخرمة، ومروان بن الحكم،
والشيخان، عن سهيل بن حنيف: أن عثمان لما قدم من مكة، هو ومن معه،
رجع سهيل بن عمرو، وحويطب، ومكرز إلى قريش، فأخبروهم بما رأوا من
سرعة أصحاب النبي «صلى الله عليه وآله» إلى البيعة، وتشميرهم إلى الحرب
فاشتد رعبهم.

فقال أهل الرأي منهم: ليس خير من أن نصالح محمداً على أن ينصرف
عنا عامه هذا، ولا يخلص إلى البيت، حتى يسمع من سمع بمسيره من
العرب أننا قد صددناه، ويرجع قابلاً، فيقيم ثلاثاً، وينحر هديه، وينصرف،
ويقيم ببلدنا، ولا يدخل علينا. فأجمعوا على ذلك..

فلما أجمعت قريش على الصلح والمواذعة بعثوا سهيل بن عمرو،
وحويطب ومكرزاً، وقالوا لسهيل: ائت محمداً فصالحه، وليكن في
صلحك: ألا يدخل عامه هذا، فوالله لا تحدث العرب أنه دخل علينا عنوة.
فأتى سهيل رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فلما رآه «صلى الله عليه

وآله» قال: «قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا»^(١).

وفي لفظ: فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «سهل أمركم».

وجلس رسول الله «صلى الله عليه وآله» متربعا، وكان عباد بن بشر، وسلمة بن أسلم بن حريش على رأسه - وهما مقنعان في الحديد -.

فبرك سهيل على ركبتيه، فكلّم رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فأطال الكلام وتراجعا، وارتفعت الأصوات وانخفضت.

وقال عباد بن بشر لسهيل: اخفض من صوتك عند رسول الله «صلى الله عليه وآله»، والمسلمون حول رسول الله «صلى الله عليه وآله» جلوس، فجرى بين النبي «صلى الله عليه وآله» وبين سهيل القول حتى وقع الصلح على:

١ - أن توضع الحرب بينهما عشر سنين.

٢ - أن يأمن الناس بعضهم بعضاً.

٣ - أن يرجع رسول الله «صلى الله عليه وآله» عامه هذا، فإذا كان العام المقبل قدمها، فخلّوا بينه وبين مكة، فأقام فيها ثلاثاً.

٤ - ألا يدخلها إلا بسلاح الراكب، والسيوف في القرب، لا يدخلها

بغيره.

٥ - أنه من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليه - وإن كان على دين

(١) السنن الكبرى للبيهقي ج ٩ ص ٢٢١ وتفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٢١٠ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٨٠ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٩٢ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٧٨١ وعن عيون الأثر ج ٢ ص ١١٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٣٢٠ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٥٢.

محمد - رده إلى وليه.

٦ - من أتى قريشاً ممن اتبع محمداً لم يردوه عليه.

٧ - وأن بينهم وبين رسول الله «صلى الله عليه وآله» عيبة مكفوفة.

٨ - أنه لا إسلال^(١).

٩ - ولا إغلال^(٢).

١٠ - أنه من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه، ومن

أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل.

وقد أضافت بعض المصادر إلى المواد العشر المتقدمة ما يلي:

١١ - أنه من قدم مكة من أصحاب محمد «صلى الله عليه وآله» حاجاً،

أو معتمراً، أو يبتغي من فضل الله، فهو آمن على دمه وماله..

ومن قدم المدينة من قريش مجتازاً إلى مصر، وإلى الشام، يبتغي من

فضل الله، فهو آمن على دمه وماله^(٣).

١٢ - أن يخلوا له مكة من قابل ثلاثة أيام، وتخرج قريش كلها من مكة،

(١) الإسلال: السرقة، المعجم الوسيط ج ١ ص ٤٤٨.

(٢) الإغلال: الخيانة.

(٣) راجع: كنز العمال ج ١٠ ص ٣٠٦ ومدينة البلاغة ج ٢ ص ٢٨١ وتفسير

النيسابوري (مطبوع مع جامع البيان) ج ٢٦ ص ٤٩ ومجمع البيان ج ٩ ص ١١٨

والمصنف لابن أبي شيبة ج ١٤ ص ٤٤١ وعن مدينة البلاغة ج ٢ ص ٢٨١

ومجموعة الوثائق السياسية ص ٨٢ و ٨٣ عن ابن جرير، وأنساب الأشراف،

وابن زنجويه، ومكاتب الرسول ج ٣ ص ٧٧ عنهم، والبحار ج ٢٠ ص ٣٣٤

وميزان الحكمة ج ٣ ص ٢٢٤٦ وجامع البيان ج ٢٦ ص ١٢٥.

إلا رجل واحد منها، يخلفونه مع محمد «صلى الله عليه وآله» وأصحابه^(١).

١٣ - وأن لا يخرج من أهلها بأحد، إن أراد أن يتبعه.

١٤ - وأن لا يمنع أحداً من أصحابه، إن أراد أن يقيم بها^(٢).

١٥ - وأن يكون الإسلام ظاهراً بمكة، لا يكره أحد على دينه، ولا

يؤذى، ولا يعير^(٣).

وجاء في آخر العهد: «شهد أبو بكر بن أبي قحافة و.. و.. وكتب علي

(١) راجع: تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٤٥ والبحار ج ٢٠ ص ٣٦٢ والمصنف لابن أبي شيبه ج ١٤ ص ٤٣٦ والتنبيه والإشراف ص ٢٢١ ومكاتب الرسول ج ٣ ص ٧٨ عنهم وعن آخرين، ومناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٧٥ وإعلام الوري ج ١ ص ٢٠٥.

(٢) مكاتب الرسول ج ٣ ص ٧٨ عن صحيح البخاري ج ٢ ص ٢٤٢ وصحيح مسلم ج ٣ ص ١٤١٠ والمصنف لابن أبي شيبه ج ١٤ ص ٤٣٦ والبداية والنهاية ج ٤ ص ٢٣٤ والبحار ج ٢٠ ص ٣٧٢ وج ٣٨ ص ٣٢٨ والأموال ص ٢٣٣ و ٤٤٣ وكنز العمال ج ١٠ ص ٣١٦ والعمدة ص ٢٠١ و ٣٢٥ ومسند أحمد ج ٤ ص ٢٩٨ وسنن الدارمي ج ٢ ص ٢٣٨ وعن صحيح البخاري ج ٥ ص ٨٥ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٨ ص ٥ ومجمع الزوائد ج ٢ ص ٧٥ والسنن الكبرى للنسائي ج ٥ ص ١٦٨ وخصائص أمير المؤمنين ص ١٥١ وصحيح ابن حبان ج ١١ ص ٢٢٩ وتفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٢١٧ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٨٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٤٤٢.

(٣) البحار ج ٢٠ ص ٣٥٢ و ٣٦٢ عن تفسير القمي ج ٢ ص ٣١٣ ومكاتب الرسول ج ٣ ص ٧٧ و ٩٠ ونور الثقلين ج ٥ ص ٥٣ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج ٢ ص ٦٢٩.

بن أبي طالب»^(١).

فتواثبت خزاعة، فقالوا: نحن في عقد محمد وعهده، وتواثبت بنو بكر فقالوا: نحن في عقد قريش وعهدهم.

فكره المسلمون هذه الشروط، وامتنعوا منها، وأبى سهيل إلا ذلك، فلما اصطلحوا، ولم يبق إلا الكتاب وثب عمر بن الخطاب إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» فقال: يا رسول الله، أأنت نبي الله حقاً؟

قال: بلى.

قال: ألسنا على الحق وهم على الباطل؟

قال: بلى.

قال: أليس قتلنا في الجنة، وقتلاهم في النار؟

قال: بلى.

قال: علام نعطي الدنية في ديننا؟ ونرجع ولم يحكم الله بيننا وبينهم؟ فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «إني عبد الله، ورسوله، ولست أعصيه، ولن يضيعني، وهو ناصري».

قال: أوليس أنت تحدثنا أننا سنأتي البيت فنطوف حقاً؟

قال: بلى، أفأخبرت أنك تأتيه العام؟

قال: لا.

قال: «فإنك آتية ومطوف به».

فذهب عمر إلى أبي بكر متغيظاً ولم يصبر، فقال: يا أبا بكر: أليس هذا

(١) راجع: أنساب الأشراف ج ١ ص ٣٥٠.

نبي الله حقاً؟

قال: بلى.

قال: ألسنا على الحق، وهم على الباطل؟ أليس قتلانا في الجنة، وقتلاهم في النار؟

قال: بلى.

قال: فعلام نعطي الدنية في ديننا، ونرجع ولم يحكم الله بيننا وبينهم؟
قال: أيها الرجل، إنه رسول الله، وليس يعصي ربه، وهو ناصره، فاستمسك بغرزه حتى تموت، فوالله إنه لعلى الحق.

وفي لفظ: فإنه رسول الله.

فقال عمر: وأنا أشهد أنه رسول الله.

قال: أوليس كان يحدثنا: أنه سنأتي البيت ونطوف به؟

قال: بلى، فأخبرك أنك تأتيه العام؟

قال: لا.

قال: فإنك آتية ومطوف به.

فلقي عمر من هذه الشروط أمراً عظيماً^(١).

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٥٣ عن: البخاري ج ٤ ص ٢٦ و ١٢٥، وعن مسلم ج ٣ ص ١٤١٢ (١٧٨٥/٩٤) وراجع: الطبراني في الكبير ج ٦ ص ١٠٩ وفي (ط أخرى) ج ٢٠ ص ١٤ وابن سعد ج ١ ق ١ ص ٢٠ وانظر المجمع ج ٣ ص ٣١٢ ج ٥ ص ٦٧. وراجع: نيل الأوطار ج ٨ ص ١٨٧ وعين العبرة ص ٢٢ ومناقب أهل البيت ص ٣٣٦ والنص والإجتهاد ص ١٧٣ والغدير ج ٧ ص ١٨٥ والسنن الكبرى ج ٩ ص ٢٢٠ وتفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٢١٣ والدر المنثور ج ٦ ص ٧٧ =

وقال كما في الصحيح: والله ما شككت منذ أسلمت إلا يومئذ، وجعل
يرد على رسول الله «صلى الله عليه وآله» الكلام.
فقال أبو عبيدة بن الجراح: ألا تسمع يا بن الخطاب رسول الله «صلى
الله عليه وآله» يقول ما يقول، تعوذ بالله من الشيطان، واتهم رأيك.
قال عمر: فجعلت أتعوذ بالله من الشيطان حياءً، فما أصابني شيء قط
مثل ذلك اليوم، وعملت بذلك أعمالاً - أي صالحة - لتكفر عني ما مضى
من التوقف في امثال الأمر ابتداءً، كما عند ابن إسحاق، وابن عمر
الأسلمي.
قال عمر: فما زلت أتصدق، وأصوم، وأصلي، وأعتق من الذي صنعت
يومئذ، مخافة كلامي الذي تكلمت به حتى رجوت أن يكون خيراً.
وروى البزار عن عمر بن الخطاب، قال: اتهموا الرأي على الدين، فلقد
رأيتني أردُّ أمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» برأيي، وما ألوت على الحق.
قال: فرضي رسول الله «صلى الله عليه وآله» وأبيت، حتى قال: «يا
عمر تراني رضيت وتأبى؟!»^(١).

= وتاريخ مدينة دمشق ج ٥٧ ص ٢٢٩ والبداية والنهاية ج ٤ ص ٢٠٠ والسيرة
النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٣٣٤ والبحار ج ٣٠ ص ٣٣٩ والمصنف لعبد الرزاق ج ٥
ص ٣٣٩ وإرواء الغليل ج ١ ص ٥٨ وج ٨ ص ١٩٦ ومسند أحمد ج ٤ ص ٣٣٠.
(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٥٣ عن الدولابي في الكنى ج ٢ ص ٦٩. وراجع:
فتح الباري ج ٥ ص ٢٥٤ وج ١٣ ص ٢٤٥ والمعجم الكبير ج ١ ص ٧٨ وفي (ط
أخرى) ص ٧٢ ومجمع الزوائد ج ١ ص ١٧٩ وج ٦ ص ١٤٦ والأحكام لابن
حزم ج ٦ ص ٧٨٢ وكنز العمال ج ١ ص ٣٧٢.

فقال سهيل: هات، اكتب بيننا وبينك كتاباً. فدعا رسول الله «صلى الله عليه وآله» علياً - كما في حديث البراء عند البخاري في كتاب الصلح وكتاب الجزية، ورواه إسحاق بن راهويه من حديث المسور ومروان، وأحمد، والنسائي، والبيهقي والحاكم - وصححه عن عبد الله بن مغفل.

فقال له رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «اكتب: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾».

فقال سهيل: أما الرحمن الرحيم فوالله ما أدري ما هو، ولكن اكتب باسمك اللهم، كما كنت تكتب. اكتب في قضيتنا ما نعرف.

فقال المسلمون: والله لا نكتبها إلا: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

فقال النبي «صلى الله عليه وآله»: «اكتب: باسمك اللهم»

ثم قال: «هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله «صلى الله عليه وآله».

فقال سهيل: والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت، ولا قاتلناك، اكتب في قضيتنا ما نعرف، اكتب محمد بن عبد الله.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله» لعلي: امحه، فقال علي «عليه السلام»: ما أنا بالذي «أمحاه»، وفي لفظ «أمحاك».

وفي حديث محمد بن كعب القرظي: فجعل علي يتلكأ، وأبى أن يكتب إلا محمد رسول الله، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: اكتب، فإن لك مثلها تعطيهما وأنت مضطهد^(١). انتهى.

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٥٤ وفي هامشه: عن البخاري ج ٥ ص ٣٥٧ (٢٦٩٩) وأحمد ج ٤ ص ٣٢٨ و ٨٦ و ج ٥ ص ٢٣ و ٣٣ والبيهقي ج ٩ ص ٢٢٠ و ٢٢٧ =

وذكر محمد بن عمر: أن أسيد بن الحضير، وسعد بن عباد أخذوا بيد علي ومنعاه أن يكتب إلا: «محمد رسول الله»، وإلا فالسيف بيننا وبينهم. فارتفعت الأصوات، فجعل رسول الله «صلى الله عليه وآله» يخفضهم، ويومئ بيده إليهم: اسكتوا. فقال: أرنيه، فأراه إياه، فمحا رسول الله «صلى الله عليه وآله» بيده، وقال: اكتب محمد بن عبد الله. قال الزهري: وذلك لقوله «صلى الله عليه وآله»: لا يسألوني خطة يعظمون بها حرمة الله إلا أعطيتهم إياها. فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله» لسهيل: على أن تخلوا بيننا وبين البيت، فنطوف. فقال سهيل: لا والله، لا تحدث العرب أننا أخذنا ضغطة، ولكن لك من العام المقبل، فكتب.

= وعبد الرزاق في المصنف (٩٧٢٠) والطبري في التفسير ج ٢٦ ص ٥٩ و ٦٣ وابن كثير في التفسير ج ٧ ص ٣٢٤ وانظر المجمع ج ٦ ص ١٤٥ و ١٤٦. وراجع: ميزان الحكمة ج ٤ ص ٣١٩٦ ومجمع البيان ج ٩ ص ١٩٩ والميزان ج ١٨ ص ٢٦٩ والمناقب للخوارزمي ص ١٩٣ والبحار ج ٢٠ ص ٣٣٥ وج ٣٢ ص ٥٤٢ وج ٣٣ ص ٣١٤ ووقعة صفين ص ٥٠٩ والمسترشد ص ٣٩١ وشرح النهج للمعتزلي ج ٢ ص ٢٣٢ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج ٢ ص ٦٢٨ وينايع المودة ج ٢ ص ١٨ ومناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ٣٦٦ والأنوار العلوية ص ٢٤٩ وعن الإحتجاج ج ١ ص ٢٧٧ وتفسير القمي ج ٢ ص ٣١٣ ونور الثقلين ج ٥ ص ٥٣.

فقال سهيل: على أنه لا يأتيك منا أحد بغير إذن وليه، وإن كان على دينك إلا رددته إلينا.

فقال المسلمون: سبحان الله، أيكتب هذا؟ كيف يرد إلى المشركين وقد جاء مسلماً؟

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «نعم، إنه من ذهب منا إليهم فأبعده الله، ومن جاء منهم إلينا سيجعل الله له فرجاً ومخرجاً»^(١).
ونقول:

إن لنا مع النصوص المتقدمة وقفات للتوضيح، أو للتصحيح، وهي التالية:

الاصطفاف للقتال، واللواء مع علي × :

قال الشيخ المفيد «رحمه الله»: «..ثم تلا بني المصطلق الحديبية، وكان اللواء يومئذٍ إلى أمير المؤمنين «عليه السلام»، كما كان في المشاهد كلها. وكان من بلائه في ذلك اليوم عند صف القوم في الحرب للقتال، ما ظهر خبره، واستفاض ذكره. وذلك بعد البيعة التي أخذها النبي «صلى الله عليه

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٥٤ وفي هامشه قال: انظر التخريج السابق وأخرجه أبو داود في الجهاد باب (١٦٧) وأحمد ج ٤ ص ٣٢٩ و ٣٣٠ والسيوطي في الدر المنثور ج ٦ ص ٧٦. وراجع النصوص المتقدمة في: سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٥١ - ٥٤ وصحيح مسلم ج ٥ ص ١٧٥ والمصنف لابن أبي شيبة ج ٨ ص ٥١٠ وكنز العمال ج ١٠ ص ٤٨٠ والجامع لأحكام القرآن ج ١٦ ص ٢٧٧.

وآله» على أصحابه، والعهود عليهم في الصبر»^(١).

ونقول:

إن كتب التاريخ التي بين أيدينا قد عجزت عن الجهر بما فعله علي «عليه السلام» حين صف القوم في الحرب للقتال.. مع أن ذلك كان قد ظهر خبره، واستفاض ذكره..

فهل كان أسر الخمسين على يد علي بن أبي طالب «عليه السلام»، وليس على يد محمد بن مسلمة؟

وهل كان أسر الاثني عشر الآخرين على يد علي «عليه السلام» دون سواه؟ وكان ذلك في ساحة الحرب، حيث رفعت فيها الألوية، واصطف فيها الناس للقتال، وكان اللواء مع علي «عليه السلام» كما هو في سائر المشاهد، ثم أخفى ذلك الحاقدون، وقللوا من شأنه، وجعلوه مجرد مناوشات يسيرة لا أهمية لها.. مع أنها هي التي أرعبت قريشاً، وأرغمتها على الصلح، ولما «رأى سهيل بن عمرو توجه الأمر عليهم، ضرع إلى النبي «عليه السلام» في الصلح، ونزل عليه الوحي بالإجابة إلى ذلك..» حسبما رواه الشيخ المفيد «رحمه الله»^(٢).

قريش في مأزق:

لقد وجدت قريش نفسها أمام خيارات صعبة، لا تستطيع أن تتجرع مرارة أي واحد منها، والخيارات هي التالية:

(١) الإرشاد ج ١ ص ١١٩ والمستجد في الإرشاد ص ٧٣ والبحار ج ٢٠ ص ٣٥٨.

(٢) الإرشاد للمفيد ج ١ ص ١١٩.

١ - أن تمنع المسلمين من دخول مكة، حتى لو أدى ذلك إلى حرب شعواء. وهذا خيار صعب، من نواح عديدة..

إحداها: أنها تخشى أن تدور الدوائر في هذه الحرب عليها.
الثانية: أن العرب يرون: أن مكة والبيت ليسا ملكاً لقريش، وإنما هي تقوم بمهمة سدانة البيت، وتسهيل أمر زيارته.. وليس لها أن تمنع أحداً جاء للحج أو العمرة وزيارة البيت من الوصول إليه..
فإن فعلت ذلك، فسوف تواجه النقد الشديد، والرفض الأكيد حتى من حلفائها، وربما تنتهي الأمور إلى حدوث انقسامات خطيرة فيما بينها وقد حصل ذلك بالفعل، كما أظهرته الوقائع..

٢ - أن تسمح قريش للمسلمين بدخول مكة.. وفي هذا ما فيه أيضاً:
من كسر لهيبتها، ومن اعتراف بحق المسلمين بهذا الأمر، بعد أن كانت تصورهم للناس على أنهم جناة، وعتاة، وقطاع طرق، ومفسدون في الأرض..

ومن أنها لا تأمن من حدوث مفاجآت تجعل الأمور أكثر تعقيداً، كما لو حصل اعتداء من قبل سفهائها على بعض الوافدين، ثاراً لآبائهم وإخوانهم الذين قتلوا في بدر، وأحد، والخندق.. وربما تتطور الأمور إلى ما هو أعظم وأدهى.

٣ - أن ترجعه «صلى الله عليه وآله» في هذا العام، وترضى بأن تبذل له من الشروط ما يرضيه، ولكن هذا الاحتمال الأخير يجعل المبادرة بيد رسول الله «صلى الله عليه وآله» وهو عارف بما يريد، ويعرف سبل الوصول إليه، والحصول عليه، وهكذا كان..

رعب قريش وضراعتها في الصلح:

- وقد صرحت النصوص: أنه قد زاد من رعب قريش ما رأته من سرعة أصحاب النبي «صلى الله عليه وآله» إلى البيعة، وتشميرهم إلى الحرب^(١). ونستطيع أن نقول: إن قريشاً كانت بين نارين:
- فهي من جهة ترى: أن دخول النبي «صلى الله عليه وآله» إلى مكة على هذا النحو، سيكون بالنسبة لها ذلاً شاملاً، وضعفاً بارزاً، بين العرب.
- وترى من جهة أخرى: أنها لا قدرة لها على الحرب، لأسباب مختلفة، فهي:
- ١ - تعاني من ضائقة اقتصادية شديدة، والحرب تحتاج إلى نفقات، وتضييع عليها استثمار موسم الحج في ذلك العام، وكان هذا الموسم على الأبواب.
 - ٢ - إن الناس قد ملوا الحرب وملتهم، وقتل كثير من رجالهم. ونشأت من ذلك اختلالات في العلاقات الاجتماعية، ومشكلات أسرية وقبلية. ونحو ذلك..
 - ٣ - قد تقدم: أن سيد الأحابيش قد خالفهم في هذا الأمر، وتهدهم، وفارقهم وكذلك الحال بالنسبة لعمر بن مسعود، ومن معه من ثقيف.
 - ٤ - إن خزاعة أيضاً كانت عيبة نصح لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، مسلمهم وكافرهم. وهي تعيش في مكة مع قريش..
 - ٥ - إن الإسلام قد فشا فيما بين قبائل قريش، وأصبحت كل قبيلة تحتفظ بطائفة من أبنائها في القيود والسلاسل والسجون..
 - ٦ - إن المعركة لن تكون من الناحية العسكرية في صالح قريش، وهي

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٥١ و ٥٢.

معركة رأوا: أنها ستكون في غاية الحدة والشراسة، وأنها تحمل معها المزيد من الخسائر في الأموال والأنفس. ومما يزيد في تضائل فرص النجاح لقريش ما رآه مبعوثهم من انقياد وخضوع، وتفان ظاهر للمسلمين في خدمة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وإطاعة أوامره.

٧- وقد أكدت بيعة الرضوان لقريش: أن الأمور في غير صالحها، فإن الالتزامات والعقود، تمنع من أي تعلل، أو تراجع.

فكيف إذا كانت بيعة على الموت والفناء، حتى يتحقق لهم ما جاؤوا له؟ وبذلك يتضح: أنه لا بد لقريش من عقد الصلح.. فهو المخرج الوحيد لها من هذه الورطة..

فبعثوا سهيل بن عمرو إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وقالوا له: ائت محمداً، فصالحه، ولا يكن في صلحه إلا أن يرجع عنا عامه هذا. فأتاه سهيل بن عمرو. فلما رآه رسول الله «صلى الله عليه وآله» مقبلاً، قال: قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل.

فلما انتهى سهيل إليه تكلم، وأطال، وتراجعا، ثم جرى بينهما الصلح. بل إن الشيخ المفيد «رحمه الله» يقول:

«ولما رأى سهيل بن عمرو توجه الأمر عليهم ضرع إلى النبي «عليه السلام» في الصلح، ونزل عليه الوحي بالإجابة إلى ذلك. وأن يجعل أمير المؤمنين «عليه السلام» كاتبه يومئذٍ، والمتولي لعقد الصلح بخطه..»^(١).

(١) الإرشاد للمفيد ج ١ ص ١١٩ والبحار ج ٢٠ ص ٣٥٨ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج ٢ ص ٦٢٧.

معرفة النبي ' بعدوه:

إن قول النبي «صلى الله عليه وآله» حين رأى سهيل بن عمرو: «قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا» يدل على: معرفة الرسول «صلى الله عليه وآله» بطبائع عدوه، وميزاته، ومواقفه، وبكيفية تصرفات ذلك العدو، حتى إنه ليعرف نواياه بمجرد رؤية مبعوثيه، قبل أن يكلمهم، ويستخبرهم عما جاؤوا من أجله.

جلوس النبي ' وجلوس سهيل:

كما أن من الواضح: أن جلوس الرجل متربعا يشير إلى الاسترسال والهدوء، وراحة البال، ويرى أن الأمور تسير بشكل طبيعي وعادي.. أما حين يبرك على ركبتيه، فإنه يكون في حالة تختزن معها الاستعداد للجدال والمماحكة، والسعي لحسم أمر يهمه، فيحتاج إلى جمع أطرافه إلى نفسه، وإظهار التماسك، والتصميم، والجدية في عمله من أجل إنجازه. ولأجل ذلك نلاحظ: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد جلس متربعا، وأما سهيل بن عمرو فبرك على ركبتيه.

اختلاف نصوص العهد:

إن نصوص العهد قد اختلفت في كثير من ألفاظها، كالاختلاف في قوله: هذا ما صالح عليه محمد.. أو هذا ما قاضى عليه محمد. اصطلاحا.. أو اصطلاحا.

هل وضعت الحرب عشر سنين كما تقدم^(١)، أو ثلاث سنين^(٢)، أو أربعاً أو سنتين^(٣). هناك أقوال في ذلك.

ولعل تلك الاختلافات قد نشأت عن سوء حفظ الناقل، أو لأن بعضهم أراد النقل بالمعنى، أو لغير ذلك من أسباب.. كما أن هناك بعض المواد قد ذكر بعض الناقلين، دون البعض الآخر..

مصادر العهد:

وقد ذكر العلامة الشيخ علي الأحمدى «رحمه الله» طائفة من المصادر، يمكن الرجوع إليها للاطلاع على نصوص عهد الحديبية.. فلاحظ الهامش^(٤).

(١) راجع: أنساب الأشراف ج ١ ص ٣٥٠ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٧٨٢ والجامع لأحكام القرآن ج ٨ ص ٦٤ والعمدة ص ١٦٣ ومسند أحمد ج ٤ ص ٣٢٥ وعن سنن أبي داود ج ١ ص ٦٣٠ ونصب الراية ج ٤ ص ٢٣٨ وخصائص الوحي المبين ص ١٦٠ وزاد المسير ج ٣ ص ٢٧٣ وتفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٢١١ والطبقات الكبرى ج ٢ ص ٩٧ والثقات ج ١ ص ٣٠١ والبداية والنهاية ج ٥ ص ٣٧٣ ونهج الإيمان لابن جبر ص ٢٤٥ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ٦٩١.

(٢) تاريخ يعقوبي ج ٢ ص ٥٤ وفتح الباري ج ٥ ص ٢٥١ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٧٦.

(٣) راجع: مكاتيب الرسول للأحمدي ج ٣ ص ٨٩ وأنساب الأشراف ج ١ ص ٣٥١ ونصب الراية ج ٤ ص ٢٣٩ وعن عيون الأثر ج ٢ ص ١٢٨.

(٤) مكاتيب الرسول ج ٣ ص ٧٩ و ٨٠ عن المصادر التالية: تفسير علي بن إبراهيم ج ٢ ص ٣٣٦ وإعلام الورى للطبرسي ص ٦١ وسيرة ابن هشام ج ٣ ص ٣٦٦ =

= وفي (ط أخرى) ص ٣٣١ والأموال لأبي عبيد ص ٢٣٣ و ٤٤٣ والطبقات الكبرى ج ٢ ص ٩٧ وفي (ط قديم) ج ٢ ق ١ ص ٧٠ وكنز العمال ج ١٠ ص ٣٠٣ و ٣٠٦ و ٣١٢ و ٣١٦ والطبري ج ٢ ص ٦٣٤ والكامل ج ٢ ص ٢٠٤ والأموال لابن زنجويه ج ١ ص ٣٩٤ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٣ ودحلان بهامش الحلبية ج ٢ ص ٢١٢ وما بعدها، والدر المنثور ج ٦ ص ٧٧ و ٧٨ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٦١٠ و ٦١١ والخراج لأبي يوسف ص ٢٢٨ ورسالات نبوية ص ١٧٧ - ١٨٠ والمناقب لابن شهر آشوب ج ١ ص ٢٠٣ وأنساب الأشراف (تحقيق محمد حميد الله) ص ٣٤٩.

وراجع: مدينة البلاغة ج ٢ ص ٢٨١ ومسند أحمد ج ٤ ص ٣٢٥ و ٣٣٠ والبخاري ج ٣ ص ٢٤٢ و ٢٥٥ وابن أبي شيبة ج ١٤ ص ٢٣٣ والبحار ج ٢٠ ص ٣٣٣ و ٣٣٤ و ٣٣٥ و ٣٥٢ و ٣٦٢ و ٣٦٨ ونيل الأوطار للشوكاني ج ٨ ص ٣٤-٣٦ وتفسير الطبري ج ٢٦ ص ٦١ و ٦٣ والنيسابوري بهامش الطبري ج ٢٦ ص ٤٩ ونور الثقلين ج ٥ ص ٥٢ ومجمع البيان ج ٩ ص ١١٨ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٦٨ و ١٧٥ وأبو الفتوح ج ٥ ص ١٠٤ والبرهان ج ٤ ص ١٩٣ والمصنف لعبد الرزاق ج ٥ ص ٣٣٧ و ٣٣٨ والكافي ج ٨ ص ٣٢٦ ومروءة العقول ج ٢٦ ص ٤٤٤ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٢٦٩ ونشأة الدولة الإسلامية ص ٢٩٦ عن جمع، وزاد المعاد لابن القيم ج ٢ ص ١٢٥ والتاج ج ٤ ص ٣٩٩ وسيرة النبي «صلى الله عليه وآله» لإسحاق بن محمد الهمداني قاضي أبرقوه ص ٤١١.

وراجع: المنتظم ج ٣ ص ٢٦٩ ومجموعة الوثائق السياسية: ١١/٧٧ عن جمع ممن قدمناه (وعن سيرة ابن إسحاق ترجمتها الفارسية والجاحظ في الرسالة العثمانية ص ٧٠ وإعجاز القرآن للباقلاني (ط مصر سنة ١٣١٥هـ) ص ٦٤ وإمتاع الأسماع للمقريزي ج ١ ص ٢٩٧ والوفاء لابن الجوزي ص ٦٩٨ وسيرة =

= الطبري رواية البكري فصل الحديبية مخطوطة آياصوفيا.

ثم قال: قابل شرح السيد الكبير للسرخسي ج ٤ ص ٦١ والمبسوط للسرخسي ص ٣٠ و ١٦٩ وإرشاد الساري للقسطلاني ج ٨ ص ١٥٨ وكتاب الشروط للطحاوي ج ١ ص ٤ و ٥ وانظر كايثاني ج ٦ ص ٣٤ واشيرنكر ج ٣ ص ٢٤٦). وأشار إلى الكتاب كل مؤرخ ومحدث ذكر القصة، فلا نطيل بذكرها وراجع: المعيار والموازنة ص ٢٠٠ والمفصل ج ٨ ص ٩٨ و ٩٩ و ١٣٥ وحياة الصحابة ج ١ ص ١٣١ والإرشاد للمفيد ص ٥٤ و ٥٥.

وراجع: المناقب لابن شهر آشوب ج ١ ص ٧٣ و ٢٠٣ و ج ٢ ص ٢٤ و ج ٣ ص ١٨٤ وثقات ابن حبان ج ١ ص ٣٠٠ وسنن الدارمي ج ٢ ص ٢٣٧ ومسنند أحمد ج ١ ص ٣٤٢ و ج ٣ ص ٢٦٨ و ج ٤ ص ٨٦ و ٣٢٥ والبخاري ج ٣ ص ٢٤١ و ٢٤٦ و ج ٤ ص ١٢٦ و ج ٥ ص ١٨٠ وتهذيب تاريخ ابن عساكر ج ٧ ص ١٣٤ ومسلم ج ٣ ص ١٤٠٩ - ١٤١١ واليعقوبي ج ٢ ص ٤٥ و ١٧٩ وكنز العمال ج ١٠ ص ٣٠٧ و ٣١٣ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٨ ص ١٧٩ و ١٨٠ و ج ٩ ص ٢٢٦ وابن أبي شيبة ج ١٤ ص ٤٣٥ و ٤٣٨ و ٤٣٩ و ٤٤٩ وصبح الأعشى ج ٦ ص ٣٥٨ و ٣٥٩.

وراجع: القرطبي ج ١٦ ص ٢٧٥ وابن أبي الحديد ج ١٠ ص ٢٥٨ و ج ١٢ ص ٥٩ و ج ١٧ ص ٢٥٧ والبحار ج ١٨ ص ٦٢ و ج ٢٠ ص ٣٣٥ و ٣٥٧ و ٣٢٧ ومجمع الزوائد ج ٦ ص ١٤٥ و ١٣٦ وكشف الغمة ج ١ ص ٢١٠ وفتوح البلدان ص ٤٩ وأدب الإملاء والإستملاء ص ١٢ والمستدرک للحاكم ج ٢ ص ٤٦١ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٤ ص ١٠٥ و ١٤٥ والأخبار الطوال ص ١٩٤ وتأريخ دمشق (من فضائل أمير المؤمنين «عليه السلام») ج ٣ ص ١٥١ - ١٥٧ والعمدة لابن بطريق ص ٣٢٥ و ٣٢٦ والطبقات ج ٢ ق ١ ص ٧٤.

انتهى كلام العلامة الأحمدي رحمه الله تعالى..

كلمات تحتاج إلى توضيح:

ونوضح بعض الكلمات الواردة في هذا العهد على النحو التالي:

لا إسلال: الإسلال - كما قيل - هو السرقة الخفية..

وقيل: هو الإغارة الظاهرة.

وقيل: هو سل السيوف.

قال البلاذري: الإسلال هو: دس السلاح وسله سرّاً، والإغلال:

الانطواء على غل^(١).

ولعل المراد: أخذ العهد بأن لا يعين أحد المتعاقدين على الآخر، أو نفي

الإغارة، أو نفي سل السيوف أو كل هذه المعاني مجتمعة..

ويفيد هذا الشرط في: تحقيق الأمن على الأموال في تلك المدة، والأمن

من التخويف بالسلاح للأفراد من كلا الجانبين.

لا إغلال: أي لا خيانة خفية، أو لا تلبس الدروع.

ولعل المراد من ذلك الشرط: تحقيق حالة الأمن من الكيد والتآمر في

الخفاء.

العيبة المكفوفة: أن يكف ما يحمله الإنسان في باطنه من حقد أو غل أو

عداوة، فلا يظهر ذلك ولا يعلن به.

القرباب: هو شبه الجراب يطرح فيه الراكب سيفه بغمده، وسوطه،

وقد يطرح فيه زاده، من تمر وغيره..

ويقال له: (جلبان) أيضاً.

(١) راجع: أنساب الأشراف للبلاذري ج ١ ص ٣٥١.

من هو كاتب العهد؟:

ذكر القمي نص العهد، وجاء في آخره عبارة: «وكتب علي بن أبي طالب»^(١).

ولكنه أتبعها بقوله: «وعهد على الكتاب المهاجرون والأنصار». فيحتمل أن يكون ذلك من إنشاء الراوي، ويحتمل أن تكون هذه العبارة قد وردت في نص الكتاب فعلاً..

هذا، وذكرت بعض المصادر: أن قريشاً أبت إلا أن يكتب علي «عليه السلام» أو عثمان^(٢).

وتكاد تجمع المصادر على ذلك^(٣).

-
- (١) راجع: تفسير القمي ج ٢ ص ٣١٣ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٦٩ والبحار ج ٢٠ ص ٣٥٢ وتفسير الصافي ج ٥ ص ٣٦ ونور الثقلين ج ٥ ص ٥٣ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج ٢ ص ٦٢٩ ومكاتب الرسول ج ٣ ص ٧٨.
- (٢) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٦١٠ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٣ والسيرة النبوية لدحلان.

(٣) مكاتب الرسول ج ٣ ص ٥٨ عن المصادر التالية:

- الدر المنثور ج ٦ ص ٧٨ والحلبية ج ٣ ص ٢٣ و ٢٥ ودحلان بهامش الحلبية ج ٢ ص ٢١٢ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٦١٠ والمناقب لابن شهر آشوب ج ٢ ص ٢٤ وج ١ ص ٧٣ و ٢٠٣ والمصنف لعبد الرزاق ج ٥ ص ٣٤٣ والإرشاد للمفيد ص ٥٤ وأنساب الأشراف (تحقيق محمد حميد الله) ص ٣٤٩ ومسند أحمد ج ١ ص ٣٤٢ وج ٣ ص ٢٦٨ وج ٤ ص ٨٦ و ٣٢٥ والبخاري ج ٣ ص ٢٤١ و ٢٤٢ وج ٤ ص ١٢٦ و ج ٥ ص ١٧٩ ومسلم ج ٣ ص ١٤٠٩ - ١٤١١ واليعقوبي ج ٢ ص ٤٥ والسنن =

ولكن البعض قد زعم: أن الكاتب هو محمد بن مسلمة^(١).
وقد صرح ابن حجر: بأن هذا من الأوهام، ثم إنهم جمعوا بين القولين:
بأن الكاتب هو علي «عليه السلام»، لكن محمد بن مسلمة نسخ من الكتاب
نسخة أخرى أعطيت لسهيل بن عمرو^(٢).
ويمكن تأييد ذلك: بما رواه عمر بن شبة، عن عمرو بن سهيل بن
عمرو، عن أبيه: الكتاب عندنا كاتبه محمد بن مسلمة.
قال العسقلاني: ويجمع: بأن أصل كتاب الصلح بخط علي - كما هو في

= الكبرى للبيهقي ج ٨ ص ١٧٩ وج ٩ ص ٢٢٦ و ٢٢٧ وابن أبي شيبة ج ١٤
ص ٤٣٥ و ٤٣٩ والبحار ج ١٨ ص ٦٢ وج ٢٠ ص ٣٢٧ و ٣٣٣ و ٣٣٥ و ٣٥١ -
٣٥٣ و ٣٥٧ و ٣٦٢ ونيل الأوطار للشوكاني ج ٨ ص ٤٥ وتفسير الطبري ج ٢٦
ص ٦١ وتفسير النيسابوري بهامش الطبري ج ٢٦ ص ٤٩.
وراجع: نور الثقلين ج ٥ ص ٥٣ ومجمع البيان ج ٩ ص ١١٨ والقرطبي ج ١٦
ص ٢٧٥ وابن أبي الحديد ج ١٠ ص ٢٥٨ والبرهان ج ٤ ص ١٩٢ و ١٩٣ -
والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٦٩ ومجمع الزوائد ج ٦ ص ١٤٥ وفتح الباري ج ٥
ص ٢٢٣ وج ٧ ص ٢٨٦ والكافي ج ٨ ص ٣٢٦ ومرآة العقول ج ٢٦ ص ٤٤٤
وكشف الغمة ج ١ ص ٢١٠ وأدب الإماماء والإستملاء ص ١٢ وصفين لنصر
ص ٥٠٨ و ٥٠٩ والكامل ج ٢ ص ٢٠٤ والطبقات ج ٢ ق ١ ص ٧١ ورسالات
نبوية ص ١٧٨ ومجمع الزوائد ج ٦ ص ١٤٥ والمطالب العالية ج ٤ ص ٢٣٤.
(١) راجع: السيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٤ و ٢٥ والسيرة النبوية لدحلان ج ٣ ص ٤٣
ورسالات نبوية ص ١٧٩.
(٢) راجع: المصادر المتقدمة.

الصحيح - ونسخ مثله محمد بن مسلمة لسهيل بن عمرو^(١).
ونحن نخشى أن يكون إصرار هؤلاء على حشر اسم محمد بن مسلمة
المهاجم لبیت الزهراء «عليها السلام»، يدخل في سياق سياساتهم لإنكار
فضائل علي «عليه السلام» أو تشريك غيره معه فيها على الأقل، إن لم يمكن
منحها بكل تفاصيلها لأعداء ومناوئي أهل البيت «عليهم السلام».
هذا.. وقد صرح أبو زميل سماك الحنفي: أنه سمع عبد الله بن عباس
يقول: كاتب الكتاب يوم الحديبية علي بن أبي طالب^(٢).
كما أن الزهري رغم أنه كان منحرفاً عن أهل البيت «عليهم السلام»،
وكان معلماً لأولاد ملوك بني أمية، فإنه كان أكثر جرأة، في هذا الأمر، فقد
روى عبد الرزاق عن معمر، قال: سألت عنه الزهري، فضحك، وقال: هو
علي بن أبي طالب، ولو سألت عنه هؤلاء قالوا: عثمان^(٣).

محنة أبي جندل، وحوادث أخرى:

قالوا: وفي حديث عبد الله بن مغفل، عند الإمام أحمد، والنسائي،
والحاكم، بعد أن ذكر نحو ما تقدم، قال: «فبينما نحن كذلك إذ خرج علينا
ثلاثون شاباً عليهم السلاح، فثاروا إلى وجوهنا، فدعا عليهم رسول الله

(١) راجع: المصادر المتقدمة.

(٢) المصنف للصنعاني ج ٥ ص ٣٤٣ ومناقب آل أبي طالب ج ١ ص ٣٠٥ والبحار
ج ٣١ ص ٢٢١ ومكاتيب الرسول ج ٣ ص ٨٤ والدر المنثور ج ٦ ص ٧٨ والنزاع
والتخاصم ص ١٢٧.

(٣) المصنف ج ٥ ص ٣٤٣ والنزاع والتخاصم ص ١٢٧ ومكاتيب الرسول ج ٣ ص ٨٤.

«صلى الله عليه وآله»، فأخذ الله بأسماعهم - ولفظ الحاكم بأبصارهم - فقمنا إليهم فأخذناهم، فقال لهم رسول الله «صلى الله عليه وآله»: هل جئتم في عهد أحد؟ وهل جعل لكم أحد أماناً؟ فقالوا: لا.

فخلى سبيلهم، فأنزل الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ...﴾^(١). وروى ابن أبي شيبة، والإمام أحمد، وعبد بن حميد، ومسلم، والثلاثة، عن أنس، قال: لما كان يوم «الحديبية» هبط على رسول الله «صلى الله عليه وآله» وأصحابه ثمانون رجلاً من أهل مكة في السلاح، من قبل جبل التنعيم، يريدون غرة رسول الله «صلى الله عليه وآله» فدعا عليهم، فأخذوا، فغفا عنهم^(٢).

وروى عبد بن حميد، وابن جرير عن قتادة، قال: ذكر لنا أن رجلاً من أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقال له: ابن زنيم اطلع الشية «يوم

(١) أخرجه: أحمد ج ٤ ص ٨٧ والبيهقي ج ٦ ص ٣١٩ والحاكم في المستدرک ج ٢ ص ٤٦١ وعن ابن الجوزي في زاد المسیر ج ٧ ص ٤٣٨ وانظر: الدر المنثور ج ٦ ص ٧٨ وأسباب نزول الآيات ص ٢٥٧ والجامع لأحكام القرآن ج ١٦ ص ٢٨١ وتفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٢٠٧ وفتح القدير ج ٥ ص ٥٣ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٥٤.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٥٤ - ٥٦ وقال: أخرجه مسلم ج ٣ ص ١٤٤٢ (١٨٠٨/١٣٣) وأحمد ج ٣ ص ١٢٤ والدر المنثور ج ٦ ص ٧٦. والغرة: هي الغفلة. أي: يريدون أن يصادفوا منه ومن أصحابه غفلة عن التأهب لهم ليتمكنوا من غدرهم والفتك بهم.

الحديبية»، فرماه المشركون فقتلوه.

فبعث نبي الله «صلى الله عليه وآله» خيلاً، فأتوا باثني عشر فارساً، فقال لهم رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «هل لكم عهد أو ذمة؟» قالوا: لا. فأرسلهم^(١).

وروى الإمام أحمد، وعبد بن حميد، ومسلم، عن سلمة بن الأكوع قال: إن المشركين من أهل مكة راسلونا في الصلح، فلما اصطلحنا، واختلط بعضنا ببعض أتيت شجرة فاضطجعت في ظلها، فأتاني أربعة من مشركي أهل مكة، فجعلوا يقعون في رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فأبغضتهم، وتحولت إلى شجرة أخرى، فعلقوا سلاحهم، واضطجعوا.

فبينما هم كذلك إذ نادى مناد من أسفل الوادي: يا للمهاجرين، قتل ابن زنيم، فاخترطت سيفي فاشتدت على أولئك الأربعة وهم رقود، فأخذت سلاحهم، وجعلته في يدي، ثم قلت: والذي كرم وجه محمد «صلى الله عليه وآله» لا يرفع أحد منكم رأسه إلا ضربت الذي فيه عيناه، ثم جئت بهم أسوقهم إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وجاء عمي عامر برجل من العبلات، يقال له: مكرز - من المشركين - يقوده حتى وقفناه على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال: دعوهم يكون لهم بدء الفجور وثنياء، فعفا عنهم رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأنزل الله تعالى: ﴿وَهُوَ

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٥٤ - ٥٦ وقال: أخرجه الطبري ج ٢٦ ص ٥٩ وذكره السيوطي في الدر المنثور ج ٦ ص ٧٦ وراجع: تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٢٠٧ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٧٨.

الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ﴿٢٢﴾

فبينما الناس على ذلك إذ أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في قيوده، قد خرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين. وكان أبوه سهيل قد أوثقه في الحديد وسجنه.

فخرج من السجن، واجتنب الطريق، وركب الجبال حتى أتى «الحديبية»، فقام إليه المسلمون يرحبون به ويهتئون.

فلما رآه أبوه سهيل قام إليه فضرب وجهه بغصن شوك، وأخذ بتليبيه ثم قال: «يا محمد، هذا أول ما أقاضيك عليه أن ترده».

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «إنا لم نقض الكتاب بعد».

قال: فوالله إذا لا أصالحك على شيء أبداً.

قال: «فأجزه لي».

قال: ما أنا بمجيزه لك.

قال: «بلى فافعل».

قال: ما أنا بفاعل.

فقال مكرز وحويطب: بلى قد أجزناه لك. فأخذه، فأدخله فسطاطاً، فأجازاه، وكف عنه أبوه.

فقال أبو جندل: أي معاشر المسلمين، أُرِدُّ إلى المشركين وقد جئت مسلماً؟ ألا ترون ما قد لقيت؟ وكان قد عذب عذاباً شديداً.

فرفع رسول الله «صلى الله عليه وآله» صوته، وقال: «يا أبا جندل، اصبر، واحتسب، فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً، إننا قد

عقدنا مع القوم صلحاً، وأعطيناهم وأعطونا على ذلك عهداً، وإنّا لا نغدر». ومشى عمر بن الخطاب إلى جنب أبي جندل، وقال له: اصبر، واحتسب، فإنما هم المشركون، وإنما دم أحدهم دم كلب. وجعل عمر يذني قائم السيف منه. قال عمر: رجوت أن يأخذ السيف فيضرب به أباه. قال: فضن الرجل بأبيه^(١).

وقد كان أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد خرجوا وهم لا يشكون في الفتح لرؤيا رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فلما رأوا ما رأوا من الصلح والرجوع، وما تحمل عليه رسول الله «صلى الله عليه وآله» في نفسه دخل على الناس من ذلك أمر عظيم، حتى كادوا يهلكون. فزادهم أمر أبي جندل على ما بهم، ونفذت القضية، وشهد على الصلح رجال من المسلمين ورجال من المشركين: أبو بكر، وعمر، وعبد الرحمن بن عوف، وعبد الله بن سهيل بن عمرو، وسعد بن أبي وقاص، ومحمود بن

(١) أخرجه: أحمد في المسند ج ٤ ص ٣٣٠ و ٣٢٣ و ٣٢٥ والبيهقي في دلائل النبوة ج ٥ ص ٣٣١ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٥٤ - ٥٦ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٣ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٢٢ والكامل في التاريخ ج ٢ ص ٢٨٢ والنص والإجتهد ص ١٧٧ ومكاتب الرسول ج ٣ ص ٩٣ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٩ ص ٢٢٧ وفتح الباري ج ٥ ص ٢٥٤ وتفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٢١١ وأسد الغابة ج ٥ ص ١٦١ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٩٣ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٧٨٣.

مسلمة، وعلي بن أبي طالب (رضي الله عنهم) ومكرز بن حفص وهو
مشرک^(١).

ونقول:

هناك نقاط نذكر القارئ بها، وهي التالية:

عمر وأبو جندل:

قد أوضح عمر: أنه يريد من أبي جندل أن يقتل أباه، مع أن رسول الله
«صلى الله عليه وآله» يريد أن يرجع أبو جندل مع أبيه.

فما هذا السعي لنقض مراد رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟!
وما هي النتائج التي سوف تترتب على قتل أبي جندل لأبيه، دون
استئذان من النبي «صلى الله عليه وآله»؟!
وهل سوف يصدق الناس أن أبا جندل قد قتل أباه بدون رضا رسول
الله «صلى الله عليه وآله»؟!!

وهل عرف عمر كيف ستتطور الأحوال مع قريش، وما هي الانطباعات
التي سوف يتركها عمل كهذا على المنطقة بأسرها، وعلى الأجيال؟!
هذه أسئلة تبقى تلح بطلب الإجابة. ولكن من أين.. وأنى؟!!

هل عندكم أمان أو عهد؟!:

إن قول النبي «صلى الله عليه وآله» للثلاثين رجلاً: هل جئتم في عهد
أحد؟!!

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٥٦.

ثم قوله: هل جعل أحد لكم أماناً؟! يدل على: أن هؤلاء الثلاثين كانوا من المشركين المحاربين للمسلمين..

وقد ظهر: أنهم قد اقتحموا معسكر المسلمين بالسلاح..
مما يعني: أنهم قد جاؤوا بهدف الإيقاع بالمسلمين، فلا بد من أن يُعدُّوا من أسرى الحرب، الذين لا يشملهم عهد الحديبية.

وسهيل بن عمرو لم يطالب بهم، إن كانوا قد أسروا قبل كتابة العهد..
وإن كانوا قد أسروا بعده فلا بد أن يعد ذلك نقضاً للصالح، وليس لقريش أن تطالب بهم أيضاً. بل يكون رضاها بفعلهم إعلاناً لحالة الحرب مع النبي «صلى الله عليه وآله»..

ولكن النبي «صلى الله عليه وآله» بادر إلى تخلية سبيلهم كرمًا منه ونبلاً، ولم يكلف قريشاً حتى أن تعتذر عما بدر منهم، فضلاً عن أن تلتمس منه إطلاق سراحهم..

وهذا إعلان آخر عن حقيقة ما يسعى إليه، ويعمل من أجله، وأنه ليس طالب حرب ولا ناشد زعامة، وليس مفسداً ولا ظالماً، ولا معتدياً على أحد، فكل ما تشيعه قريش ما هو إلا محض أكاذيب، وهو محض التجني والبغي، والمكر السيئ، ولا يحق المكر السيئ إلا بأهله.

وهذا الكلام هو نفسه يقال بالنسبة للشانين رجلاً الآخرين، الذين جاؤوا من قبل جبل التنعيم، يريدون غرة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فأخذوا، ثم عفا عنهم «صلى الله عليه وآله»..

اثنا عشر رجلاً آخر:

وأما بالنسبة للاثني عشر مشركاً الذين أرسل النبي «صلى الله عليه وآله» خيلاً فأتوا بهم، حين قتل ابن زنيم.. فالذي يبدو لنا: أنه «صلى الله عليه وآله» قد بادر إلى أخذهم ثم إطلاق سراحهم، ليثبت لهم: أنه قادر على مواجهة بغيهم إلى حد إنزال الضربات القاصمة بهم، وأن مرونته معهم ليست ناشئة عن ضعف أو خوف.. بل هي حكمة وروية، وعفو منه وتسامح، وتعظيم للحرم.. ويوضح ذلك: أنه حين جيء بهم، قال لهم: «هل لكم عهد أو ذمة؟! فقالوا: لا..».

وذلك ليفهمهم: أنه لو أراد قتلهم، فإنه سيكون محققاً؛ لأنهم معتدون، ومحاربون، وليس لديهم عهد يمنعه من ذلك، كما أنهم لم يدخلوا في ذمة أحد، ليرى نفسه ملزماً بمراعاة ذمته.

وهذا يعني: أنه لو قتلهم فليس لأحد أن يلومه في ذلك، أو يمنعه منه.. ولكنه «صلى الله عليه وآله» عفا عنهم لكي يثوبوا إلى رشدهم، ولتكون هذه رسالة أخرى إلى كل أحد، تؤكد على: أنه لا يلجأ إلى القتل إلا حين لا يمكن دفع خطر العدو بدون ذلك.

ويؤكد ذلك: أن هذا العقوق قد تكرر منهم، ولم يكن مجرد حالة استثنائية، فقد عفا عن الثمانين مع الثلاثين الذين هاجموا، وطلبوا غرته لكي يوقعوا به..

متى قتل ابن زنيم؟!

وقد صرحت رواية سلمة بن الأكوع المتقدمة: بأن هذه الأحداث قد حصلت حينما كان سهيل بن عمرو ومن معه يفاوضون رسول الله «صلى

الله عليه وآله» في أمر الصلح..

وإن كان سلمة قد سعى إلى أن ينسب لنفسه في روايته هذه بطولة لم تنقل لنا عن غيره، فنحن نصدقه فيما نقله من أن قتل ابن زنيم كان في هذا الوقت، ونشك فيما نسبته لنفسه من بطولات لم ينقلها أحد سواه.

واللافت: أن هذا الأمر قد تعودناه من سلمة بن الأكوع حيث نسب لنفسه بطولات عظيمة تقدم الحديث عنها، مع أنه لم ينقلها أحد سواه.

سهيل يضرب ولده:

والغريب في الأمر: أن سهيل بن عمرو، الرجل الأريب، والمجرب، والمعروف بحكمته وتدبيره يخرج عن حالة التوازن، ويتجاوز كل الآداب واللياقات، ويتحول إلى جلاد شرس بمجرد أن رأى ابنه أبا جندل يلتجئ للمسلمين.. غير مبال في أن تتسبب تصرفاته الرعناء بنقض الصلح الذي جاء من أجله.

وقد كان باستطاعة النبي «صلى الله عليه وآله» أن يخضعه للتأديب، ويمنعه من تصرفاته تلك بالأسلوب الذي يستحقه، حتى لو أدى إلى نقض الصلح، ونشوب الحرب.

وسيكون محققاً، حتى في نظر أهل الشرك، وسوف يوجّه كل اللوم إلى مبعوثهم الذي ارتكب هذه الحماقة، وتحول من رجل عاقل أريب إلى رجل طائش أرعن، أوقعهم في مأزق خطير، قد يؤدي بكل تطلعاتهم وخططهم.. ولكنه «صلى الله عليه وآله» آثر مراعاة مصلحة الإسلام العليا، وذلك بحفظ حرمة بيت الله، وفسح المجال للوصول إلى الأهداف الكبرى، من

دون إراقة دماء.. وهكذا كان.

الصلف الذي لا يطاق:

وقد أمعن سهيل في صلفه ورعونته، وردَّ كل طلب من رسول الله «صلى الله عليه وآله».. إلى حدٍّ جعل مكرز بن حفص، وحويطب بن عبد العزى في موقع الإحراج الشديد، واضطرهما للتدخل لحفظ ماء الوجه من جهة، وحفظ فرصة عقد الهدنة وخشية على الصلح الذي جاؤوا من أجله من جهة أخرى، فإن المهم عندهم هو إبرامه وأن لا يتعرض لنكسة خطيرة، لا طاقة لقريش بتحملها، ولا قدرة لها على مواجهة تبعاتها وآثارها.

هل في موقف الرسول ' تناقض؟!

وقد يقال: إن النبي «صلى الله عليه وآله» قد قال لسهيل حين ضرب ولده بغصن شوك: إنا لم نقض الكتاب بعد، ولكنه عاد فقال لأبي جندل: إنا قد عقدنا مع القوم صلحاً الخ..

فهل بين كلاميه «صلى الله عليه وآله» تناقض؟!

ونجيب: لا، لا تناقض بين الكلامين، فإن الاتفاق - كلامياً - كان قد تم بين الفريقين، فيصح أن يقال: قد عقدنا مع القوم صلحاً. وقد قال «صلى الله عليه وآله»: عقدنا، ولم يقل: كتبنا.

أما كتاب الصلح، فلم تكن كتابته قد تمت..

فيصح أن يقول: إنا لم نقض الكتاب بعد. فعبر بالكتاب، وقال عنه: إنه لم يقض بعد، أي لم يتم، ولم يعبر بعقد الصلح.

وبذلك يتضح: مدى الدقة في التعابير التي صدرت من النبي الكريم..

إنّا لا نغدر:

وقد رأينا: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» يعلن: أن أهل الإسلام لا يغدرون بمن يعاقدونهم ويعاهدونهم، ويخاطب أبا جندل بهذا الخطاب، ويرفع بذلك صوته، ليسمعه سهيل وسواه، ثم يسعى عمر بن الخطاب لإقناع نفس أبي جندل بقتل أبيه سهيل بن عمرو غيلةً وغدرًا!! ويدني إليه قائم سيفه ليغريه بهذا الأمر الشنيع، الذي يتضمن نقضاً وتكذيباً للرسول «صلى الله عليه وآله»..

ثم إننا لا ندري، إلى ما ستؤول إليه الأمور لو أن أبا جندل فعل ذلك؟!

وكيف سينظر الناس إلى هذه الحادثة؟! وكيف ستستغلها قريش؟! وما هي النظرة التي سوف تتكون لدى الناس في تلك الحقبة، وسواها إلى يوم القيامة عن طاعة أصحاب النبي له «صلى الله عليه وآله»، ومدى انصياعهم لأوامره، وقدرته على أن يلزمهم بالتعهدات والمواثيق التي يعطيها عنهم، بصفته رئيساً لهم؟!

أفلا يؤدي تصرف أخرق كهذا إلى تضييع كل جهود وجهاد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وبوار أهدافه، وعقم كل تدبيره، وانقلاب الأمور رأساً على عقب، وربما عودتها إلى نقطة الصفر، أو ما هو أدنى من ذلك؟!..

غضب قريش من خزاعة:

وقد كان من الطبيعي: أن تغضب قريش من دخول خزاعة في حلف رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

وكان أول رد فعل ظهر على هذه المبادرة هو: أن أحد المفاوضين، وهو حويطب بن عبد العزى، التفت إلى سهيل بن عمرو، وقال: بادأنا أخوالك بالعداوة، وقد كانوا يستترون منا، وقد دخلوا في عهد محمد وعقده!! فقال سهيل: ما هم إلا كغيرهم، هؤلاء أقاربنا ولحمنا، قد دخلوا مع محمد، قوم اختاروا لأنفسهم أمراً، فما نصنع بهم؟! قال حويطب: نصنع بهم: أن ننصر عليهم حلفاءنا بني بكر. قال سهيل: إياك أن يسمع منك هذا بنو بكر، فإنهم أهل شؤم، فيقعوا بخزاعة، فيغضب محمد لحلفائه، فينقض العهد بيننا وبينه. قال حويطب: والله حظوت أخوالك بكل وجه.. فقال سهيل: ترى أخوالي أعز عليّ من بني بكر؟! ولكن والله لا تفعل قريش شيئاً إلا فعلته، فإذا أعانت بني بكر على خزاعة، فإنها أنا رجل من قريش، وبنو بكر أقرب إليّ في قدم النسب، وإن كان هؤلاء الخؤولة. وبنو بكر من قد عرفت، لنا منهم مواطن كلها ليست بحسنة، منها يوم عكاظ^(١).

ونقول:

إن هذا النص يشير: إلى حاجة قريش إلى هذا الصلح، وحرصها على إمضائه. كما أنه يدل على: أن الثقة بين أركان الشرك كانت غير وطيئة ولا تصلح للاعتماد عليها..

(١) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٦١٢.

ويدل أيضاً: على أن قريشاً لم تجد في دخول بني بكر في حلفها ما يسعدها، لأن لها منها مواطن غير حميدة..

ولكننا في المقابل نجد: أن خزاعة كانت عيبة نصح لرسول الله «صلى الله عليه وآله».. رغم أنها لم تكن على دينه.

ولعل الأمر، والأضر والأشّر بالنسبة لقريش: أن خزاعة هي التي بادرت إلى الدخول في حلف عدوها في حركة أظهرت: أنها كانت تنتظر الفرصة، فلما واتتها بادرت إلى اقتناصها.

يضاف إلى ذلك: أن خزاعة قد أظهرت جرأة عظيمة حين دخلت في حلف النبي «صلى الله عليه وآله»؛ في حين أنها لم تكن تعيش في منطقة نفوذه «صلى الله عليه وآله»، ليقال: إنها بحاجة إلى مهادنته، وحماية نفسها من سائر القبائل بالدخول في حلفه.

بل هي بعملها هذا قد رفضت محيطها وتمردت عليه، وربطت مصيرها بمن هو بعيد عنها.

ومن شأن هذا أن يسيء إلى سمعة قريش، ويضع علامات استفهام كبيرة على مصداقيتها، وعلى هيبتها، وعلى سياساتها.. و..

صلح الحديبية لا يشمل النساء:

وقد ذكرت النصوص التاريخية والحديثية: أن عدداً من النساء قد هاجرن من مكة إلى المدينة بعد الحديبية، وأن قريشاً قد طلبت من النبي «صلى الله عليه وآله»، أن يرجعهن إليها، فرفض «صلى الله عليه وآله» ذلك

معلناً: أن نصوص صلح الحديبية لا تشمل النساء^(١).

وقد ذكرت بعض المصادر: أن العبارة الموجودة في الاتفاقية تقول: «فقال سهيل: على أنه لا يأتيك من (رجل)، وإن كان على دينك إلا رددته إلينا، ومن جاءنا ممن معك لا نرده عليك»^(٢).

(١) البحار ج ٢٠ ص ٣٣٩ وعن ج ٨٩ ص ٦٧ وعن فتح الباري ج ٨ ص ٤٨٨ وعن تفسير مجمع البيان ج ٩ ص ٤٥٣ ونور الثقلين ج ٥ ص ٣٠٤ وجامع البيان ج ٢٨ ص ٨٨ وأسباب نزول الآيات ص ٢٨٥ وزاد المسير ج ٨ ص ٨ وجامع لأحكام القرآن ج ١٨ ص ٦١ و ٦٤ وتفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٣٧٦ وتفسير الجلالين ص ٧٦٦ والدر المنثور ج ٦ ص ٢٠٦ ولباب النقول ص ١٩٤ وتفسير الثعالبي ج ٥ ص ٤٢٠ وفتح القدير ج ٥ ص ٢١٥ والطبقات الكبرى ج ٨ ص ١٣ وتاريخ مدينة دمشق ج ٧٠ ص ٢٢٠ وأسد الغابة ج ٥ ص ٤٧٥ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج ٢ ص ٦٤٧ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٧٩٠.

(٢) البحار ج ٢٠ ص ٣٣٤ ومجمع البيان ج ٩ ص ١١٦ - ١١٩ والكافي ج ٨ ص ٣٢٧ وكتاب سليم بن قيس ص ٣٢٩ ومسند أحمد ج ٤ ص ٣٣٠ وعن صحيح البخاري ج ٣ ص ١٨١ وعن سنن أبي داود ج ١ ص ٦٢٩ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٩ ص ٢٢٠ وعن فتح الباري ج ٥ ص ٢٥٢ والمصنف لعبد الرزاق ج ٥ ص ٣٣٨ وصحيح ابن حبان ج ١١ ص ٢٢٣ وعن المعجم الكبير ج ٢٠ ص ١٣ ونصب الراية ج ٣ ص ٢٤٨ وإرواء الغليل ج ١ ص ٥٧ وجامع البيان ج ٢٦ ص ١٢٩ وتفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٢١٣ والدر المنثور ج ٦ ص ٧٧ وتاريخ مدينة دمشق ج ٥٧ ص ٢٢٩ وسير أعلام النبلاء ج ١ ص ١٩٢ والبداية والنهاية ج ٤ ص ٢٠٠ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج ٢ ص ٦٣٠ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٣٣٣.

فلا صحة لما يدَّعيه البعض: من أن القرآن قد نزل بنقض العهد فيما يختص بإرجاع النساء^(١).

على أنه: لو صح ذلك، فلا بد أن تتخذه قريش ذريعة للتشهير، ولسوف لا تقبل الاعتذار بهذا النقص القرآني، ما دامت لا تعترف بالقرآن، ولا تراه وحياً، وقد تجلّى ذلك من مواقف ممثلها سهيل بن عمرو حين كتابة العهد، حيث أصرَّ على حذف كلمة رسول الله، وعلى استبدال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ بـ: «باسمك اللهم».

١- سبيعة الأسلمية:

ومن النسوة اللواتي جئن إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» بعد الحديبية: «سبيعة بنت الحارث الأسلمية».

وقيل: هي أسلمية، ولكنها غير بنت الحارث^(٢).

فإنها جاءت مسلمة بعد الفراغ من الكتاب، وطيه، والنبى «صلى الله عليه وآله» في الحديبية.

فأقبل زوجها مسافر (من بني مخزوم، وقيل: بل زوجها هو صيفي بن الراهب في طلبها)، وكان كافراً، فقال: يا محمد، أردد عليّ امرأتى، فإنك قد شرطت لنا أن ترد علينا من أتاك منا. وهذه طينة الكتاب لم تجف بعد.. فنزلت الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ

(١) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٦ والطبقات الكبرى ج ٨ ص ٢٣٠.

(٢) الإصابة ج ٤ ص ٣٢٥ وشرح أصول الكافي ج ١٢ ص ٤٥٣ والبحار ج ٢٠ ص ٣٣٧ ونور الثقلين ج ٥ ص ٣٠٤ وزاد المسير ج ٨ ص ٨ وتاريخ المدينة ج ٢ ص ٤٩٢.

فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمَ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ^(١). فاستحلفها رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ما خرجت بغضاً لزوجها، ولا عشقاً لرجل منا، وما خرجت إلا رغبة في الإسلام: فحلفت بالله الذي لا إله إلا هو على ذلك. فأعطى رسول الله «صلى الله عليه وآله» زوجها مهرها، وما أنفق عليها، ولم يردها عليه، فتزوجها عمر بن الخطاب^(٢).

٢- أروى بنت ربيعة:

أروى بنت ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب: وقد كانت أروى بنت ربيعة ممن فر إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» من نساء الكفار، فحبسها النبي «صلى الله عليه وآله»، ولم يرجعها إليهم وزوجها خالد بن سعيد بن العاص^(٣).

٣- أميمة بنت بشر:

وكانت أميمة بنت بشر عند ثابت بن الدحداحة، ففرت منه إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فزوجها رسول الله «صلى الله عليه وآله» سهل بن حنيف، فولدت عبد الله بن سهل^(٤).

(١) الآية ١٠ من سورة الممتحنة.

(٢) راجع فيما تقدم: البحار ج ٢٠ ص ٣٣٧ و ٣٣٨ والإصابة ج ٤ ص ٣٢٥ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٦ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٢٣.

(٣) البحار ج ٢٠ ص ٣٣٨ وعن تفسير مجمع البيان ج ٩ ص ٤٥٣ وجامع البيان ج ٢٨ ص ٩٢.

(٤) البحار ج ٢٠ ص ٣٣٨ وراجع: الإصابة ج ٤ ص ٢٣٩ وفيه: أنها كانت تحت حسان =

٤- أم كلثوم بنت عقبة:

وقد جاءت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط مسلمة مهاجرة من مكة أيضاً، فجاء أخوها الوليد وعمارة إلى المدينة، فسألا رسول الله «صلى الله عليه وآله» ردها عليهما. فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «إن الشرط بيننا في الرجال لا في النساء»، فلم يردّها عليهما^(١).

٥- زينب ربيبة رسول الله:

قال الشعبي: وكانت زينب امرأة أبي العاص بن الربيع قد أسلمت، ولحقت بالنبي «صلى الله عليه وآله»، ثم أتى أبو العاص مسلماً، فرد النبي «صلى الله عليه وآله» زينب عليه بنكاح جديد، وقيل: بالنكاح الأول. وقد تقدم: أن قضية زينب لا ارتباط لها بالحديبية، وأنه قد ردها عليه بنكاح جديد فراجع^(٢).

= بن الدحداحة، وجامع البيان ج ٢٨ ص ٩٢ وعن تفسير مجمع البيان ج ٩ ص ٤٥٣.
(١) البحار ج ٢٠ ص ٣٣٩ و ٣٧٣ وراجع: الإصابة ج ٤ ص ٤٩١ والإستيعاب (مطبوع مع الإصابة) ج ٤ ص ٤٨٨ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٥ و ٢٦ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٢٣ و ٢٤ وعن فتح الباري ج ٩ ص ٣٤٥ وعن تفسير مجمع البيان ج ٩ ص ٤٥٣ ونور الثقلين ج ٥ ص ٣٠٤ والجامع لأحكام القرآن ج ١٨ ص ٦١ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج ٢ ص ٦٤٧.
(٢) تقدم الحديث عن زينب وإرجاعها إلى زوجها في الجزء السابق من هذا الكتاب.

وفي بعض النصوص: أن أبا العاص هو الذي أذن لها بإتيان المدينة^(١).

نساء لحقن بالمشركون:

أما بالنسبة للنساء اللواتي رجعن عن الإسلام، وعدن إلى بلاد الشرك فقد ذكر الزهري أنهن ست نساء، وهن:

- ١ - أم الحكم بنت أبي سفيان، وكانت تحت عياض بن شداد الفهري.
 - ٢ - فاطمة بنت أبي أمية بن المغيرة، أخت أم سلمة، كانت تحت عمر بن الخطاب، فلما أراد أن يهاجر أبت وارتدت.
 - ٣ - يروع بنت عقبة، كانت تحت شماس بن عثمان.
 - ٤ - عبدة بنت عبد العزى بن نضلة (أو فضلة)، كان زوجها عمرو بن عبد ود.
 - ٥ - هند بنت أبي جهل، كانت تحت هشام بن العاص بن وائل.
 - ٦ - كلثوم بنت جروول (أو أم كلثوم). كانت تحت عمر.
- فأعطى رسول الله «صلى الله عليه وآله» أزواجهن من المسلمين مهور نسائهم من الغنيمة^(٢).

(١) البحار ج ٢٠ ص ٣٦٤ عن إعلام الوری ج ١ ص ٢٠٦ وتاريخ مدينة دمشق ج ٦٧ ص ١٥ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج ٢ ص ٦٤٥.

(٢) البحار ج ٢٠ ص ٣٤١ والمحبر لابن حبيب ص ٤٣٢ وعن تفسير مجمع البيان ج ٩ ص ٤٥٥ والميزان ج ١٩ ص ٢٤٥ والجامع لأحكام القرآن ج ٨٨ ص ٧٠.

الفصل الثالث:

إدانة البريء

هل عصى علي × أمر رسول الله ؟!

وزعم البخاري وغيره: أنه «صلى الله عليه وآله» أمر علياً «عليه السلام»: أن يكتب في بداية عهد الحديبية: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾. فقال سهيل بن عمرو: لا أعرف هذا، ولكن اكتب باسمك اللهم. فقال «صلى الله عليه وآله»: اكتب: باسمك اللهم. فكتب «عليه السلام» ذلك.

ثم قال «صلى الله عليه وآله»: اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو، (فكتب)، فاعترض عليه سهيل، وقال: لو نعلم أنك رسول الله ما قاتلناك، ولا صددناك، ولكن اكتب اسمك، واسم أبيك. فأمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» علياً «عليه السلام» بمحوها.. فزعموا: أن علياً «عليه السلام» قال: لا والله لا أحاك أبداً. أو قال: إن يدي لا تنطلق بمحو اسمك من النبوة، أو ما أنا بالذي أحاه.. أو نحو ذلك.

فمحا «صلى الله عليه وآله».

أو فقال له «صلى الله عليه وآله»: ضع يدي عليها. أو أرني إياها، فأراه، فمحا بيده. أو فأخذه رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وليس يحسن أن

يكتب. ثم قال: اكتب الخ..^(١).

(١) راجع المصادر التالية: العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٢ ق ٢ ص ٣٤ و ٣٥ والجامع لأحكام القرآن ج ١٦ ص ٢٧٥ - ٢٧٧ وروح المعاني ج ٩ ص ٥ وعمدة القاري ج ١٤ ص ١٢ و ١٣ وج ١٣ ص ٢٧٥ وتفسير القمي ج ٢ ص ٣١٢ و ٣١٣ وتفسير نور الثقلين ج ٥ ص ٥٢ و ٥٣ وتفسير الصافي ج ٥ ص ٣٥ و ٣٦ وتفسير البرهان ج ٤ ص ١٩٢ وحبيب السير ج ١ ص ٣٧٢ وتفسير الميزان ج ١٨ ص ٢٦٧ ومجمع البيان ج ٩ ص ١١٨ والبحار ج ٢٠ ص ٣٥٢ و ٣٥٩ و ٣٣٣ و ٣٧١ و ٣٦٣ و ٣٥٧ وج ٣٣ ص ٣١٤ وصحيح مسلم ج ٥ ص ١٧٣ و ١٧٤ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٢١ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٠ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٤٣ والكامل في التاريخ ج ٢ ص ٢٠٤ وج ٣ ص ٣٢٠ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٦٣٦ وشرح بهجة المحافل ج ١ ص ٣١٦ و ٣١٧ والمواهب اللدنية ج ١ ص ١٢٨ وصحيح البخاري ج ٢ ص ٧٣ وتاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص ٣٩٠ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٤ ص ١٤٦ و ١٤٧ وحدائق الأنوار ج ٢ ص ٦١٦ والأموال ص ٢٣٢ و ٢٣٣ وتفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٢٠٢ وتفسير الخازن ج ٤ ص ١٥٦ و ١٥٧ وكشف الغمة ج ١ ص ٢١٠ والإرشاد للمفيد ج ١ ص ١٢٠ وإعلام الوری ص ٩٧ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٥٤ و ٥٣ وعن السنن الكبرى للبيهقي ج ٨ ص ٥ وعن مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٢٠ وعن تاريخ بغداد ونهاية الأرب ج ١٧ ص ٢٣٠ وأصول السرخسي ج ٢ ص ١٣٥ والإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ج ١١ ص ٢٢٢ و ٢٢٣ ومسند أبي عوانة ج ٤ ص ٢٣٧ و ٢٣٩ وصبح الأعشى ج ١٤ ص ٩٢ والعثمانية ص ٧٨ وتاريخ ابن الوردي ج ١ ص ٢١٥ وخصائص الإمام علي «عليه السلام» للنسائي ص ١٥٠ و ١٥١ ومسند أحمد ج ٤ ص ٢٩٨ وفضائل الخمسة من الصحاح الستة ج ٢ ص ٢٣٣ - ٢٣٦ وإحقاق الحق =

بل ذكر ابن حبان: أنه «صلى الله عليه وآله» أمر علياً «عليه السلام»
بمحو اسمه مرتين، فأبى ذلك فيهما معاً^(١).

وعن محمد بن كعب: أن علياً «عليه السلام» جعل يتلأ ويكي،
ويأبى أن يكتب إلا محمد رسول الله، فقال له: اكتب، فإن لك مثلها،
وتعطيها وأنت مضطهد.
فكتب ما قالوا^(٢).

= (الملحقات) ج ٨ ص ٤١٩ و ٤٢٠ و ٦٣٧ و ٦٣٨ و ٦٤١ و ٦٤٢ و ج ١٨
ص ٣٦١ عن بعض من تقدم وعن مصادر أخرى فليراجع. وشرح نهج البلاغة
للمعتزلي ج ٢ ص ٢٧٥ ومناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ٢١٤ ومشكل الآثار ج ٤
ص ١٧٣ والرياض النضرة ج ٢ ص ١٩١.

(١) الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ج ١١ ص ٢٢٢ و ٢٢٣.
(٢) راجع: مجمع البيان ج ٩ ص ١١٩ ومناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ٢١٤ وبحار
الأنوار ج ٢٠ ص ٣٣٥ و ج ٣٣ ص ٣١٤ و ٣١٦ و ٣١٧ وسبل الهدى والرشاد
ج ٥ ص ٥٤ وتاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص ٣٩٠ ودلائل النبوة للبيهقي
ج ٤ ص ١٤٧ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٠ والسيرة النبوية لدحان ج ٢ ص ٤٣.
وعن وعد النبي «صلى الله عليه وآله» لعلي بأن له مثلها وهو مقهور راجع أيضاً: تاريخ
الخميس ج ٢ ص ٢١ والكامل في التاريخ ج ٢ ص ٢٠٤ وحيب السير ج ١
ص ٣٧٢ وتفسير البرهان ج ٤ ص ١٩٣ والبحار ج ٢ ص ٣٥٢ و ٣٥٧ وتفسير
القمي والخرايج والجرايح وغير ذلك كثير. والخصائص للنسائي (ط التقديم
بمصر) ص ٥٠ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١ ص ١٩٠ و ج ٢ ص ٥٨٨
والمغني لعبد الجبار ج ١٦ ص ٤٢٢ وينايع المودة ص ١٥٩ وصبح الأعشى
ج ١٤ ص ٩٢.

ظهور الحق الدفين:

وقد وجد أنصار الأمويين، وأتباع مناوئي علي وأهل البيت «عليهم السلام» - وجدوا بزعمهم - الفرصة سانحة لتوجيه ضربتهم، فقالوا: إذا كان الشيعة يحشدون الشواهد المتواترة على مخالفات صريحة، أو قبيحة، ومؤذية صدرت من عدد من الصحابة لأوامر رسول الله «صلى الله عليه وآله».. فإن علياً «عليه السلام» قد وقع في نفس المحذور، حين رفض امتثال أمر النبي «صلى الله عليه وآله» بمحو وكتابة ما يمليه عليه. حتى لقد قال السرخسي: «لقد كان هذا الإباء بالرأي في مقابلة النص»^(١).

وفي سؤال وجه للسيد المرتضى، جاء ما يلي: «..ليس يخلو، إما أن يكون قد علم أن النبي «صلى الله عليه وآله» لا يأمر إلا بما فيه مصلحة، وتقتضيه الحكمة والبيّنات، وأن أفعاله عن الله سبحانه وبأمره، أو لم يعلم. فإن كان يعلم، فلم خالف ما علم؟! وإن كان لم يعلمه، فقد جهل ما تدّعيه العقول من عصمة الأنبياء عن الخطأ، وجوّز المفسدة فيما أمر به النبي «صلى الله عليه وآله» لهذا، إن لم يكن قطع بها.

وهل يجوز أن يكون أمير المؤمنين «عليه السلام» توقف عن قبول الأمر، لتجويزه أن يكون أمر النبي «صلى الله عليه وآله» معتبراً له ومختبراً؟! مع ما في ذلك لكون النبي «صلى الله عليه وآله» عالماً بإيمانه قطعاً، وهو

(١) أصول السرخسي ج ٢ ص ١٣٥.

خلاف مذهبكم، ومع ما فيه من قبح الأمر على طريق الاختبار بما لا مصلحة في فعله على كل حال.

فإن قلت: إنه يجوز أن يكون النبي «صلى الله عليه وآله» قد أضمر محذوفاً، يخرج الأمر به من كونه قبيحاً.

قل لكم: فقد كان يجب أن يستفهم ذلك، ويستعلمه منه، ويقول: فما أمرتني قطعاً من غير شرط أضمرته أولاً^(١).

ونقول:

أولاً: لقد أجاب السيد المرتضى بما يتوافق مع مذاق المعترض في نظره للأمور، ونوضح مراده على النحو التالي:

لو سلمنا: صدور هذا الأمر من علي «عليه السلام»، فهو لا يدل على عدم عصمته، لأنه جَوَّز أن يكون أمر النبي «صلى الله عليه وآله» بالمحو ليس أمراً حقيقياً، بل مجازاة لسهيل، لا لأنه «صلى الله عليه وآله» يؤثر ذلك.. فتوقف حتى يظهر: أنه مؤثر له.

وتوقفه هذا يقوم مقام الاستفهام، لتؤكد له حقيقة هذا الطلب، وأنه أمر حقيقي، أو ليس بحقيقي^(٢).

قال العيني عن قوله «عليه السلام»: «ما أنا بالذي محاه: ليس بمخالفة لأمر رسول الله «صلى الله عليه وآله»؛ لأنه علم بالقرينة أن الأمر ليس

(١) رسائل الشريف المرتضى ج ١ ص ٤٤١ و ٤٤٢.

(٢) رسائل الشريف المرتضى ج ١ ص ٤٤٢.

للإيجاب»^(١).

وقال القسطلاني، والنووي: «قال العلماء: هذا الذي فعله علي من باب الأدب المستحب، لأنه لم يفهم من النبي «صلى الله عليه وآله» تحتم محو علي نفسه، ولهذا لم ينكر عليه، ولو حتم محوه لنفسه لم يجز لعلي تركه، ولا أقره النبي «صلى الله عليه وآله» على المخالفة»^(٢).

ثانياً: إن هذه القضية موضع شك وريب من أساسها، وذلك لأسباب عديدة، سوف نوردتها في الفقرة التالية..

الشك فيما ينسب لعلي × :

إن شكنا في صحة ما ينسب إلى علي «عليه السلام» يستند إلى الأمور التالية:

أولاً: إن علياً «عليه السلام» يقول: «لقد علم المستحفظون من أصحاب محمد: أني لم أرد على الله ولا على رسوله ساعة قط الخ»^(٣). قال المعتزلي - وهو يشير إلى اعتراضات بعض الصحابة على النبي

(١) رسائل الشريف المرتضى ج ١ ص ٤٤٣.

(٢) شرح صحيح مسلم ج ١٢ ص ١٣٥.

(٣) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج ٢ ص ١٩٦ و ١٩٧ وراجع: شرح النهج للمعتزلي ج ١٠ ص ١٧٩ و ١٨٠ و غرر الحكم ج ٢ ص ٢٨٨ (مع الترجمة الفارسية للأنصاري) و شرح أصول الكافي ج ١٢ ص ٤٥٤ والبحار ج ٣٨ ص ٣١٩ والأنوار البهية ص ٥٠ والمراجعات ص ٣٣٠ ونبأ المودة ج ١ ص ٢٦٥ وج ٣ ص ٤٣٦.

«صلى الله عليه وآله» في الحديثية -: «إن هذا الخبر صحيح لا ريب فيه،
والناس كلهم رَوَوْهُ»^(١).

ويؤكد ذلك: أن النبي «صلى الله عليه وآله» يقول: «علي مع الحق،
والحق مع علي، يدور معه حيث دار»، أو «علي مع القرآن، والقرآن مع
علي»، ونحو ذلك^(٢). فإن من يكون مع الحق ومع القرآن، لا يمكن أن
تصدر منه مخالفة لرسول الله «صلى الله عليه وآله» ولا عصيان لأمره.
ويؤكد مدى طاعة علي للرسول «صلى الله عليه وآله»، قوله «عليه
السلام»: أنا عبد من عبيد محمد^(٣).

فهل يمكن أن يقارن من هذا حاله بمن يقول عن نفسه: أنا زميل

(١) شرح النهج للمعتزلي ج ١٠ ص ١٨٠.

(٢) راجع: دلائل الصدق ج ٢ ص ٣٠٣ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٨ ص ٧٢
وعبقات الأنوار ج ٢ ص ٣٢٤ عن السندي في دراسات اللبيب ص ٢٣٣
وكشف الغمة ج ٢ ص ٣٥ وج ١ ص ١٤١ - ١٤٦ والجمل ص ٨١ وتاريخ بغداد
ج ١٤ ص ٣٢١ ومستدرك الحاكم ج ٣ ص ١١٩ و ١٢٤ وتلخيص المستدرك
للذهبي (مطبوع بهامشه) وريبع الأبرار ج ١ ص ٨٢٨ و ٨٢٩ ومجمع الزوائد
ج ٧ ص ٢٣٤ ونزل الأبرار ص ٥٦ وفي هامشه عنه وعن: كنوز الحقائق ص ٦٥
وعن كنز العمال ج ٦ ص ١٥٧ وملحقات إحقاق الحق ج ٥ ص ٧٧ و ٢٨ و ٤٣
و ٦٢٣ و ٦٣٨ وج ١٦ ص ٣٨٤ و ٣٩٧ وج ٤ ص ٢٧ عن مصادر كثيرة جداً.

(٣) بحار الأنوار ج ٣ ص ٢٨٣ والتوحيد للصدوق ص ١٧٤ والإحتجاج ج ١
ص ٤٩٦ والكافي ج ١ ص ٩٠ وشرح أصول الكافي ج ٣ ص ١٣٠ و ١٣١
وعوالي اللآلي ج ١ ص ٢٩٢ والفصول المهمة ج ١ ص ١٦٨ والبحار ج ٣
ص ٢٨٣ وعن ج ١٠٨ ص ٤٥ ونور البراهين ج ١ ص ٤٣٠.

محمد؟!^(١).

وقد بلغ التزامه بحرفية أوامره «صلى الله عليه وآله»: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال له في خير: «اذهب ولا تلتفت، حتى يفتح الله عليك». فمشى هنيهة، ثم قام ولم يلتفت للعزمة، ثم قال: علام أقاتل الناس؟ قال النبي «صلى الله عليه وآله»: قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله^(٢).

-
- (١) راجع: تاريخ الأمم والملوك (ط مطبعة الاستقامة) ج ٣ ص ٢٩١ والغدير ج ٦ ص ٢١٢ ومكاتب الرسول ج ١ ص ٥٩٠ وج ٣ ص ٧١٦ والفايق في غريب الحديث ج ١ ص ٤٠٠ وج ٢ ص ١١.
- (٢) راجع: أنساب الأشراف (بتحقيق المحمودي) ج ٢ ص ٩٣ والإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ج ١٥ ص ٣٨٠ وإسناده صحيح، ومسند أحمد ج ٢ ص ٣٨٤ - ٣٨٥ وصحيح مسلم ج ٧ ص ١٢١ وسنن سعيد بن منصور ج ٢ ص ١٧٩ وخصائص أمير المؤمنين للنسائي ص ٥٨ و ٥٩ و ٥٧ وترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق (بتحقيق المحمودي) ج ١ ص ١٥٩ والغدير ج ١٠ ص ٢٠٢ وج ٤ ص ٢٧٨ وفضائل الخمسة من الصحاح الستة ج ١ ص ٢٠٠ ومسند الطيالسي ص ٣٢٠ وطبقات ابن سعد ج ٢ ص ١١٠ وشرح أصول الكافي ج ٦ ص ١٣٦ وج ١٢ ص ٤٩٤ ومناقب أمير المؤمنين ج ٢ ص ٥٠٣ والأمل للطوسي ص ٣٨١ والعمدة ص ١٤٣ و ١٤٤ و ١٤٩ والطرائف ص ٥٩ والبحار ج ٢١ ص ٢٧ وج ٣٩ ص ١٠ و ١٢ والنص والإجتهد ص ١١١ وعن فتح الباري ج ٧ ص ٣٦٦ والسنن الكبرى للنسائي ج ٥ ص ١١١ ورياض الصالحين ص ١٠٨ وكنز العمال ج ١ ص ٨٦ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ٨٢ و ٨٣ و ٨٤ و ٨٥ والبداية والنهاية ج ٤ ص ٢١١ والسيرة النبوية =

وقال ابن عباس لعمر، عن علي «عليه السلام»: إن صاحبنا من قد علمت، والله إنه ما غيّر ولا بدل، ولا أسخط رسول الله «صلى الله عليه وآله» أيام صحبته له^(١).

ثانياً: إن أعداء علي «عليه السلام» والمتربصين به السوء، والباحثين عن أي مغمز فيه كثيرون، لا يحدهم حد، ولا يقعون تحت عد، ومنهم من حاربه بكل ما قدر عليه، فلو أنهم وجدوا في قضية الحديبية ما يوجب أدنى طعن، أو يبرر أي تحامل عليه لما تركوه. بل كانوا ملأوا الدنيا تشنيعاً عليه، وتقبيحاً لما صدر منه. مع أننا لا نجد أحداً تفوه ببنت شفة في هذا المجال..

ثالثاً: إن النصوص مختلفة في نسبة هذا الأمر إليه «عليه السلام»، بل في بعضها تصريح بما يكذب هذه النسبة من أساسها..

فقد أظهرت النصوص: أن اعتراض سهيل بن عمرو قد أثار حفيظة المسلمين، حتى أمسك بعضهم يد علي «عليه السلام»، ومنعه من الكتابة. وفي بعضها ما يفيد: أن سهيلاً قد وجه طلبه بمحو تلك الكلمات إلى علي نفسه، فرفض علي «عليه السلام» طلب سهيل، لا طلب رسول الله «صلى الله عليه وآله».

= لابن كثير ج ٣ ص ٣٥٢ وجواهر المطالب في مناقب الإمام علي ج ١ ص ١٧٨

وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ١٢٥ وينابيع المودة ج ١ ص ١٥٤.

(١) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٢ ص ٥١ ومنتخب كثر العمال (مطبوع مع مسند أحمد) ج ٥ ص ٢٢٩ وج ١٣ ص ٤٥٤ وحياة الصحابة ج ٣ ص ٢٤٩ عنه وعن الزبير بن بكار في الموفقيات، وقاموس الرجال ج ٦ ص ٢٥ والدر المنثور ج ٤ ص ٣٠٩.

فما كان من النبي «صلى الله عليه وآله» إلا أن بادر وطلب من علي «عليه السلام» أن يضع يده على الكلمة، حسماً للنزاع بين علي «عليه السلام» وسهيل، وإعزازاً منه «صلى الله عليه وآله» لعلي. حيث لم يشأ أن يكسر كلمته أمام عدوه^(١).

وقد صرح علي «عليه السلام»: بأن المشركين هم الذين راجعوه في هذا الأمر^(٢).

بل في بعض النصوص: أن علياً «عليه السلام» هو الذي محاهها، وقال للنبي «صلى الله عليه وآله»: لولا طاعتك لما محوتها^(٣).

والصورة التي يمكن استخلاصها من النصوص هي:

أن النزاع قد اشتد بين علي «عليه السلام» وسهيل بن عمرو، وأن علياً «عليه السلام»: قد محاه ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، وكتب باسمك اللهم. طاعة لرسول الله «صلى الله عليه وآله» وقال له: لولا طاعتك لما محوتها. ثم اشتدت المنازعة بين الصحابة وبين سهيل، وأخذوا بيد علي «عليه السلام». ورفض علي «عليه السلام» ما طلبه منه سهيل أيضاً، وما جادله

(١) راجع: خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب للنسائي ص ١٤٩ وإحقاق الحق (قسم الملحقات) ج ٨ ص ٤١٩ والأماشي للطوسي ص ١٩٠ و ١٩١ والبحار ج ٣٣ ص ٣١٦ وراجع ج ٢٠ ص ٣٥٧ والخرايج والجرايح ج ١ ص ١١٦ وصفين للمنقري ص ٥٠٩.

(٢) صفين للمنقري ص ٥٠٨.

(٣) راجع: كشف الغمة للأربلي ج ١ ص ٣١٠ والإرشاد ج ١ ص ١٢٠ وعن إعلام الوری ص ٩٧ والبحار ج ٢٠ ص ٣٥٩ و ٣٦٣ و ٣٥٧.

فيه، حتى تدخل النبي «صلى الله عليه وآله»، مؤثراً الحفاظ على قوة موقف علي «عليه السلام»، فطلب منه أن يضع يده على الكلمة فوضعها، فمحاها «صلى الله عليه وآله» بيده.

ولو أنه «صلى الله عليه وآله» طلب محوها من علي «عليه السلام» لما تأخر في إطاعة أمره، ولم يكن «عليه السلام» ليطيع أمراً لرسول الله «صلى الله عليه وآله» أولاً، ثم يقول له: «لولا طاعتك لما محوتها»، ثم يعصيه بعد لحظة. فإن الطاعة إذا كانت تدعوه لمحو الأولى، فلا بد أن تدعوه لمحو الثانية.. خصوصاً إذا كان ذلك في مجلس واحد.

ومن الواضح: أن محو كلمة «رسول الله» ليس فيه إنكار لرسوليته «صلى الله عليه وآله»، كما أن محو كلمة ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ لا يلزم منه إنكار رحمانية الله، ورحيميته تبارك تعالى. بل لا يتعدى الأمر حدود تسجيل ذلك على ورقة بينه وبين عدوه، أو عدم تسجيله عليها..

فلا معنى للتحرج من محو كلمة «رسول الله» وعدم التحرج من محو كلمتي ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

رابعاً: إن من المعلوم: أن الأمر بشيء إذا جاء بعد الإلزام به، يفيد مجرد رفع الإلزام، والأمر ههنا من هذا القبيل، فقد كان إملاء النبي «صلى الله عليه وآله» ملزماً لعلي «عليه السلام» ولغيره بحفظ ما أمر بكتابته وعدم محوه حتى لو طلب ذلك منه من هو مثل سهيل بن عمرو..

ولكن بعد أن احتدم الجدل بين علي «عليه السلام» والمسلمين من جهة، وبين سهيل بن عمرو من جهة أخرى، بادر النبي «صلى الله عليه وآله»

وآله» إلى رفع الحظر، وإزالة الإلزام بالأمر، وصار بالإمكان التخلي عن ذلك النص، وبالإمكان إبقاؤه، وأصبح الأمر موكولاً إلى الكاتب نفسه. ثم إنه «صلى الله عليه وآله» بادر إلى رفع الحرج بأن وضع يده الشريفة على الكلمة ومحأها إعزازاً لعل «عليه السلام» وتعلية لشأنه كما قلنا.

استنطاق النصوص:

وقد قلنا: إن النصوص لم تأت على نسق واحد:

١ - فبعضها سكت عن التصريح بهذا الأمر، وذكر أنه «عليه السلام» قد كتب ما طلبه منه رسول الله «صلى الله عليه وآله». فقد روى ابن حبان وغيره: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال بعد اعتراض سهيل: «اكتب محمد بن عبد الله، وسهيل بن عمرو، فكتب: هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو».

وقريب من ذلك أيضاً: روي عن الإمام الصادق «عليه السلام»^(١). والنصوص التي ذكرت القضية، وذكرت: أن النبي «صلى الله عليه وآله» أمر علياً «عليه السلام» بكتابة اسمه مجرداً، ولم تشر إلى أي تمنع من علي «عليه السلام» رواها كثير من المؤرخين، مثل اليعقوبي، وابن كثير

(١) الثقات ج ١ ص ٣٠٠ و ٣٠١ وراجع: الكافي ج ٨ ص ٢٦٩ عن الإمام الصادق مع بعض إضافات وتغييرات لا تضر. والبحار ج ٢٠ ص ٣٦٨ وتفسير نور الثقلين ج ٥ ص ٦٨ وتفسير البرهان ج ٤ ص ١٩٤ والإكتفاء للكلاعي ج ٢ ص ٢٤٠ وتاريخ ابن الوردي ج ١ ص ١٦٦ وحياة محمد لهيكل ص ٣٧٤ وإكمال الدين ص ٥٠.

وغيرهما، والرواة، مثل: الزهري ، وابن عباس، وأنس بن مالك، وحتى مروان بن الحكم، والمسور بن مخرمة، وهو المروي أيضاً عن علي أمير المؤمنين «عليه السلام» نفسه^(١).

(١) تاريخ يعقوبي ج ٢ ص ٥٤ وراجع: البداية والنهاية ج ٧ ص ٢٧٧ و ٢٨١ وروح المعاني ج ٩ ص ٥٠ والكشاف ج ٣ ص ٥٤٢ وحول النص المنقول عن الزهري راجع: تاريخ الأمم والملوك ج ٥ ص ٦٣٤ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٦٨ وأنساب الأشراف ج ١ ص ٣٤٩ و ٣٥٠ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٣٣١ و ٣٣٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٣٢٠ و ٣٢١ ومستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٥٣ وتلخيصه للذهبي (مطبوع بهامشه) ومسند أحمد ج ١ ص ٨٦.

وحول النص المنقول عن ابن عباس راجع: الرياض النضرة المجلد الثاني ص ٢٢٧ وإحقاق الحق (الملحقات) ج ٨ ص ٥٢٢ ومسند أحمد ج ١ ص ٣٤٢ وخصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب للنسائي ص ١٤٨ و ١٤٩ وتفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٢٠٠ عن أحمد، وأبي داود، ومستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٥١ وتلخيص المستدرك للذهبي (مطبوع بهامشه) وصحاحه على شرط مسلم، وتاريخ يعقوبي ج ٢ ص ١٩٢.

وروايتا أنس ومروان والمسور توجدان معاً أو إحداهما، أو بدون تسمية، في المصادر التالية: صحيح البخاري ج ٢ ص ٧٩ و ٧٨ والمصنف للصنعاني ج ٥ ص ٣٣٧ ومسند أحمد ج ٣ ص ٢٦٨ وج ٤ ص ٣٣٠ و ٣٢٥ وجامع البيان ج ٢٥ ص ٦٣ والدر المنثور ج ٦ ص ٧٧ عنهم وعن عبد بن حميد، والنسائي، وأبي داود، وابن المنذر، وصحيح مسلم ج ٥ ص ١٧٥ والمواهب اللدنية ج ١ ص ١٢٨ وتاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص ٣٧٠ و ٣٧١ وتفسير القرآن العظيم ج ٤ =

٢ - هناك نصوص صرحت: بأن بعض المسلمين قد أمسكوا بيد علي «عليه السلام»، ومنعوه من الكتابة.

ولهذا قوى بعضهم: احتمال أن يكون قوله «عليه السلام» لرسول الله «صلى الله عليه وآله»: إن يدي لا تنطلق بمحو اسمك من النبوة.

يريد به: لا تنطلق بسبب إمساكهم.

فبعد أن ذكر النص اعتراضات سهيل أولاً.

وثانياً قال: «فضج المسلمون منها ضجة هي أشد من الأولى، حتى ارتفعت الأصوات، وقام من أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقولون: لا نكتب إلا: محمد رسول الله».

= ص ١٩٨ و ٢٠٠ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٧٥ ومختصر تفسير ابن كثير ص ٣٥١ و ٣٥٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٣٣٣ والسنن الكبرى ج ٩ ص ٢٢٠ و ٢٢٧ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٢١ عن المدارك، وتفسير الخازن ج ٤ ص ١٥٦ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٤ ص ١٠٥ و ١٤٦ و ١٤٧ والإحسان بتقريب صحيح ابن حبان ج ١١ ص ٢٢٢ و ٢٢٣ والجامع لأحكام القرآن ج ١٦ ص ٢٧٧ وبهجة المحافل ج ١ ص ٣١٦. وزاد المعاد ج ٢ ص ١٢٥ ومسند أبي عوانة ص ٢٤١.

وحول ما روي عن علي «عليه السلام» وغيره راجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٢ ص ٢٣٢ وقريب منه ما في ينابيع المودة ص ١٥٩ ومسند أحمد بن حنبل ج ٤ ص ٨٦ و ٨٧ ومجمع الزوائد ج ٦ ص ١٤٥ وقال: رواه أحمد ورجاله الصحيح.

ومختصر تفسير ابن كثير ص ٣٤٧ وتفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ١٩٢ وتفسير المراغي ج ٩ ص ١٠٧ والدر المنثور ج ٦ ص ٧٨ عن أحمد، والنسائي، والحاكم وصححه، وابن جرير، وأبي نعيم في الدلائل، وابن مردويه.

فعن واقد بن عمرو قال: «حدثني من نظر إلى أسيد بن حضير، وسعد بن عباد، أخذوا بيد الكاتب فأمسكاهما، وقالوا: لا نكتب إلا: محمد رسول الله، وإلا فالسيف بيننا، علام نعطي الدنية في ديننا؟! فجعل رسول الله «صلى الله عليه وآله» يخفضهم، ويومئ بيده إليهم: اسكتوا. وجعل حويطب يتعجب مما يصنعون، ويقبل على مكرز بن حفص، ويقول: ما رأيت قوماً أحوط لدينهم من هؤلاء القوم الخ...»^(١).

الحديث مستعار بكامل تفاصيله:

وبعد، فهل يمكننا أن نقول: إن هذا الحديث قد استعير بكامل تفاصيله من قضية أخرى؟
نعم.. لقد استعاروها بهدف إثارة الشبهات والتساؤلات حول أقدس شخصية بعد الرسول «صلى الله عليه وآله»!!
والحدث الذي نعنيه هو:
أن تميم بن جراشة قدم على رسول الله «صلى الله عليه وآله» في وفد ثقيف، فأسلموا، وسألوه أن يكتب لهم كتاباً فيه شروط، فقال: اكتبوا ما بدا لكم، ثم إيتوني به.
فأتوا علياً «عليه السلام» ليكتب لهم.
قال تميم: «فسألناه في كتابه: أن يحل لنا الربا والزنى. فأبى علي رضي

(١) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٦١٠ و ٦١١ وراجع: سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٥٤ وإمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٩٦ وغاية البيان في تفسير القرآن ج ٦ ص ٥٨ و ٥٩ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٤٣ والسيرة الحلبية (ط المعرفة) ج ٢ ص ٧٠٨.

الله عنه أن يكتب لنا.

فسألناه خالد بن سعيد بن العاص.

فقال له علي: تدري ما تكتب؟!

قال: أكتب ما قالوا، ورسول الله أولى بأمره.

فذهبنا بالكتاب إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال للقارئ:

اقرأ.. فلما انتهى إلى الربا قال: ضع يدي عليها في الكتاب. فوضع يده،

فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ

مُؤْمِنِينَ﴾ الآية^(١).. ثم محاه.

وألقيت علينا السكينة، فما راجعناه.

فلما بلغ الزنى وضع يده عليها، وقال: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانِيَ إِنَّهُ كَانَ

فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ الآية^(٢)، ثم محاه. وأمر بكتابنا أن ينسخ لنا^(٣).

من أسباب التزوير:

وأما دوافع إثارة بعض الشبهات حول طاعة أمير المؤمنين «عليه السلام»

لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، فيمكن أن يكون منها ما يلي:

١ - إن النصوص التي ذكرت هذه القضية قد صرحت: بأن النبي

«صلى الله عليه وآله» حين أمر علياً «عليه السلام» بمحو ما كتب، قال له:

أما إن لك مثلها، وستأتيها وأنت مضطر.

(١) الآية ٢٧٨ من سورة البقرة.

(٢) الآية ٣٢ من سورة الإسراء.

(٣) أسد الغابة ج ١ ص ٢١٦ وقال: أخرجه أبو موسى ومكاتب الرسول ج ٣ ص ٧٢.

أو قال له: اكتب، فإن لك مثلها، تعطيها، وأنت مضطهد مقهور. فكتب ما قالوا^(١).

فلأجل الحفاظ على ماء وجه معاوية وحزبه الذين أصروا على محو كلمة «أمير المؤمنين» من وثيقة التحكيم، وظهر بذلك مصداق ما أخبر عنه رسول الله «صلى الله عليه وآله»، كان لا بد من إثارة أجواء من الريب

(١) راجع: الكامل في التاريخ ج ٢ ص ٢٢٠ والمعيان والموازنة ص ٢٠٠ وخصائص أمير المؤمنين علي «عليه السلام» للنسائي ص ١٤٩ و ١٥٠ وإحقاق الحق (الملحقات) ج ٨ ص ٤١٩. والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٤٣ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٠ ومجمع البيان ج ٩ ص ١١٨ و ١١٩ ومناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ٢١٤ والبحار ج ٢٠ ص ٣٣٥ و ٣٥٢ و ٣٥٧ و ٣٥٩ و ٣٦٣ و ٣٣٣ وج ٣٣ ص ٣١٤ و ٣١٦ و ٣١٧ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٥٤ وتاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص ٣٩٠ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٤ ص ١٤٧ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٨ ص ١٧٩ و ١٨٠ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٢١ والكامل في التاريخ ج ٢ ص ٢٠٤ وحبیب السیر ج ١ ص ٣٧٢ وتفسير القمي ج ٢ ص ٣١٣ والخرايج والجرايح ج ١ ص ١١٦ وشرح النهج للمعتزلي ج ١ ص ١٩٠ وج ٢ ص ٥٨٨ و ٢٣٢ والمغني لعبد الجبار ج ١٦ ص ٤٢٢ وينايع المودة للقندوزي ص ١٥٩ وصبح الأعشى ج ١٤ ص ٩٢ والآمالي للطوسي ج ١ ص ١٩٠ و ١٩١ وصفين للمنقري ص ٥٠٨ و ٥٠٩ وكشف الغمة للأربلي ج ١ ص ٢١٠ والإرشاد للمفيد ج ١ ص ١٢٠ وإعلام الوری ص ٩٧ والبرهان ج ٤ ص ١٩٣ ونور الثقلين ج ٥ ص ٥٢ والفتوح لابن أعثم ج ٤ ص ٨ والبدایة والنهاية ج ٧ ص ٢٧٧ والأخبار الطوال ص ١٩٤ عن تاريخ الطبري ج ٥ ص ٥٢ وعن فتح الباري ج ٥ ص ٢٨٦.

والشك في علي نفسه، من أجل أن يخف وقع وأثر هذا الأمر على الناس.

٢ - إن نفس الطعن بقداسة علي «عليه السلام»، وفي عصمته، والخط من مقامه، والنيل منه، وابتذال شخصيته، ونسبة الرذائل والمعاصي إليه، وتصغير شأنه، حتى يصبح كسائر الناس العاديين، أمر مطلوب، ومحجوب لأعدائه، ومناوئيه. وبذلك تضعف حجة الطاعنين في مناوئيه، ويخرج أتباعهم من الإحراجات القوية التي تواجههم.

٣ - تكريس أبي بكر على أنه الرجل المميز بين جميع الصحابة، الذي كان يرى في الحديبية رأي رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ويدعو الناس للقبول منه، والتسليم له..

قال دحلان: «..ولم يكن أحد في القوم راضياً بجميع ما يرضى به النبي «صلى الله عليه وآله»، غير أبي بكر الصديق (رض)، وبهذا يتبين علو مقامه. ويمكن أن الله كشف لقلبه، وأطلعه على بعض تلك الأسرار التي ترتبت على ذلك الصلح، كما أطلع على ذلك النبي «صلى الله عليه وآله»، فإنه حقيق بذلك (رض)، كيف وقد قال النبي «صلى الله عليه وآله»: والله، ما صب الله في قلبي شيئاً إلا وصبته في قلب أبي بكر»^(١).

٤ - إن هذه المزاعم بجعل علي وعمر في سياق واحد، من حيث إن هذا يشك في دينه في الحديبية، وذاك يعصي أوامر الرسول الأكرم «صلى الله عليه وآله».

من شأنها أن توجد حالة من التوازن، ثم ترجح كفة الفريق الآخر من حيث

(١) السيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٤٣.

جعل أبي بكر فوق الجميع، بل هو في مستوى رسول الله «صلى الله عليه وآله».

لك مثلها يا علي:

وقد قلنا: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد قال لعلي في الحديبية: لك مثلها، تعطيها، وأنت مضطهد، أو مضطر..
وظهر مصداق قوله «صلى الله عليه وآله» في حرب صفين، وذلك حينما أخذوا بكتابة كتاب المواقعة، فابتدأوا فيه بعبارة:
هذا ما تقاضى عليه علي أمير المؤمنين ومعاوية بن أبي سفيان..
فقال معاوية: بئس الرجل أنا إن أقررت: أنه أمير المؤمنين ثم قاتلته.
وقال عمرو: لا بل نكتب اسمه، واسم أبيه، إنما هو أميركم، فأما أميرنا فلا.

فلما أعيد إليه الكتاب أمر بمحوه. فقال الأحنف: لا تمح اسم إمرة المؤمنين عنك؛ فإني أخوف، إن محوتها أن لا ترجع إليك أبداً، فلا تمحها.
فقال «عليه السلام»: إن هذا اليوم كيوم الحديبية، حين كتب الكتاب عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»: هذا ما تصالح عليه محمد رسول الله «صلى الله عليه وآله» وسهيل بن عمرو. فقال سهيل: لو أعلم أنك رسول الله لم أقاتلك ولم أخالفك، إني لظالم لك إن منعتك أن تطوف بيت الله، وأنت رسوله، ولكن اكتب: من محمد بن عبد الله..

فقال لي رسول الله «صلى الله عليه وآله»: يا علي، إني لرسول الله، وأنا محمد بن عبد الله، ولن يمحو عني الرسالة كتابي لهم: من محمد بن عبد الله،

فاكتبها، فامح ما أرادوا محوه، أما إن لك مثلها، ستعطيها وأنت مضطهد^(١).

ضع يدي عليها:

وقد ذكرت المصادر المتقدمة: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال لعلي «عليه السلام»: ضع يدي عليها (أي على كلمة رسول الله)، فوضعها عليها، فمحاها «صلى الله عليه وآله» بيده^(٢).
فقد يظن ظان: أن هذا يدل على أنه «صلى الله عليه وآله» لا يعرف القراءة..

ويؤيد ذلك أيضاً: الرواية المتقدمة عن الكتاب الذي كتبه «صلى الله عليه وآله» لتميم بن جراشة ووفد ثقيف..
ونقول:

أولاً: إن قوله «صلى الله عليه وآله»: ضع يدي عليها، لا يدل على أنه لا يعرف القراءة، إذ قد يكون مجلسه «صلى الله عليه وآله» بعيداً عن مجلس علي «عليه السلام»، فيقول له من بعيد: ضع يدي على الكلمة الفلانية، لأنه «عليه السلام» هو المتمكن من قراءتها دونه «صلى الله عليه وآله»..

-
- (١) البحار ج ٣٢ ص ٥٤١ و ٥٤٢ وصفين للمنقري ص ٥٠٣ و ٥٠٤ والمسترشد ص ٣٩١ وشرح النهج للمعتزلي ج ٢ ص ٢٣٢ والدرجات الرفيعة ص ١١٧ وينايع المودة ج ٢ ص ١٨ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج ٢ ص ٦٢٨ ومصادر ذلك كثيرة.
- (٢) تقدمت المصادر الكثيرة لذلك، ومنها على سبيل المثال: كشف الغمة للأربلي ج ١ ص ٢١٠ والإرشاد للمفيد ج ١ ص ١٢٠ وإعلام الوري ص ٩٧ والبحار ج ٢٠ ص ٣٢٩ و ٣٦٣ و ٣٥٧ ومكاتيب الرسول ج ١ ص ٨٧.

ولو قيل: لماذا لا يستعمل النبي «صلى الله عليه وآله» قدرته الغيبية والإعجازية في هذا المورد؟!

فالجواب: أن الإعجاز، وإعمال القدرات الغيبية تابع لمصالح يعرفها النبي «صلى الله عليه وآله» دوننا، فلا بد من التسليم له، وإيكال الأمر إليه..
ثانياً: قد روى البخاري ما جرى في الحديبية، فقال: «فأخذ رسول الله الكتاب، فكتب: هذا ما قاضى محمد بن عبد الله الخ...»^(١).

(١) صحيح البخاري (ط سنة ١٣٠٩ هـ) ج ٢ ص ٧٣ والكافي ج ٨ ص ٣٢٦ والغارات ج ٢ ص ٧٥٥ والمسترشد ص ٣٩١ و ٣٩٦ وشرح الأخبار ج ٢ ص ٥٠ و ١٣٥ وأوائل المقالات ص ٢٢٤ والإرشاد ج ١ ص ١٢٠ والأُمالي للطوسي ص ١٨٧ والعمدة ص ٢٠١ و ٣٢٥ والبحار ج ٢٠ ص ٣٣٣ و ٣٦٢ وج ٣٣ ص ٣١٥ وج ٣٨ ص ٣٢٨ ومكاتب الرسول ج ١ ص ٨٥ وج ٣ ص ٨٢ ومسند أحمد ج ٤ ص ٢٩٨ وسنن الدارمي ج ٢ ص ٢٣٧ وعن صحيح البخاري ج ٥ ص ١٧٤ وعن سنن أبي داود ج ١ ص ٦٢٩ ومجمع الزوائد ج ٦ ص ٢٤٠ والمصنف لعبد الرزاق ج ١٠ ص ١٥٩ وعن المصنف لابن أبي شيبة ج ٨ ص ٥٠٧ و ٥١٥ والسنن الكبرى للنسائي ج ٥ ص ١٦٨ وصحيح ابن حبان ج ١١ ص ٢١٢ وعن المعجم الكبير ج ١٠ ص ٢٥٨ وج ٢٠ ص ١٣ وكنز العمال ج ١٠ ص ٤٧٤ و ٤٩٤ وإرواء الغليل ج ١ ص ٥٧ وتفسير مجمع البيان ج ٩ ص ١٩٧ ونور الثقلين ج ٥ ص ٦٨ وجامع البيان ج ٢٦ ص ١٢٩ وتفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٢١٣ و ٢١٧ والدر المنثور ج ٢ ص ١٥٧ وج ٦ ص ٧٧ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج ٢ ص ٦٢٧ وإعلام الوري ج ١ ص ٢٠٤ و ٣٧٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٣٣٣ و ٤٤٢ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٥٣ و ٧٧ وتاريخ مدينة دمشق ج ٥٧ ص ٢٢٨ والبداية والنهاية ج ٤ ص ٢٠٠ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٢ ق ٢ ص ٣٤.

وفي نص آخر: «فأخذ النبي «صلى الله عليه وآله» الكتاب - وليس يحسن أن يكتب - فكتب مكان رسول الله: هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله: أن لا يدخل الخ..»^(١).

فقد دلت هاتان الروايتان على: أن النبي «صلى الله عليه وآله» هو نفسه الذي كتب ما أراده.

ودلت الرواية الثانية على: أن ذلك قد كان منه «صلى الله عليه وآله» على سبيل الإعجاز، ويمكن تأييد هاتين الروايتين بما روي عن علي «عليه السلام»: أنه قال للخوارج، وهو يذكر لهم ما جرى في الحديبية: «قالوا: لو نعلم أنك رسول الله ما قاتلناك، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك.

فقال: اللهم إنك تعلم أني رسولك..

ثم أخذ الصحيفة فمحاها بيده، ثم قال: يا علي، اكتب هذا ما صالح عليه الخ..»^(٢).

ثالثاً: قد تقدم: أن هناك ما يدل على أن حديث امتناع علي «عليه

(١) صحيح البخاري ج ٣ ص ٧٣ ومسند أحمد ج ٤ ص ٢٩٨ والكامل في التاريخ ج ٢ ص ٢٠٤ وخصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب للنسائي ص ١٥٠ و ١٥١ والأموال ص ٢٣٣ وسنن الدارمي ج ٢ ص ٢٣٨ والسنن الكبرى ج ٨ ص ٥ والتراتيب الإدارية ج ١ ص ١٧٣.

(٢) الرياض النضرة ج ٢ ص ٢٧٧ وإحقاق الحق (الملحقات) ج ٨ ص ٥٢٢ وراجع: مسند أحمد ج ١ ص ٣٤٢ وخصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب للنسائي ص ١٤٨ و ١٤٩ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٨ ص ١٧٩ وتفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٢١٥ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ٤٦٤ والمناقب ص ٢٦٢ وغير ذلك.

السلام» عن محو الكلمة إنما كان في مقابل سهيل، ولكنه لما قال له النبي «صلى الله عليه وآله»: اكتب.. بادر إلى الكتابة، ولم يعص أمره «صلى الله عليه وآله»..

وهذا معناه: أن قوله «صلى الله عليه وآله»: ضع يدي عليها يصبح موضع شك من الأساس.. خصوصاً مع اختلاف نصوص هذه القضية إلى درجة تمنع الباحث من الاعتماد عليها.

رابعاً: إن هناك شواهد وأدلة كثيرة على: أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان يعرف القراءة والكتابة.. فلاحظ ما سنذكره فيما يلي:

النبي ' يقرأ ويكتب:

قد يقال: انه «صلى الله عليه وآله» لم يكن يعرف القراءة والكتابة ويستدل على ذلك بدليلين:

الأول: ولا تخطه يمينك:

قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكُمْ إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾^(١)، حيث دلت على عدم معرفة النبي للقراءة والكتابة. ونقول:

إن الاستدلال بالآية: لا يصح لأنها إنما تدل على أنهم كانوا يعلمون أنه لم يتعلم القراءة والكتابة عند أحد قبل أن يبعث، وأنه لم يكن يقرأ كتباً، ولا كتب شيئاً منها، أو عنها..

(١) الآية ٤٨ من سورة العنكبوت.

وهذا لا يمنع من أن يبعثه الله نبياً فيفاجئهم بعلوم الأولين والآخرين، وهو لم يطلع على كتب أحد..

وفاجئهم بأنه في نفس هذه اللحظة قد أصبح يعرف القراءة والكتابة بكل الألسن واللغات، ومن جملتها منطق الطير، وتسبيح الحصى، وغير ذلك مما ذكر في الروايات الآتية. هذا.. مع علمهم به، ومشاهدتهم له، وعيشهم معه طيلة حياتهم، بصورة جعلتهم عالمين بعدم اتصاله بأحد، وأنه لم يتعلم شيئاً عند أي كان من الناس..

فطريق حصوله على المعارف والعلوم منحصر بالطريق الغيبي والوحي، وسيكون هذا الأمر من أظهر الشواهد على نبوته، واتصاله بالغيب.

فيقينهم بعدم تعلمه القراءة والكتابة قبل النبوة عند أحد الملازم بنظرهم لعدم معرفته بهما، وسام عظيم له. وهو خير وأوضح دليل على نبوته، ولكن علمهم باستمرار عجزه عن القراءة والكتابة حتى بعد النبوة، سيجعلهم ينظرون له بعين النقص، وسيرى الكتاب والعارفون بالقراءة أن لهم عليه امتيازاً وفضلاً ظاهراً..

وسيكون علمه بالقراءة والكتابة بصورة إعجازية وعن طريق جبرائيل أدعى للطمأنينة، وأوفق وأشد أثراً في رسوخ اليقين والإيمان.

الثاني: النبي الأمي:

إن الآيات القرآنية قد وصفت النبي «صلى الله عليه وآله» بالأمي، قال تعالى:

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي

التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ^(١).

وقال: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾^(٢).
والأُمِّي هو الذي بقي كما ولدته أمه، لا عهد له بعلم، ولا بقراءة، ولا كتابة.
ونقول في جوابه:

ألف: إن نفس ما أوردناه لرد الاستدلال بالآية السابقة يرد به الاستدلال بهذه الآية.

وأما وصفه بالأمية واعتبارها وساماً له، فإنها هو بلحاظ أنه لم يتعلم عند أحد، فهو أُمِّي بهذا الاعتبار، أو بلحاظ أنه لم يتعلم عند أحد، فهو أُمِّي بهذا الاعتبار، أو بلحاظ ما قبل البعثة، أما بعدها فلعل العكس هو الصحيح، أي أن استمرار الأمية هو الذي يعد نقصاً بنظر الناس.

ب: إن كلمة أُمِّي كما تأتي بمعنى من لا يعرف القراءة والكتابة، كذلك هي تأتي لبيان الانتساب إلى أم القرى، وهي مكة. وسيأتي عن أبي جعفر «عليه السلام» أن المقصود بالأمي هو هذا المعنى..
ولهذه الكلمة أيضاً معانٍ أخرى، لا تلائم معنى عدم معرفته القراءة والكتابة، مثل كونه منسوباً إلى أمة لم تنزل عليها كتب سماوية، ونحو ذلك.

ما يقوله علماءنا:

وبعد، فإننا إذا رجعنا إلى ما قاله علماءنا الأبرار فسنجد أن عدداً منهم «رضوان الله تعالى عليهم» يصرح بأنه «صلى الله عليه وآله» كان يعرف

(١) الآية ١٥٧ سورة الأعراف.

(٢) الآية ١٥٨ من سورة الأعراف.

القراءة والكتابة بعد بعثته، ويظهر من الشيخ الطوسي أن هذا هو مذهب علمائنا كافة، فقد قال رحمه الله:

«..والنبي «عليه السلام» - عندنا - كان يحسن الكتابة بعد النبوة، وإنما لم يحسنها قبل البعثة»^(١).

وقال السيد جواد العاملي: «والنبي معصوم مؤيد بالوحي. وكان عالماً بالكتابة بعد البعثة، كما صرح به الشيخ، وأبو عبد الله الحلي، واليوسفى، والمصنف في التحرير. وقد نقل أبو العباس، والشهيد في النكت، عن الشيخ، وسبطه أبي عبد الله الحلي الساكتين عليه..»^(٢).

فالشيخ الطوسي، قد أوضح لنا: أن القول بأنه «صلى الله عليه وآله» كان يقرأ ويكتب هو قول أصحابنا من الشيعة.. كما أن العاملي قد بين أن عدداً من علمائنا الكبار قد صرح بهذا الأمر، وسكت عنه آخرون. ونقول:

إن ما نستفيده من الروايات والشواهد الكثيرة: أن النبي نبي منذ ولد، وأنه كان قادراً على القراءة والكتابة قبل بعثته كرسول، وبعدها. وستأتي الروايات الدالة على الأمر الثاني، أما الروايات الدالة على نبوته قبل بعثته فيمكن مراجعتها في كتب الحديث عند السنة والشيعة. ولكن السياسة الإلهية، القاضية بتيسير الهداية للناس قد قضت بأن لا

(١) المبسوط ج ٨ ص ١٢٠ وتفسير التبيان ج ٨ ص ٢١٦ وأوائل المقالات ص ٢٢٥ ومكاتيب الرسول ج ١ ص ٩٣.

(٢) مفتاح الكرامة ج ١٠ ص ١٠.

يمارس ذلك بصورة فعلية قبل البعثة، وبيان ذلك:

أولاً: إذا تحقق للناس: أنه «صلى الله عليه وآله» لم يتعلم القراءة والكتابة قبل البعثة عند أحد، ثم رأوا: أنه بعد البعثة قادر على ذلك كأفضل ما يكون، فسوف يدركون: أن ذلك حصل له بالإقذار الإلهي، وبذلك تقوم الحجة عليهم، ولا يبقى عذر لمعتذر.

وهكذا يقال: بالنسبة لمعرفته بعلوم الأولين والآخرين، وسواها مما يعجز البشر عن نيله، مع أنهم يرون أنه لم يقرأ في كتاب، ولم يدرس عند أحد.

والخلاصة: أن ظهور قدرته لهم على القراءة والكتابة، ومعرفته بجميع هذه العلوم، مع عدم تلقيه شيئاً من العلوم من أي معلم سيكون من دلائل نبوته للبشرية جمعاء.

ولا ضرورة بعد ذلك إلى أن يبقى - كما يزعمون - عاجزاً عن القراءة والكتابة، مع معرفة الآخرين بها، فإن ذلك قد يثير لديهم الإحساس بأن ثمة نقصاً وعبثاً في شخصيته، وقد ثبت بالبراهين العقلية والنقلية أنه منزّه عن كل عيب ونقص..

ثانياً: إن القراءة والكتابة لا تقصد لذاتها، وإنما هي من العلوم الآلية التي تقصد إلى غيرها ونيل المعارف عن طريقها..

فإذا كانت المعارف والعلوم حاضرة لدى الرسول «صلى الله عليه وآله» ويراها رأي العين، وهو يخبرهم بها، ويرون صدقه بصدقها، فإن البحث عن وسيلة أخرى عاجزة إلا عن إحضار خيالها، وصورتها لديه لا

أكثر^(١)، يصبح سفهاً غير مقبول.. ويكون بذلك كالذي يجد حبيبه إلى جنبه، ثم يطلب النوم لعله يرى خياله في عالم الرؤيا.

ومن المعلوم: أنه ليس كل عدم نقصاً، وليس كل وجدان كمالاً..
فإن معرفتنا نحن بالأمور والعلم بها كمال بالنسبة لنا، فإذا توقف ذلك على امتلاك آلات وأدوات، فإن حصولنا على العلوم الآلية والأدوات الموصلة لها كمال لنا أيضاً، وفقدانها نقص، لأنه يوجب حرماننا من كثير من المعارف التي نعجز عن الوصول إليها بدونها.

أما إذا كانت المعارف حاضرة بنفسها لدى العالم، ولا يحتاج إلى تلك الآلات الموصلة، كان ذلك عين الكمال.. ولا يكون فقدانه للآلات الموصلة نقصاً له، بل يكون حضورها لديه بلا فائدة ولا عائدة هو السفه والنقص.
فمن يستطيع الوصول إلى أي مكان في العالم بمجرد إرادته، فإن ركوبه للدابة، والسعي إلى ذلك المكان، وتحمل المتاعب، وصرف الساعات والأيام، أو الأشهر في الطريق، يعد سفهاً.

ولا يعد عدم اقتنائه للدابة أو السيارة عيباً ولا نقصاً، ما دام أنه لا لأجل عجزه عن الاقتناء، بل لغناه عنها مع توفر القدرة عليها في كل حين.
وهذا هو حال الأنبياء والأوصياء «عليهم السلام» في ما يرتبط

(١) إشارة إلى الوجود اللفظي والكتبي الذي يلزم منه حضور صورة الشيء في الذهن، لا حضور نفس الشيء لدى العالم.

وإشارة إلى ذلك: حالة التخيل لأمر يسمع بها، ولم يكن قد رآها. فهي حاضرة حضوراً تخيلياً لا يصل إلى درجة حضور صورة الشيء في الذهن، فضلاً عن حضور نفس الشيء لدى العالم.

بعلومهم، فهم يعلمون بالأمور من خلال حضورها عندهم، ورؤيتهم لها بما أعطاهم الله إياه من تفضلات ومزايا، فلا يحتاجون إلى قراءة النقوش المكتوبة ليتمكنهم الحصول على صورة ذهنية لها، وهذا هو عين الكمال لهم، وسواه هو النقص.

ثالثاً: إن هناك أدلة من كلام المعصومين «عليهم السلام»، وشواهد أخرى، تدل على أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان يعرف القراءة والكتابة، فلاحظ ما يلي:

ألف: النبي ' كان يقرأ:

إننا نذكر من الشواهد الدالة على أنه «صلى الله عليه وآله» كان يقرأ ما يلي:

١ - ما رواه الشعبي من أنه «صلى الله عليه وآله» قد قرأ صحيفة لعينة بن حصن، وأخبر بمعناها^(١).

٢ - عن أنس قال: قال «صلى الله عليه وآله»: رأيت ليلة أسري بي مكتوباً على باب الجنة: الصدقة بعشر أمثالها، والقرض بثمانية عشر^(٢). فإن

(١) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ج ٨ ص ٩٨ عن تفسير النقاش والجامع لأحكام القرآن ج ١٣ ص ٣٥٢.

(٢) سنن ابن ماجه ج ٢ ص ٨١٢ والمفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ج ٨ ص ٩٧ عنه، ومستدرك الوسائل ج ١٣ ص ٣٩٥ ومسند أبي داود الطيالسي ص ١٥٥ والمعجم الأوسط ج ٧ ص ١٦ ومسند الشاميين ج ٢ ص ٤١٩ والجامع الصغير ج ٢ ص ٥ وكنز العمال ج ٦ ص ٢١٠ وتذكرة الموضوعات ص ٦٦ وكشف =

المتبادر هو: أنه «صلى الله عليه وآله» قد قرأ هذا المكتوب بنفسه، لا أنه قد علم بمضمونه من غيره.

ب: النبي ' كان يكتب:

ومن الشواهد الدالة على أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان يقرأ ويكتب نذكر:

١ - ما رواه الصدوق «رحمه الله» بسنده عن جعفر بن محمد الصوفي، عن أبي جعفر الجواد «عليه السلام» وفيه: «فقلت: يا ابن رسول الله، لم سمي النبي الأُمي؟! فقال: ما يقول الناس؟

قلت: يزعمون: أنه إنما سمي الأُمي؛ لأنه لم يحسن أن يكتب. فقال «عليه السلام»: كذبوا عليهم لعنة الله، أتى ذلك، والله يقول في محكم كتابه: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾^(١).

فكيف كان يعلمهم ما لا يحسن؟. والله، لقد كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقرأ ويكتب باثنين وسبعين لساناً، أو قال: بثلاثة وسبعين لساناً،

= الخفاء ج ٢ ص ٩٦ والجامع لأحكام القرآن ج ٣ ص ٢٤٠ والدر المنثور ج ٤ ص ١٥٣ وتفسير الثعالبي ج ١ ص ٥٢٧ وكتاب المجروحين ج ١ ص ٢٨٤ والكامل ج ٢ ص ٣٣٧ وج ٣ ص ١١ وتهذيب التهذيب ج ٣ ص ١١٠ وسبل الهدى والرشاد ج ٩ ص ٢٨٣.

(١) الآية ٣ من سورة الجمعة.

وإنما سمي الأمي، لأنه كان من أهل مكة. ومكة من أمهات القرى، وذلك قول الله عز وجل: ﴿لَتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾^(١).

والرواية تشير إلى أمر الإعجاز في هذا الأمر.

٢ - عن عبد الرحمن بن الحجاج قال: قال أبو عبد الله «عليه السلام»: إن النبي «صلى الله عليه وآله» كان يقرأ ويكتب، ويقرأ ما لم يكتب^(٢).

وأما الحديث الذي يقول: إنه «صلى الله عليه وآله» كان يقرأ ما يكتب، فهو لا يريد نفي الكتابة عنه «صلى الله عليه وآله»، بل كلمة «ما» مفعول به ليقرأ. أي أنه يقرأ الذي يكتب.

وأما ما ورد في كثير من المصادر عن أبي عبد الله «عليه السلام»: أن الرسول «صلى الله عليه وآله» كان يقرأ ولا يكتب.

فالمراد به: أنه كان يمارس القراءة، ولا يمارس الكتابة، وإن كان قادراً عليها.

قال المجلسي: كان يقدر على الكتابة، ولكن كان لا يكتب لضرب من المصلحة.

٣ - روى الصدوق بسنده عن علي بن أسباط وغيره، رفعه عن أبي

(١) علل الشرايع ص ١٢٤ والبحار ج ١٦ ص ١٣٢ وبصائر الدرجات ص ٢٤٥ والبرهان (تفسير) ج ٤ ص ٣٣٢ ونور الثقلين ج ٢ ص ٧٨ وج ٥ ص ٣٢٢ ومعاني الأخبار ص ٥٤ والإختصاص ص ٢٦٣ والفصول المهمة ج ١ ص ٤١٢ ومناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٩٩.

(٢) البحار ج ١٦ ص ١٣٣ و ١٣٤ وبصائر الدرجات ص ٢٤٧ والبرهان ج ٤ ص ٣٣٣ ونور الثقلين ج ٥ ص ٣٢٢ والفصول المهمة ج ١ ص ٤١٣.

جعفر «عليه السلام» قال: قلت: إن الناس يزعمون: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» لم يكتب ولا يقرأ.

فقال: كذبوا لعنهم الله أنى يكون ذلك، وقد قال الله عز وجل: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾^(١).

فكيف يعلمهم الكتاب والحكمة وليس يحسن أن يقرأ ويكتب؟! قال: فَلِمَ سمي النبي الأمي؟

قال: لأنه نسب إلى مكة، وهو قول الله عز وجل: ﴿لَتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾، فأم القرى مكة، فقليل أمي لذلك^(٢).

٤ - وعن الشعبي أنه قال: ما مات النبي «صلى الله عليه وآله» حتى كتب^(٣).

وقال المجلسي: قال الشعبي وجماعة من أهل العلم: ما مات رسول الله «صلى الله عليه وآله» حتى كتب وقرأ.

(١) الآية ٢ من سورة الجمعة.

(٢) البحار ج ١٦ ص ١٣٣ وعلل الشرايع ص ١٢٥ وتفسير البرهان ج ٢ ص ٣٣٢ و ٤٠ ونور الثقلين ج ٥ ص ٣٢٣ وج ٤ ص ٥٥٨ وبصائر الدرجات ص ٢٤٦ وتفسير العياشي ج ٢ ص ٧٨.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ج ١٣ ص ٣٥٢ والتراتب الإدارية ج ١ ص ١٧٣ والبحار ج ١٦ ص ١٣٥ وسير أعلام النبلاء ج ١٤ ص ١٩٠ وج ٢٢ ص ٤٦٨ وعن الإرشاد ج ١ ص ١٨٤ ومناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٩٩ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٧ ص ٤٢ وعن فتح الباري ج ٧ ص ٣٨٦ وفيض القدير ج ٤ ص ٣٣٦ وتاريخ مدينة دمشق ج ٣٤ ص ١٠٣.

وقد اشتهر في الصحاح وكتب التواريخ قوله «صلى الله عليه وآله»: إيتوني بدواة وكتف أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً^(١).

ونقول:

إن استدلاله «رحمه الله» بالفقرة الأخيرة غير خال عن النظر والمناقشة، فإن قوله: أكتب لكم يتلاءم مع أمره لبعض من حضر بذلك.. ومع توليه الكتابة بنفسه أيضاً..

٥ - ونقل السيوطي عن أبي الشيخ، من طريق مجالد، قال: حدثني عون بن عبد الله بن عتبة، عن أبيه قال: ما مات النبي «صلى الله عليه وآله» حتى قرأ وكتب. فذكرت هذا الحديث للشعبي. فقال: صدق. سمعت أصحابنا يقولون ذلك^(٢).

٦ - عن أبي عبد الله «عليه السلام» قال: «كان علي «عليه السلام» كثيراً ما يقول: اجتمع التيمي والعدوي عند رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وهو يقرأ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ بتخشع وبكاء، فيقولان: ما أشد رقتك لهذه السورة.

فيقول رسول الله «صلى الله عليه وآله»: لما رأت عيني، ووعى قلبي، ولما يرى قلب هذا من بعدي.

فيقولان: وما الذي رأيت، وما الذي يرى؟!!

(١) البحار ج ١٦ ص ١٣٥ وج ٢٢ ص ٤٦٨ وعن الإرشاد ج ١ ص ١٨٤ ومناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٩٩ ومستدرک الوسائل ج ٣ ص ٤٧٧ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٠ ص ٢١٩ وج ١٢ ص ٨٧ وإعلام الوری ج ١ ص ٢٦٥.

(٢) الدر المشور ج ٣ ص ١٣١.

قال: فيكتب لهما في التراب: تنزل الملائكة والروح الخ..^(١).
فإن ظاهر هذه الرواية: أنه «صلى الله عليه وآله» قد مارس الكتابة
فعلاً..

وقد ظهر مما تقدم: أنه لا مجال للقول: بأنه «صلى الله عليه وآله» لم يكن
يقرأ ويكتب. وأن الصحيح هو خلاف ذلك، سواء قبل بعثته «صلى الله
عليه وآله» أم بعدها.
ولكن ذلك قد كان بصورة إعجازية، على النحو الذي أوضحناه فيما
تقدم.

(١) الكافي ج ١ ص ٢٤٩ ونور الثقلين (تفسير) ج ٥ ص ٣٢٣ و ٦٣٣ ومدينة المعاجز
ج ٢ ص ٤٤٨ والبحار ج ٢٥ ص ٧١.

الفصل الرابع:

تبرئة المذنب

استدراج مدروس:

والمراقب لسير الأحداث في كتابة وثيقة الصلح يلاحظ:

١ - أن النبي «صلى الله عليه وآله» في كتابته القضايا كان ضمن خطة أراد لها أن تنتهي إلى نتائج محددة، فهو يكتب: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ مع أنه يتوقع الاعتراض عليها من قبل سهيل بن عمرو وقد حدث ذلك فعلاً..
ثم كان طبيعياً أن تثور ثائرة المسلمين الذين لا يرضون بكسر كلمة نبيهم، ولا سيما في أمر لا ينبغي أن يعارضه المشركون فيه.. فإن كلمة «باسمك اللهم» لا تتعارض مع ما كتبه رسول الله «صلى الله عليه وآله»، كما أن ما كتبه الرسول «صلى الله عليه وآله» ليس أمراً غريباً عن ذهنية الناس بالنسبة لما يصح نسبته إلى الله من صفات.
وكان قبول النبي «صلى الله عليه وآله» بما طلبه منه سهيل بن عمرو له دالتان:

إحدهما: أنها جسدت هذه المرونة التي لديه «صلى الله عليه وآله»، حيث ظهر: أنه «صلى الله عليه وآله» على استعداد للقبول بكل ما فيه تعظيم للبيت، وحقن للدماء، إذا لم يكن فيه تفريط بحقائق الدين.
والثانية: أن يقبل أصحابه بهذا التراجع الذي يهينهم لمواجهة ما هو

أشد عليهم وأقسى، كما سنرى..

٢ - ثم إنه «صلى الله عليه وآله» يكتب في الفقرة الثانية كلمة «رسول الله» مع أنه كان بإمكانه الاكتفاء بكلمة «محمد بن عبد الله»، فلو أنه فعل ذلك، فلن يخطر ببال سهيل بن عمرو: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد أغفل أمراً هاماً، ثم أن يحتمل كون سبب إغفاله هذا هو تنازله عنه، أو أنه أصبح أمراً ثانوياً عنده، أو أصبحت له أهداف أخرى، قد تكون هي الأولى عنده..

٣ - ثم جاءت المفاجأة الأكبر والأخطر، والتي حاول البعض - وهو عمر بن الخطاب بالذات - أن يثير من أجلها عاصفة من التحدي لشخص رسول الله «صلى الله عليه وآله»، إلى حد التفكير بقيادة حركة تمرد ضده «صلى الله عليه وآله»، كما صرح به عمر نفسه، وذلك لأنه اعتبر أنه «صلى الله عليه وآله» قد أعطى الدنية في دينه، ورضي بها.

فكان ذلك سبباً في ظهور ما كان خافياً على كثيرين فيما يتعلق بطبيعة علاقة عمر بالنبي «صلى الله عليه وآله»، ومناحي توجهاته الفكرية، ونظرته العقائدية للرسول الأعظم «صلى الله عليه وآله»..

لا نعطي الدنية في ديننا:

قلنا: إن النبي «صلى الله عليه وآله» كان يسوق الناس باتجاه تلمُّس الرعاية الإلهية لهم، ولطف الله تعالى بهم، وإفهامهم أن كل ما يجري لهم وعليهم إنما هو بعين الله سبحانه.. وقد توالى الدلالات، للمعجزات والكرامات التي كان «صلى الله عليه وآله» يتعمد إظهارها لهم.

ولكنه كان في مقابل ذلك يريد رفع مستوى الوعي لديهم، من خلال

التعامل مع القضايا بواقعية، وبدقة، بالإضافة إلى زيادة درجة التحمل والصبر حين يواجهون القضايا المصيرية في مفاصلها الدقيقة والحساسة والضاغطة على المشاعر والأحاسيس..

وقد كان إخباره «صلى الله عليه وآله» لأصحابه بأنهم سوف يدخلون المسجد الحرام هو أحد مفردات هذه السياسات الرائعة، حيث إنه «صلى الله عليه وآله» اكتفى ببيان بعض جوانب هذا الأمر، وهو: أن هذا الدخول سوف يحصل، وسكت عن جانب آخر، وهو: أن هذا الدخول لن يكون في هذه السنة. وترك أمر معالجة هذا الجانب المسكوت عنه للناس أنفسهم، ففهمه الأكثرون منهم بطريقة غير سليمة، وانساقوا وراء فهمهم هذا، وظهرت منهم المواقف المتوافقة مع فهمهم الخاطئ هذا. لقد فهموا: أنهم سيدخلون مكة في نفس تلك السنة، وينحرون بُدْنَهُمْ، ويتمون فيها نسكهم..

واعتبروا: أن الرجوع من دون ذلك تكذيب للرسول «صلى الله عليه وآله»، ولكن عمر بن الخطاب قال في ذلك فأكثر، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: إنما قلت: ندخل مكة، ولم أقل في هذه السنة، حتى يكون الرجوع تكذيباً^(١).

(١) راجع: السيرة الحلبية ج ٣ ص والسيرة النبوية لدحلان ج ص والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٣٦٥ و ٣٦٧ والبحار ج ٢٩ ص ٢١ وعن تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٨٠ و ٢٨١ والكامل ج ٢ ص ٧٧ وعن صحيح مسلم ج ٥ ص ١٧٥ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٦٠٩.

شك عمر في النبوة:

ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل تابع هؤلاء مسيرتهم في هذا الاتجاه، وتجاوز بعضهم حدود الاعتراض إلى حدود الشك في النبوة، حتى لقد نقل المؤرخون، عن عمر، أنه قال: «إني شككت في يوم الحديبية في النبوة. وتكلمت بما أخاف منه، وأتصدق، وأصلي كي تكون كفارة لذلك».

وقال عمر: «لو أن معي أربعين رجلاً لخالفته»^(١).

وفي بعض الروايات: لو وجد مائة رجل.

أو قال: لو وجدت أعواناً لخالفتم رسول الله «صلى الله عليه وآله» في كتابة الصلح.

وقالوا: «أنكر عليه عامة أصحابه، وأشد ما كان إنكاراً عمر».

وقال عمر في خلافته: «ارتبت ارتياباً لم أرتبه منذ أسلمت إلا يومئذ،

ولو وجدت ذلك اليوم شيعة تخرج عنهم رغبة عن القضية لخرجت»^(٢).

(١) البحار ج ٢٠ ص ٣٥٠ وتفسير القمي ج ٢ ص ٣١٢ ونور الثقلين ج ٥ ص ٥٢ والتفسير الصافي ج ٥ ص ٣٥.

(٢) نقل ذلك العلامة الأحمدي «رحمه الله» في مكاتيب الرسول ج ٣ ص ٩٣ عن: السيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٣٣١ وعن كنز العمال ج ١٠ ص ٣١٦ وتاريخ الطبري ج ٢ ص ٦٣٤ والحلبية ج ٣ ص ٢٢ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٤٣ والدر المنثور ج ٦ ص ٧٧ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٦٠٨ و ٦٠٧ و ١٠٩ ورسالات نبوية ص ١٧٧ و ١٧٨ ومسند أحمد ج ٤ ص ٣٢٥ و ٣٣٠ والمصنف لابن أبي شيبة ج ١٤ ص ٤٣٨ و ٤٤٩ والبخاري ج ٣ ص ٢٥٦ والبحار ج ٢٠ ص ٣٣٥ و ٣٥٠ ونيل الأوطار ج ٨ ص ٣٥ و ٤٧ وجامع البيان للطبري =

وكثر الضجيج وعلت الأصوات، وطال جدالهم وأشاروا إلى السيوف، وكادت الفتنة أن تقع، وكان الرسول «صلى الله عليه وآله» يسكنهم، ويهدئ من روعهم.

وقد حاول بعضهم: أن يعتبر ذلك دليل صلاح لدى هؤلاء، وعنوان إخلاصهم لهذا الدين، وغيرتهم عليه.. وأنهم رأوا في هذا الصلح ما حسبه دنية، وعاراً، فلم يطيقوه، وظهر منهم ما ظهر، وبدر من بعضهم ما بدر.

ونقول:

أولاً: إن من يؤمن بنبوة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فلا بد أن يصوبه في جميع ما يقول ويفعل، فيعتبر أنه لا يفعل إلا ما يرضي الله سبحانه، والله لا يرضى للمؤمن الذل بل يريده قوياً وعزيزاً، بل هو لا يرى العزة إلا لأهل الإيمان.

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ...﴾^(١).

وقد روي عن الإمام الصادق «عليه السلام»: أن الله سبحانه وتعالى قد

= ج ٢٦ ص ٦٣ ومجمع البيان ج ٩ ص ١١٨ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٦٨ والبرهان ج ٤ ص ١٩٣ وعبد الرزاق ج ٥ ص ٣٣٩ وزاد المعاد ج ٢ ص ١٢٥ وحياة الصحابة ج ١ ص ١٣١ والمناقب ج ١ ص ٢٠٤ وتهذيب تأريخ ابن عساكر ج ٧ ص ١٣٥ وصحيح مسلم ج ٣ ص ١٤١٢ وفتح الباري ج ٥ ص ٢٥٥ والسنن الكبرى ج ٩ ص ٢٢٢ والجامع لأحكام القرآن ج ١٦ ص ٢٧٧ والنص والإجتهد ص ١٨٢ وشرح النهج لابن أبي الحديد ج ١٢ ص ٥٩ والتاج ج ٤ ص ٢٢٧ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٤ ص ١٠٦ وج ١ ص ٢٤٩.

(١) الآية ٨ من سورة المنافقون.

فوض للمؤمن كل شيء إلا أن يذل نفسه^(١).

فهل يمكن أن يقال - بعد كل هذا - : إن النبي «صلى الله عليه وآله» قد رضي بالذل لأهل الإيثار وأعطى الدنيا في دينه؟ وهل يمكن أن يكون قائل هذا النمط من الكلام تام الإيثار، عارفاً بحدوده واقفاً على حقائقه ودقائقه؟

ثانياً: إن النبي «صلى الله عليه وآله» لا يمكن أن يعطي الدنيا، خصوصاً إذا كانت الدنيا في الدين.. لأنه إن كان لم يدرك أن ما أعطاه دنياه، وأدرك ذلك سائر الصحابة، فقد كان الآخرون أجدر منه بمقام النبوة.. ويزيد الأمر تعقيداً: أنه قد أصر على موقفه، رغم التنبيه الشديد، حتى لقد طال الجدل، وأشاروا إلى السيوف، وكادت الفتنة أن تقع.. فإن كان «صلى الله عليه وآله» عارفاً بأن ذلك دنياه، وقد أقدم عليه، عن سابق تصميم وعزم، مع علمه بعدم رضا الله تعالى به.. فهو يخل بعصمته عن الذنب.

وإن كان لا يعلم أن الله لا يرضى به، فهو يخل بعصمته في وعي الأحكام وفي تبليغها، فإن قوله وفعله وتقريره حجة.

ثالثاً: إن النبي «صلى الله عليه وآله» قد صرح لعمر: بأنه ينفذ أمر الله تعالى، وأنه لو فعل خلاف ذلك لكان عاصياً له سبحانه، حيث قال له: ولن

(١) الكافي ج ٥ ص ٦٣ و ٦٤ والوسائل ج ١١ ص ٤٢٤ ومشكاة الأنوار ص ٤٣٠ والفصول المهمة ج ٢ ص ٢٢٩ وعن البحار ج ٦٤ ص ٧٢ وميزان الحكمة ج ٢ ص ٩٨٢ ونور الثقلين ج ٥ ص ٣٣٦.

أعصيه^(١).

وفي نص آخر: لا أخالف أمره ولن يضيّعني^(٢).

وأنه مرعي من قبل الله سبحانه، حيث قال له: ولن يضيّعني.

والسؤال هو: ما معنى إصرار عمر على موقفه؟! فهل هو يتهم النبي «صلى الله عليه وآله» - والعياذ بالله - بالكذب على الله تعالى، أو أنه يتهمه بالاشتباه في فهم مراد الله عز وجل من أوامره ونواهيته؟

والأدهى من ذلك: أنه يذهب إلى أبي بكر ويوجه له نفس الأسئلة، فهل كان أبو بكر أصدق من رسول الله «صلى الله عليه وآله»، أو أعرف منه عند عمر؟!!

رابعاً: ومع غض النظر عما تقدم نقول: إنه قد يكون هناك أناس بسطاء، ينساقون مع حميتهم، ومع عصبياتهم، أو تثيرهم الشعارات، وتهزم ثباتهم، وتزلزل يقينهم الشبهات، فيعذرون في هذه الحماسة، وتغفر لهم هذه الاعتراضات من أجل ما علم من سلامة نيتهم، وطهر طويتهم.. ولكن حين يتصدى النبي «صلى الله عليه وآله» نفسه إلى تنبيههم

(١) راجع: المغازي للواقدي ج ٢ ص والمصنف لابن أبي شيبة ج ٨ ص ٥١٥ وكنز العمال ج ١٠ ص ٤٩٤ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٥٢.

(٢) المسترشد ص ٥٣٨ والبحار ج ٢٠ ص ٣٣٣ وج ٣٠ ص ٥٦١ ومسند أحمد ج ٤ ص ٣٢٥ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٢ ص ٥٩ وزاد المسير ج ٧ ص ١٦٢ وتفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٢١١ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٨٠ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٩٢ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٧٨٢ وعن عيون الأثر ج ٢ ص ١٢٠ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٣٢٠.

وتذكيرهم والتصريح لهم: بأنه ملتفت إلى جميع الحثيات والخصوصيات التي يثيرونها، وقد صرح لهم «صلى الله عليه وآله»: بأنه إنما يعمل ما أَراده الله منه، فإن الاستمرار في المعارضة، في هذه الحال، يصبح أمراً غير مقبول من أحد حتى من أمثال هؤلاء..

خامساً: والأنكى من ذلك: أن يبلغ الأمر ببعضهم حدَّ الإعلان عن استعدادة لقيادة حركة تمرد ضد شخص رسول الله «صلى الله عليه وآله»، لو توفر له من يعينه على ذلك، مائة رجل تارة، وأربعون رجلاً أخرى^(١). وهو يقصد بكلامه هذا أمراً عظيماً جداً وهائلاً، وهو أكثر وأخطر من مجرد الاستمرار بالمعارضة، فإن المفروض: أن أكثر الصحابة كانوا ثائرين معه، وكانوا يجادلون كما كان يجادل، فما الذي يريد منهم أكثر من ذلك، حتى ليتمنى أن يجد منهم أربعين رجلاً، ليعاونوه على القيام ضد الرسول «صلى الله عليه وآله» بالذات؟!!

سادساً: ما هذه الجرأة من الصحابة على مقام الرسول «صلى الله عليه وآله»؟!!

ولماذا الضجيج وعلو الأصوات؟!!

ولماذا يجهرون له بالقول كجهر بعضهم لبعض؟!!

ولماذا يقدمون بين يدي الله ورسوله؟!!

ولماذا يخفضهم النبي «صلى الله عليه وآله» ويسكنهم ولا يستجيبون له..

(١) راجع: البحار ج ٢٠ ص ٣٥٠ وتفسير القمي ج ٢ ص ٣١٢ ونور الثقلين ج ٥ ص ٥٢ والتفسير الصافي ج ٥ ص ٣٥.

ألم يقل الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾؟!^(١).
وقال تعالى: ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ..﴾^(٢).
وقال تعالى لهم: ﴿..أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ..﴾^(٣).
وقال: ﴿..وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾^(٤).

فلماذا لا يأترون بأمره، ولا ينتهون بنهيه؟!

سابعاً: لو عذرنا من أعلن بالاعتراض: بأنه قد ثارت حميته، وقاده عزه، وإبائه، وشممه إلى اتخاذ هذا الموقف الحماسي الرفض، ولكن بماذا وكيف نعذر من أعلن أنه قد شك في دينه، وفي نبوة رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟!

وإذا كان هذا الشك قد حصل فعلاً، فكيف نطمئن إلى عودة اليقين إليه؟!.. والدخول في جملة المؤمنين أو المسلمين؟!..

ولو أن هذا اليقين قد عاد بالفعل، فما الذي يجعلنا نطمئن إلى أن أموراً أخرى لم تنقضه مرة بعد أخرى، ليحل الشك محله من جديد؟! خصوصاً مع التصريح: بأن شكه في الحديبية لم يماثله أي شك آخر منذ أسلم، فقد

(١) الآية ١ من سورة الحجرات.

(٢) الآية ٢ من سورة الحجرات.

(٣) الآية ٥٩ من سورة النساء.

(٤) الآية ٧ من سورة الحشر.

قال: «ارتبت ارتياباً لم أرتبه منذ أسلمت إلا يومئذ»^(١).

وهو كلام خطير جداً، حيث إنه يدل على كثرة ما عرض له من شكوك في دينه طيلة حياة الرسول «صلى الله عليه وآله»!! ولعل هذه الشكوك قد لاحقته بعد الحديبية أيضاً!! ولا ندري هل زالت عنه تلك الشكوك كلها؟! أم لا؟! كما أننا لا ندري لماذا سهّل ورود هذه الشكوك على هذا الرجل دون سواه من سائر الصحابة؟!

إلا أن يقال: إن غيره كان يشك مثله، لكنه لم يملك شجاعة التصريح بذلك.

ولا ندري كذلك، إن كانت شكوكه قد بقيت في محيط حياة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، أم أنها قد راودته أيضاً بعد وفاته «صلى الله عليه وآله»؟!!

وإذا كان ذلك قد حصل فعلاً فماذا كان مصيرها؟! وما الذي يضمن لنا أن تكون هذه الشكوك لم تلاحقه إلى آخر حياته أيضاً؟! وكيف يمكن مقايسة هذا الرجل، بمن هو كالجبل الراسخ، الذي كان على بصيرة من أمره، وعلى بينة من ربه، حتى قال: «لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقيناً»؟!^(٢).

(١) راجع: المغازي للواقدي ج ٢ ص ٦٠٧ والمسترشد ص ٥٣٥ و ٥٣٩.

(٢) إسعاف الراغبين (مطبوع مع نور الأبصار) ص ١٠٨ وفتح البيان ج ٤ ص ٥ والصواعق المحرقة (ط الميمنية بمصر) ص ٧٧ وينايع المودة ص ٦٥ و ٢٨٧ وطبقات الشافعية ج ٤ ص ٥٤ ومطالب السؤل ص ١٦ وأنموذج جليل (مطبوع مع إملاء ما من به الرحمن) ج ١ ص ١٨ وشرح النهج للمعتزلي ج ٣ ص ١٨١ =

وقال: «ما شككت في الحق مذ رأيت»؟!^(١).

فإن كل ما جرى من ضجيج وعجيج ومن وصول الأمر إلى حد الخطورة والفتنة يفيدنا في معرفة الدافع الحقيقي وراءبيعة الرضوان، فإن تجديد البيعة، كما أسلفنا، إنما يلجأ إليها عند الخوف من عدو داخلي، لا من عدو خارجي!!

شكوك عمر استمرت إلى الطائف:

روى عبد الرحمن بن سيابة والأجلح - جميعاً - عن أبي الزبير، عن جابر بن عبد الله الأنصاري: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» لما خلا بعلي بن أبي طالب «عليه السلام» يوم الطائف، أتاه عمر بن الخطاب فقال: أتناجيه دوننا وتخلو به دوننا؟

فقال: «يا عمر، ما أنا انتجيته، بل الله انتجاه».

قال: فأعرض عمر وهو يقول: هذا كما قلت لنا قبل الحديبية: ﴿لَتَدْخُلَنَّ

= وتفصيل النشاطين ص ٤٦ و ٦٢ والمناقب للخوارزمي (ط تبريز) ص ٢٦٠ وعن بحر المناقب، وعن منال الطالب، وجواهر المطالب في مناقب الإمام علي ج ٢ ص ٥٠ ومناقب آل أبي طالب ج ١ ص ٣١٧ ومواقف الشيعة ج ١ ص ٨٩. (١) ينابيع المودة ص ٦٥ وخصائص الأئمة ص ١٠٧ والإرشاد ج ١ ص ٢٥٤ وحلية الأبرار ج ٢ ص ٦٣ والبحار ج ٢٠ ص ٣٣٥ وج ٢٩ ص ٥٦٢ وج ٣٢ ص ٢٣٧ و ٣٣٦ ومناقب أهل البيت ص ٧٥ وميزان الحكمة ج ١ ص ١٤٨ وج ٢ ص ١٠٢٦ و ١٤٩٩ وشرح النهج للمعتزلي ج ١ ص ٢٠٧ و ٢١١ وج ١٨ ص ٣٧٤ والعدد القوية ص ١٩٥ وينابيع المودة ج ١ ص ٨٣ و ٢٠٣ وج ٣ ص ٤٥٠.

.....
المَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِينَ.. ﴿﴾ فلم ندخله وصددنا عنه، فناداه النبي «صلى الله عليه وآله»: «لم أقل إنكم تدخلونه في ذلك العام»^(١).

ونقول:

إن هذا الحديث قد تضمن أموراً عديدة، نكتفي منها بالإشارة إلى ما يلي:

١ - إن عمر بن الخطاب لا يزال يحمل في نفسه قضية الحديبية، معتبراً إياها مأخذاً على رسول الله «صلى الله عليه وآله».. حتى أصبح يقيس الأمور عليها..

٢ - إن كلامه يستبطن: اتهام النبي «صلى الله عليه وآله» بالكذب والتدليس عليه وعلى المسلمين.

٣ - إن جواب النبي «صلى الله عليه وآله» لعمر: «لم أقل إنكم تدخلونه في ذلك العام»، لم يكن قد سمعه منه لأول مرة، لأنه كان قد قاله لعمر بالذات في يوم الحديبية نفسه..

٤ - إنه قد سبق للنبي «صلى الله عليه وآله» أن أحضر عمر في عمرة القضاء، ويّـن له أنهم قد دخلوا مكة، وأن ما يجري في عمرة القضاء كان تصديقاً لما كان قد أخبرهم به عن دخول مكة.

استمرار شكوك عمر إلى حجة الوداع:

ويبدو أن شكوك عمر بن الخطاب قد استمرت إلى عام الفتح وكان

(١) الإرشاد للمفيد ج ١ ص ١٥٣ والبحار ج ٢١ ص ١٦٩ وإعلام الوری ج ١ ص ٢٣٥.

«صلى الله عليه وآله» يسعى لإزالتها..

ولا ندري إن كان قد حصل ذلك أم لا؟!

فقد روي: أن النبي «صلى الله عليه وآله» لما كان عام الفتح أخذ المفتاح، وقال: ادعوا إلي عمر بن الخطاب، فقال: هذا الذي كنت قلت لكم^(١).

بل استمرت هذه الشكوك إلى حجة الوداع فقد ذكروا: أنه «لما كان في حجة الوداع وقف بعرفة، وقال: أي عمر، هذا الذي قلت لكم: إني رسول الله. والله، ما كان فتح في الإسلام أعظم من صلح الحديبية»^(٢).

فهل صدق عمر رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟! وهل تخلى عن مواقفه وشكوكه السابقة؟!
الجواب: لا.

فإن عمر قد بلغ درجة اليقين، ولكن في الاتجاه المعاكس!! حيث حكم على النبي «صلى الله عليه وآله» في مرض موته بأنه يهجر، أو غلبه الوجع بناءً على الرواية القائلة: إن النبي ليهجر، أو غلبه الوجع.

وأما إذا أخذنا بالرواية التي تقول: إنه قال: ما باله أهجر استفهموه؟. فربما يستفاد منها: أنه كان لا يزال باقياً على شكه..
والله العالم بالحقائق.

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٦٣ والمسترشد ص ٥٤٠ والبحار ج ٢٠ ص ١٤١

والنص والإجتهاد ص ١٧٢ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٥ ص ٢٥.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٦٣.

المسلمون يرفضون الإحلال:

ويقولون: إنه لما فرغ النبي «صلى الله عليه وآله» من قضية الكتاب قال: «قوموا فانحروا، ثم احلقوا».

فوالله ما قام رجل منهم، حتى قال ذلك ثلاث مرات، فاشتد ذلك عليه، فدخل على أم سلمة فقال: «هلك المسلمون، أمرتهم أن ينحروا ويحلقوا فلم يفعلوا».

وفي رواية: «ألا ترين إلى الناس أمرهم بالأمر فلا يفعلونه، وهم يسمعون كلامي، وينظرون وجهي»؟.

فقالت: يا رسول الله، لا تلمهم، فإنهم قد دخلهم أمر عظيم مما أدخلت على نفسك من المشقة في أمر الصلح، ورجوعهم بغير فتح، يا نبي الله، اخرج ولا تكلم أحداً كلمة حتى تنحر بدنك، وتدعو حالقك فيحلقك.

فجلى الله تعالى عن الناس بأم سلمة.

فقام رسول الله «صلى الله عليه وآله» واضطبع^(١) بثوبه، فخرج، فأخذ الحربة، ويمم هديه، وأهوى بالحربة إلى البدن رافعاً صوته: «بسم الله والله أكبر» ونحر.

فتواثب المسلمون إلى الهدي، وازدحموا عليه ينحرونه، حتى كاد

(١) الاضطباع: أخذ الإزار أو البرد فيجعل وسطه تحت إبطه الأيمن ويلقي طرفيه على كتفه الأيسر من جهتي صدره وظهره، انظر النهاية ج ٣ ص ٧٣ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٥٦.

بعضهم يقع على بعض .
وأشرك رسول الله «صلى الله عليه وآله» بين أصحابه في الهدي، فنحر
البدنة عن سبعة، وكان هدي رسول الله «صلى الله عليه وآله» سبعين بدنة.
وكان الهدي دون الجبال التي تطلع على وادي الثنية، فلما صده
المشركون رد وجوه البدن^(١).

قال ابن عباس: لما صُدَّتْ عن البيت حنت كما تحن إلى أولادها^(٢).
فنحر رسول الله «صلى الله عليه وآله» بُدْنَهُ حيث حبسوه، وهي
الحديبية، وشَرَدَ جمل أبي جهل من الهدي وهو يرعى، وقد قلد وأشعر.
وكان نجيباً مهرياً، في رأسه برة من فضة. أهده ليغيظ بذلك المشركين. فمر
من الحديبية حتى انتهى إلى دار أبي جهل بمكة، وخرج في أثره عمرو بن
عنمة بن عدي الأنصاري، فأبى سفهاء مكة أن يعطوه، حتى أمرهم سهيل
بن عمرو بدفعه إليه.
قيل: ودفعوا فيه عدة نياق.

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٥٦ وقال في هامشه: أخرجه البخاري ج ٣ ص ٢٥٧
وأبو داود في الجهاد باب ١٦٧ وأحمد ج ٤ ص ٣٣١ والبيهقي في الدلائل ج ٤
ص ١٠٦ وعبد الرزاق الحديث رقم (٩٧٢٠) والطبري و٢٦ ص ٦٣ وابن أبي
شيبه و١٤ ص ٤٥٠.

(٢) أخرجه أحمد في المسند و٤ ص ٣٣٠ والبيهقي في دلائل النبوة ج ٥ ص ٣٣١
وراجع: تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٢١٥ والدر المنثور ج ٦ ص ٧٩ وفتح
القدير ج ٥ ص ٥٧ والبداية والنهاية ج ٥ ص ٢٠٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٤
ص ٣٧٦ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٥٧.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «لولا أن سميناه في الهدي فعلنا»، ونحره عن سبعة، ونحر طلحة بن عبيد الله، وعبد الرحمن بن عوف، وعثمان بن عفان، بدنات ساقوها.

وروى ابن سعد، عن أبي سفيان، عن جابر قال: نحر رسول الله «صلى الله عليه وآله» سبعين بدنة عام الحديبية، البدنة عن سبعة، وكنا يومئذ ألفاً وأربعمائة، ومن لم يضح أكثر ممن ضحى.

وكان رسول الله «صلى الله عليه وآله» مضطرباً في الحل، وإنما يصلي في الحرم.

وبعث رسول الله «صلى الله عليه وآله» من هديه بعشرين بدنة لتنحر عنه عند «المروة» مع رجل من أسلم، فلما فرغ الرسول «صلى الله عليه وآله» من نحر البدن دخل قبة له من آدم حمراء، ودعا بخراش - بمعجمتين - بن أمية بن الفضل الكعبي، فحلق رأسه، ورمى شعره على شجرة كانت إلى جنبه من سمرة خضراء، فجعل الناس يأخذون الشعر من فوق الشجرة فيتحاصونه، وأخذت أم عمارة طاقات من شعره فكانت تغسلها للمريض، وتسقيه، فيبرأ.

وجعل بعضهم يحلق بعضاً، حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غماً.

وحلق بعض المسلمين، وقصّر بعض. فأخرج رسول الله «صلى الله عليه وآله» رأسه من قبته وهو يقول: رحم الله المحلقين.

قيل: يا رسول الله والمقصرين قال: «رحم الله المحلقين» ثلاثاً.

ثم قال: و «المقصرين»^(١).

وروى ابن أبي شيبه، عن ابن عباس، أنهم قالوا: يا رسول الله، ما بال المحلقين ظهرت عليهم الترحيم؟

قال: لأنهم لم يشكوا^(٢). ورواه البيهقي موقوفاً.

وبعث الله تعالى رجلاً عاصفة فاحتملت أشعارهم فألقتها في الحرم كما رواه ابن سعد، عن مجمع بن يعقوب، عن أبيه.

وأقام رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «بالحديبية تسعة عشر يوماً، ويقال عشرين ليلة، ذكره محمد بن عمر، وابن سعد. قال ابن عائد: وأقام رسول الله «صلى الله عليه وآله» في غزوته هذه شهراً ونصفاً^(٣).

ونقول:

إن لنا ههنا وقفات، وهي التالية:

-
- (١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٥٧ وفي هامشه قال: أخرجه الحاكم ج ٤ ص ٢٣٠ والبيهقي ج ٥ ص ٢٣٦ والدعاء للمحلقين متفق عليه من حديث ابن عمر. راجع: البخاري ج ٣ ص ٥٦١ (١٧٢٧) ومسلم ج ٢ ص ٩٤٥ (٣١٧/١٣٠١) والبحار ج ٢٠ ص ٣٥٤ وعن فتح الباري ج ٥ ص ٢٥٦ وتفسير القمي ج ٢ ص ٣١٤ ونور الثقلين ج ٥ ص ٥٤ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٩٣ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج ٢ ص ٦٣٣ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٣٢٣.
- (٢) أخرجه البيهقي في الدلائل ج ٤ ص ١٥١ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٥٧ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٨٣ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٧٨٤.

- (٣) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٥٦ و ٥٧ وعن عيون الأثر ج ٢ ص ١٢٥.

التبرك:

أما بالنسبة لموضوع التبرك بشعر رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وبغير ذلك نقول: إن ذلك من بديهيات الإسلام، فراجع كتاب التبرك للعلامة الأحمدي «رحمه الله».

ما نحره ' عند المروة:

وقد أراد «صلى الله عليه وآله» أن يطعم الناس في مكة من بعض البدن التي كان يريد أن ينحرها، تأليفاً لهم على الإسلام، وكسراً للحواجز التي كانوا يسعون لإقامتها بين الناس وبينه، فأرسل عشرين بدنة لتنحر عنه عند المروة كما تقدم.

الهدي عن سبعة:

وقد ذكرت الروايات المتقدمة: أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان ينحر الهدى الواحد عن سبعة أشخاص. ونقول:

إن ذلك غير جائز في مذهب أهل بيت النبوة «عليهم السلام»، الذين هم أدرى بما في البيت. فلا شك في أن ذلك مكذوب على رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

حلمهم الكبير الطعن في علي ×:

تقدم أن النبي «صلى الله عليه وآله» بعد أن كتب كتاب الصلح: «قال لأصحابه: قوموا فانحروا ثم احلقوا، قال: فوالله ما قام منهم رجل حتى

قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يقيم منهم أحد، قام فدخل على أم سلمة، فذكر لها ما لقي من الناس.

فقالت أم سلمة: يا نبي الله، أتحب ذلك؟ أخرج ولا تكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بدنك، وتدعو حالقك فيحلقك الخ..^(١).

والسؤال هو:

هل كان علي «عليه السلام» ضمن الذين رفضوا خلق رؤوسهم في الحديدية، حين قال «صلى الله عليه وآله»: «رحم الله المحلقين»، ليكون ذلك من موجبات الطعن في عصمته، أم أنه كان قد أطاع أمر الرسول «صلى الله عليه وآله» في ذلك؟

والجواب:

أولاً: إنه لا شك في أن علياً أمير المؤمنين «عليه السلام» لم يعص أمر رسول الله «صلى الله عليه وآله»، لا في هذه الواقعة، ولا في غيرها، فهو يقول: «وإني والله لم أخالف رسول الله «صلى الله عليه وآله» ولم أعصه في

(١) راجع: تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٨٣ والبداية والنهاية ج ٤ ص ٢٠٠ ومسند أحمد ج ٤ ص ٣٣١ وعن صحيح البخاري ج ٣ ص ١٨٢ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٥ ص ٢١٥ وج ٩ ص ٢٢٠ والمصنف لعبد الرزاق ج ٥ ص ٣٤٠ ومسند ابن راهويه ج ٤ ص ١٤ وعن المعجم الكبير ج ٢٠ ص ١٤ وإرواء الغليل ج ١ ص ٥٨ وجامع البيان ج ٢٦ ص ١٣٠ وتفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٢١٤ والدر المنثور ج ٦ ص ٧٧ وتاريخ مدينة دمشق ج ٥٧ ص ٢٢٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٣٣٥ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٥٦ وج ١١ ص ١٩١.

أمر قط»^(١).

ثانياً: رغم تحفظنا على حديث أم سلمة، لأنه يظهر أنها «رحمها الله» قد أدركت أمراً غفل عنه رسول الله «صلى الله عليه وآله»، لكننا نقول فيه: إنه وإن كان ظاهره العموم والشمول لجميع أصحابه «صلى الله عليه وآله»، لكن التأمل فيه يقتضي حمله على العموم والشمول لجميع المعترضين عليه «صلى الله عليه وآله» الرافضين لإطاعة أمره دون غيرهم. أي فالمراد: ما قام رجل ممن كانوا قد اعترضوا على الصلح، واغتموا له. لأن المستفاد من الروايات هو: أن ثمة فريقاً من الناس كان يجب عليهم الخلق في عمرتهم تلك، ولكنهم لم يطيعوا أمر الرسول «صلى الله عليه وآله»، ولا قاموا بما لزمهم القيام به، بل تلكأوا في بادئ الأمر، وتعللوا، ثم إنهم حين وجدوا أن لا مناص من التحلل آثروا أن يتحللوا بالتقصير؛ لا بالخلق؛ وذلك بسبب ما عرض لهم من شك.

ويوضح ذلك النصوص التالية:

١ - روى ابن هشام، عن ابن إسحاق، عن عبد الله بن نجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس، قال: خلق رجال يوم الحديبية، وقصر آخرون. فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: يرحم الله المحلقين. قالوا: والمقصرين يا رسول الله؟

(١) راجع: الأمالي للمفيد ص ٢٣٥ والأمالي للشيخ الطوسي ص ١١ ونهج البلاغة ج ٢ ص ١٧١ وحلية الأبرار ج ٢ ص ٨٥ والبحار ج ٣٢ ص ٤٦٤ و ٥٩٥ وعن ج ٧٤ ص ٣٩٧ وشرح النهج للمعتزلي ج ٥ ص ١٨١ وكشف الغمة ج ٢ ص ٤.

قال «صلى الله عليه وآله»: يرحم الله المحلقين.

قالوا: والمقصرين يا رسول الله؟

قال «صلى الله عليه وآله»: يرحم الله المحلقين.

قالوا: والمقصرين يا رسول الله؟

قال «صلى الله عليه وآله»: والمقصرين.

فقالوا: يا رسول الله، فلم ظهرت الترحم للمحلقين دون المقصرين؟

قال «صلى الله عليه وآله»: لم يشكّوا^(١).

فالشاكون إذن قد أحلوا من إحرامهم بالتقصير، مع أن وظيفتهم كانت هي الحلق، امتثالاً لأمر رسول الله «صلى الله عليه وآله».

تذكير:

قال السهيلي: إن الذين قصرُوا هم فقط: عثمان، وأبو قتادة، ولم يقصر

غيرهما^(٢).

٢ - يفهم من رواية القمي: أن بعض الذين لم يسوقوا الهدى كانوا قد

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٥٧ عنه، وعن ابن أبي شيبة، ودلائل النبوة للبيهقي ج ٤ ص ١٥١ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٧٨٤ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٨٣ ومسند أحمد ج ١ ص ٣٥٣ وسنن ابن ماجه ج ٢ ص ١٠١٢ وشرح صحيح مسلم للنووي ج ٩ ص ٥٠ وعن فتح الباري ج ٣ ص ٤٤٩ وج ٥ ص ٢٥٦ وعن المصنف لابن أبي شيبة ج ٤ ص ٣٠١ وكنز العمال ج ٥ ص ٢٣٧ وإرواء الغليل ج ٤ ص ٢٨٥ والدر المنثور ج ٦ ص ٨١ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٩٣ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٣٢٣.

(٢) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٣.

حلّقوا امتثالاً وطاعة لأمر رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وبعضهم قصر
اكتفاء في التحليل بالتقصير، ولم يمتثلوا أمره «صلى الله عليه وآله» بالخلق،
وأن فيمن ساق الهدي من كان شاكاً أيضاً.

قال القمي: «قال رسول الله «صلى الله عليه وآله» لأصحابه: انحروا
بدنكم، واحلقوا رؤوسكم، فامتنعوا، وقالوا: كيف ننحر ونحلق، ولم
نطف بالبيت، ولم نسع بين الصفا والمروة؟!»

فاغتم رسول الله «صلى الله عليه وآله» من ذلك، وشكا ذلك إلى أم
سلمة، (ربما ليظهر رجاحة عقلها ودينها - وهي امرأة - على عقولهم، وهم
أصحاب الدعاوى العريضة).

فقال: يا رسول الله، انحروا، انحروا، واحلقوا.
فنحر رسول الله «صلى الله عليه وآله» وحلق، ونحر القوم على حين
يقين، وشك وارتباب.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله» تعظيماً للبدن: رحم الله المحلقين.
وقال قوم لم يسوقوا البدن: يا رسول الله، والمقصرين؟ لأن من لم يسق
هدياً لم يجب عليه الخلق.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله» ثانياً: رحم الله المحلقين، الذين لم
يسوقوا الهدي.

فقالوا: يا رسول الله، والمقصرين؟

فقال: رحم الله المقصرين»^(١).

(١) راجع: تفسير القمي ج ٢ ص ٣١٤.

فرسول الله «صلى الله عليه وآله» قد أظهر رضاه ومحبته للمحلقين، وتذمره من الذين اكتفوا بالتقصير، وهذا يفيد: أن الذين قصرُوا هم الذين خالفوا أمر الرسول «صلى الله عليه وآله».

فظهر: أن المخالفين لأمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» والشاكِّين ليسوا هم جميع المسلمين الحاضرين في الحديبية، بل هم فريق بعينه كما دلت عليه النصوص.

ولا شك في أن علياً «عليه السلام» ليس منهم، وليس هناك نص تاريخي يصرح: بأن علياً «عليه السلام» كان بين الذين لم يخلقوا، فإن طاعته للرسول «صلى الله عليه وآله» والتزامه الحرفي بأوامره ونواهيه كالنار على المنار وكالشمس في رابعة النهار، وقد أشرنا أكثر من مرة إلى ما جرى في خيبر، حينما أمره «صلى الله عليه وآله» بالذهاب وعدم الالتفات، فوقف ولم يلتفت وقال: على ما أقاتلهم يا رسول الله؟.

وتلك هي الآيات الشريفة لم تنزل تنزل على رسول الله «صلى الله عليه وآله» مقررّة لعصمته، كآية التطهير، وتثبيت الفضل والكرامة له على من عداه، لأنه هو وحده المطيع لله ولرسوله «صلى الله عليه وآله»، كآية النجوى وغيرها.

هذا بالإضافة إلى شواهد أخرى تبين مدى حرصه «عليه السلام» على طاعة أوامر الرسول «صلى الله عليه وآله» حرفياً. يجدها المتتبع لسيرته صلوات الله وسلامه عليه..

.....

:

الفصل الخامس:

المسات الأخيرة

في طريق العودة:

وقد روى مسلم عن سلمة بن الأكوع، والبيهقي عن ابن عباس، وابن سعد، والبيهقي، والحاكم عن أبي عمرة الأنصاري، والبزار، والطبراني، والبيهقي عن أبي خنيس الغفاري، ومحمد بن عمر عن شيوخه، يزيد بعضهم على بعض:

أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» لما انصرف من «الحديبية» نزل بمر «الظهران»، ثم نزل بـ «عسفان»، وأرملوا من الزاد، فشكا الناس إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» أنهم قد بلغوا من الجوع الجهد، وفي الناس ظهر، فقالوا: ننحره يا رسول الله، وندهن من شحومه، ونتخذ من جلوده أحذية، فأذن رسول الله «صلى الله عليه وآله».

فأخبر بذلك عمر بن الخطاب فجاء إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» فقال: يا رسول الله، لا تفعل، فإن يكن في الناس بقية ظهر يكن أمثل، كيف بنا إذا نحن لقينا العدو غدًا جوعاً رجلاً؟! ولكن إن رأيت أن تدعو الناس ببقايا أزوادهم فتجمعها، ثم تدعو فيها بالبركة، فإن الله سيبلغنا بدعوتك.

ودعا رسول الله «صلى الله عليه وآله» الناس ببقايا أزوادهم، وبسط نطعاً، فجعل الناس يخيئون بالحفنة من الطعام وفوق ذلك، فكان أعلاهم من جاء بصاع تمر، فاجتمع زاد القوم على النطع، قال سلمة: فتناولت

لأحرر، كم هو؟ فحررته كربيضة عنز، ونحن أربع عشرة مائة.
فقام رسول الله «صلى الله عليه وآله» فدعا بما شاء الله أن يدعو، فأكلوا
حتى شبعوا، ثم حشوا أو عيتهم، وبقي مثله، فضحك رسول الله «صلى الله
عليه وآله» حتى بدت نواجذه، وقال: «أشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول
الله، والله لا يلقي الله تعالى عبد مؤمن بهما إلا حجب من النار».
ثم أذن رسول الله «صلى الله عليه وآله» في الرحيل، فلما ارتحلوا أمطروا
ما شاؤوا وهم صائفون، فنزل رسول الله «صلى الله عليه وآله» ونزلوا،
فشربوا من ماء السماء. ثم قام رسول الله «صلى الله عليه وآله» فخطبهم،
فجاء ثلاثة نفر، فجلس اثنان مع النبي «صلى الله عليه وآله»، وذهب واحد
معرضاً، فقال رسول الله: «ألا أخبركم عن الثلاثة؟
قالوا: بلى يا رسول الله.

قال: أما واحد فاستحيا فاستحيا الله منه، وأما الآخر فتاب فتاب الله
عليه، أما الثالث فأعرض. فأعرض الله عنه»^(١).

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٥٨ عن مسلم، والبيهقي، وابن سعد، والحاكم،
والبزار، والطبراني، والواقدي، وعن صحيح البخاري ج ١ ص ٢٤ وعن
صحيح مسلم ج ٧ ص ٩ وسنن الترمذي ج ٤ ص ١٧١ والسنن الكبرى للبيهقي
ج ٣ ص ٢٣٢ ومجمع الزوائد ج ٨ ص ٣٠٤ والسنن الكبرى للنسائي ج ٣
ص ٤٥٣ وصحيح ابن حبان ج ١ ص ٢٨٧ وكتاب الدعاء ص ٥٣٤ والمعجم
الأوسط ج ٤ ص ٢٩ وعن المعجم الكبير ج ٣ ص ٢٤٩ ورياض الصالحين
ص ٥٧١ وكنز العمال ج ١٠ ص ٢٣٩ وتفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٣٤٨
والبداية والنهاية ج ٦ ص ١٢٥.

ونلاحظ على ما تقدم ما يلي:

ألف: إن الناس لم يبادروا إلى نحر الإبل التي معهم، رغم حاجتهم إلى الطعام، إلا بعد استئذان رسول الله «صلى الله عليه وآله» بذلك. وهذا يعطينا درساً في ضرورة الانضباط والمراجعة للقائد في كل أمر له ارتباط بالحالة العامة..

ب: إن قول عمر: كيف بنا إذا نحن لقينا العدو غداً جياً؟! غير مفهوم لنا، فإن نحر بعض الإبل لا يلزم منه أن يلقي العدو رجلاً، فإن الحرب لا تكون على الإبل، وإنما تكون على الخيل أو بدونها..

ج: إذا نحروا الإبل، واستفادوا من لحومها، فإنهم لا يبقون جياً..
د: إن ما يحتاجونه في كل يوم للنحر والأكل لا يزيد على أربعة عشر جملاً، وهو مقدار يسير في جملة ما يفي بحاجات ألف وأربع مائة رجل..
فلو أنهم نحروا خلال ثلاثة أيام، أو أربعة: ستين من الإبل ثم يكونون بقرب المدينة، فذلك معناه: أن يصبح مائتا رجل - على أقل تقدير - بلا ظهر يركبونه في سفرهم. إذا كان كل ثلاثة، أو أربعة يعتقبون بغيراً ويبقى مع النبي «صلى الله عليه وآله» ألف ومائتا مقاتل، لم يتأثر وضعهم بشيء مما يجري، وهؤلاء قادرون على مواجهة العدو، ومعهم الظهر الكافي، ولا يعانون من جوع، ولا من غيره..

هـ: وكيف عرف عمر بن الخطاب هذا الأمر، وجهله النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله»؟!..

و: وإذا كان النبي «صلى الله عليه وآله» عارفاً بهذا الرأي الصالح فلماذا لم يبادر من عند نفسه إلى ذلك الحل وصبر حتى اقترحه عليه عمر بن

الخطاب؟! ألم يكن «صلى الله عليه وآله» هو الذي بادر إلى إثارة آبار الحديبية بالسهم الذي ألقاه فيها، ثم صنع لهم الكثير من المعجزات في سفر الحديبية بالذات؟!..

أم يعقل: أنه كان يرعاهم في سفر الذهاب، ثم تخلى عنهم في حال الإياب؟!!

ولماذا يتخلى عنهم؟!!

نوم المسلمين عن صلاتهم:

وروى البيهقي من طريق المسعودي، عن جامع بن شداد، عن عبد الرحمن بن أبي علقمة، عن ابن مسعود قال: لما أقبل رسول الله «صلى الله عليه وآله» من «الحديبية» جعلت ناقته تثقل، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ فأدركنا رسول الله «صلى الله عليه وآله» من السرور ما شاء، فأخبرنا أنها أنزلت عليه، فبينما نحن ذات ليلة إذ عرس بنا، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «من يحرسنا»؟

فقلت: أنا يا رسول الله.

فقال: «إنك تنام».

ثم قال: «من يحرسنا»؟

فقلت: أنا.

فقال: أنت.

فحرستهم، حتى إذا كان وجه الصبح أدركني قول رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «إنك تنام، فما استيقظت إلا بالشمس، فلما استيقظنا قال

رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «إن الله لو شاء أن لا تناموا عنها لا تناموا، ولكنه أراد أن يكون ذلك لمن بعدكم».

ثم قام فصنع كما كان يصنع، ثم قال: «هكذا لمن نام أو نسي من أمتي». ثم ذهب القوم في طلب رواحلهم، فجاءوا بهن غير راحلة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، قال: فقال لي رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «اذهب ههنا»، ووجهني وجهاً، فذهبت حيث وجهني، فوجدت زمامها قد التوى بشجرة ما كانت تحلها الأيدي.

قال البيهقي: كذا قال المسعودي عن جامع بن شداد: إن ذلك كان حين أقبلوا من الحديبية^(١).

ثم روى من طريق شعبة - وناهيك به - عن جامع بن شداد، عن عبد الرحمن بن أبي علقمة، عن ابن مسعود قال: أقبلنا مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» من غزوة تبوك.

قال البيهقي: يحتمل أن يكون مراد المسعودي بذكر الحديبية: تاريخ نزول السورة حين أقبلوا من الحديبية فقط، ثم ذكر معه حديث النوم عن الصلاة، وحديث الراحلة، وكانا في غزوة تبوك.

قلت: لم ينفرد المسعودي بذلك، قال ابن أبي شيبة في المصنف: حدثنا منذر، عن شعبة، عن جامع بن شداد به، ولا مانع من التعدد^(٢).

(١) دلائل النبوة للبيهقي ج ٤ ص ١٥٥.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٥٩ و ٦٠.

ونقول:

إن من الواضح: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» لا ينام عن صلاته، وليس في هذا النص ما يدل على ذلك.
بل هو صريح: بنوم أصحابه «صلى الله عليه وآله» عن صلاتهم، فعلمهم كيف يصنعون إذا اتفق لهم ذلك..
وسيأتي إن شاء الله المزيد من الحديث عن هذا الأمر في غزوة تبوك.

صلح الحديبية أعظم الفتح:

قالوا: روى البيهقي عن عروة، قال: قفل رسول الله «صلى الله عليه وآله» راجعاً، فقال رجل من أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله»: ما هذا بفتح، لقد صددنا عن البيت، وصدَّ هَدْيُنَا. وَرَدَّ رسول الله «صلى الله عليه وآله» رجلين من المؤمنين كانا خرجا إليه.
فبلغ ذلك رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال: «بئس الكلام، بل هو أعظم الفتح، قد رضي المشركون أن يدفعوكم بالراح عن بلادهم. ويسألوكم القضية. ويرغبون إليكم في الأمان. ولقد رأوا منكم ما كرهوا. وأظفركم الله تعالى عليهم، وردكم سالمين مأجورين، فهو أعظم الفتح. أنسيتم يوم أحد؟
إذ تصعدون ولا تلوون على أحد، وأنا أدعوكم في أخراكم؟!
أنسيتم يوم الأحزاب؟

:

.....

{إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللّهِ الظُّنُونَا}؟!}

فقال المسلمون: صدق الله ورسوله، فهو أعظم الفتوح، والله يا نبي الله ما فكرنا فيما فكرت فيه، ولأنت أعلم بالله وبالأمر منا^(١).
وكان الناس قصر رأيهم عما كان.

وكان أبو بكر يقول: ما كان فتح في الإسلام أعظم من صلح الحديبية، وكان الناس قصر رأيهم عما كان بين رسول الله «صلى الله عليه وآله» وبين ربه.
والعباد يعجلون، والله تعالى لا يعجل لعجلة العبد حتى يبلغ الأمور ما أراد، لقد رأيت سهيل بن عمرو في حجة الوداع قائماً عند المنحر يقرب لرسول الله «صلى الله عليه وآله» بُدْنَه، ورسول الله «صلى الله عليه وآله» ينحرفها بيده، ودعا الحلاق فحلق رأسه، فأنظر إلى سهيل يلقط من شعره، وأراه يضعه على عينيه، وأذكر امتناعه أن يقر يوم الحديبية بأن يكتب:

(١) راجع المصادر التالية: سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٥٨ و ٥٩ وفي هامشه عن: شرح المواهب اللدنية ج ٢ ص ٢١١ والدر المنثور ج ٦ ص ٦٨ والسيرة الحلبيّة ج ٣ ص ٢٤ والسنن الكبرى ج ٦ ص ٣٢٥ ومكاتيب الرسول ج ٣ ص ٩٦ عن إعلام الوری ص ٦١ وعن الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢ ص ١٠٥ وعن شرح الشفاء للقاري ج ١ ص ١٢١ وعن السيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص وعن السيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٤٦٩ وعن المصنف لابن أبي شيبة ج ٤ ص ٤٢٩ و ٤٥٨ و ٥٠١ و ج ١٥ ص ٣١٨ والنص والاجتهاد ص ١٨٢ وعن عيون الأثر ج ٢ ص ١٢٥.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ فحمدت الله تعالى الذي هداه للإسلام^(١).

وروى الإمام أحمد، والبخاري، والترمذي، والنسائي، وابن حبان، وابن مردويه عن عمر بن الخطاب قال: كنا مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» في سفر - يعني: «الحديبية» - فسألته عن شيء ثلاث مرات، فلم يرد عليّ.

فقلت في نفسي: ثكلتك أمك يا ابن الخطاب، نزلت رسول الله «صلى الله عليه وآله» ثلاث مرات فلم يرد عليك، فحركت بعيري، ثم تقدمت أمام الناس، وخشيت أن ينزل في القرآن، فما نشبت أن سمعت صارخاً يصرخ بي، فرجعت وأنا أظن أنه نزل في شيء، فقال النبي «صلى الله عليه وآله»: «لقد أنزلت عليّ الليلة سورة هي أحب إليّ من الدنيا وما فيها: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا، لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ...﴾»^(٢).

وروى ابن أبي شيبة، والإمام أحمد، وابن سعد، وأبو داود، وابن جرير، وابن المنذر، والحاكم - وصححه - وابن مردويه، والبيهقي في الدلائل، عن مجمع بن جارية الأنصاري قال: شهدنا «الحديبية» مع رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فلما انصرفنا عنها إلى كراع الغميم إذا الناس يوجفون الأباعر، فقال الناس بعضهم لبعض: ما للناس؟

قالوا: أوحى إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» فخرجنا مع الناس نوجف، فإذا رسول الله «صلى الله عليه وآله» على راحلته عند «كراع الغميم»، فاجتمع الناس إليه فقرأ عليهم: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ الفتح.

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٦٣ و ٦٤.

(٢) الآيتان ١ و ٢ من سورة الفتح.

فقال رجل من أصحاب النبي «صلى الله عليه وآله»: أو هو فتح؟
فقال: «أي والذي نفسي بيده إنه فتح».

زاد ابن سعد: فلما نزل بها جبريل قال: ليهنئك يا رسول الله، فلما هنأه
جبريل هنأه الناس^(١).

وروى عبد الرزاق والإمام أحمد، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد،
والشيخان والترمذي، وابن جرير، وابن المنذر، والحاكم، عن أنس قال: «لما
رجعنا من «الحديبية» قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «أنزلت علي
ضحى آية هي أحب إلي من الدنيا جميعاً» ثلاثاً.

قلنا - وفي لفظ قالوا -: هنيئاً مريئاً لك يا رسول الله، قد بين الله لك ماذا
يفعل بك، فماذا يفعل بنا؟

(١) أخرجه أحمد في المسند ج ٣ ص ٤٢٠ وأخرجه أبو داود في الجهاد باب: (فيمن
أسهم له سهماً) وذكره الحافظ بن كثير في التفسير ج ٤ ص ١٩٧ والبيهقي في
الدلائل ج ٤ ص ١٥٥ وراجع: صحيح مسلم ج ٥ ص ١٧٦ والمعجم الكبير
ج ١٩ ص ٤٤٥ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج ٢ ص ٦٣٥ والبحار ج ٢١ ص ٨
وعن سنن أبي داود ج ١ ص ٦٢٢ والمستدرک للحاكم ج ٢ ص ١٣١ و ٤٥٩
والسنن الكبرى للبيهقي ج ٦ ص ٣٢٥ وعن فتح الباري ج ٧ ص ٣٤٠ وعن
المصنف لابن أبي شيبة ج ٨ ص ٥٠٩ والمعجم الأوسط ج ٤ ص ١٢١ وسنن
الدارقطني ج ٤ ص ٦٠ ونصب الراية ج ٤ ص ٢٧٨ وعن تفسير مجمع البيان ج ٩
ص ١٨٤ ونور الثقلين ج ٥ ص ٤٨ وجامع البيان ج ٢٦ ص ٩٣ والجامع لأحكام
القرآن ج ١٦ ص ٢٦١ والدر المنثور ج ٦ ص ٦٨ وفتح القدير ج ٥ ص ٤٦
والطبقات الكبرى ج ٢ ص ١٠٥ وتهذيب الكمال ج ٣٢ ص ٣٦٤.

فنزلت، - وفي لفظ، فنزلت عليه -: ﴿لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾، حتى بلغ ﴿فَوْزًا عَظِيمًا﴾^(١).

وروى ابن أبي شيبة، والإمام أحمد، والبخاري في تاريخه، وأبو داود والنسائي، وابن جرير، وغيرهم عن ابن مسعود قال: «أقبلنا من الحديبية مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» فبينما نحن نسير إذ أتاه الوحي، وكان إذا أتاه اشتد عليه، فسري عنه، وبه من السرور ما شاء الله، فأخبرنا أنه أنزل عليه: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾»^(٢).

ونقول:

إن لنا مع ما تقدم وقفات نوجزها على النحو التالي:

(١) أخرجه: ابن حبان ذكره الهيثمي في موارد الظمان ص (٤٣٦) (١٧٦٠) والبيهقي ج ٥ ص ٢١٧ وأحمد ج ٤ ص ١٥٢ والحاكم ج ٤ ص ٤٦٠ وذكره السيوطي في الدر المنثور ج ٦ ص ٧١ والخطيب في التاريخ ج ٣ ص ٣١٩ والبيهقي في الدلائل ج ٤ ص ١٥٥ وراجع: مسند أبي يعلى ج ٦ ص ٢٠ وصحيح ابن حبان ج ٢ ص ٩٤ والمعجم الأوسط ج ٧ ص ١٠٠ وجامع البيان ج ٢٦ ص ٩٢ ومعاني القرآن ج ٦ ص ٤٩٢ وأسباب نزول الآيات ص ٢٥٦ وتفسير الجلالين ص ٧١٢ ولباب النقول ص ١٧٧ وفتح القدير ج ٥ ص ٤٦ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٦٠.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٦٠ عن البخاري في التفسير ج ٨ ص ٥٨٢ (٤٨٣٣) والبيهقي في الدلائل ج ٤ ص ١٥٥ والدر المنثور ج ٦ ص ٦٨ وفتح القدير ج ٥ ص ٤٦.

النبي ' يذكرهم:

قد رأينا: أن النبي «صلى الله عليه وآله»، حين أنكر البعض أن يكون ما جرى في الحديبية فتحاً، صار يذكرهم بما كان منهم في أحد، حيث هاجمهم المشركون في عقر دارهم، فانهزموا فيها شر هزيمة، ولم يذكرهم بما فعله علي «عليه السلام» في أصحاب الألوية، حيث دحر قوى الشرك.

ثم ذكرهم بما كان في وقعة الخندق، حيث هاجمهم المشركون أيضاً في دارهم ولم يستطيعوا أن يبرزوا لمقاومتهم، وكان منهم ما كان، ولم يشر إلى قتل علي «عليه السلام» لعمر بن عبد ود في الخندق، وهزيمة الأحزاب بسبب ذلك..

وذلك من أجل أن يقارنوا بين ما جرى لهم هناك وما جرى لهم في الحديبية، فإن المسلمين في الحديبية هم الذين حضروا إلى بلاد المشركين، حتى بلغوا مشارف عاصمتهم، ولم يجرؤ المشركون على مواجهتهم، بل رضوا بأن يدفعوهم عن بلادهم بالراح.

ثم هم يرضون بدخول المسلمين بلدهم بعد عام، ومعهم سيوفهم في القرب.

وبعقد معاهدة معهم تضمنت شروطاً لم يكن المسلمون يحلمون بأن يعطيها لهم أهل الشرك..

أبو بكر.. في موازنة رسول الله :

والذي يقرأ أحداث صلح الحديبية في الروايات المزعومة يجد: أن ثمة تشابهاً فيما بين حركات وكلمات، ومواقف كل من أبي بكر، ورسول الله «صلى

الله عليه وآله»..

ونحن نرى: أن ثمة تعمداً لإظهار هذا الانسجام والتوافق، لكي ينال أبو بكر فضيلة ترتفع به إلى مستوى الرسول «صلى الله عليه وآله» في الوعي للقضايا، وفي الحكمة، والتدبير، والرصانة والاتزان..

وينال عمر بن الخطاب في المقابل فضيلة الغيرة الفائقة، والحماسة المنقطعة النظر، والشدة في الحفاظ على العزة والكرامة الإسلامية..

ولينقلب من ثم الخطأ إلى صواب، والرديلة إلى فضيلة!! ويصبح الشك في النبوة والرسالة صريح الإيمان، وعصارة التقوى!! فتبارك الله أحسن الخالقين!!

تبرك سهيل بن عمرو:

وقد أظهرت الروايات: أن سهيل بن عمرو كان يتبرك بشعر رسول الله «صلى الله عليه وآله».

وقد قلنا مرات كثيرة: إن التبرك من بدييات هذا الدين، وإن النصوص المثبتة له قد تصل إلى المئات. فراجع كتاب التبرك للعلامة الأحمدي «رحمه الله».

الفصل السادس:

عهد الحديبية: نتائج وآثار

آثار ونتائج عهد الحديبية:

ثم إن سورة الفتح وكذلك تصريحات رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ونصوص عهد الحديبية بالذات، أظهرت: أن الإسلام قد حقق في الحديبية أموراً هامة وأساسية جداً، لا مجال للتعرض لها في كتاب كهذا، فلا بد من الاختصار على الإلماح السريع إلى بعضها، فنقول:

١ - إن السورة قد اعتبرت ما جرى في الحديبية فتحاً مبيناً. وصرح بذلك الرسول «صلى الله عليه وآله»، وقد أظهرت الوقائع هذا الأمر بصورة جلية أيضاً.

٢ - قد نسبت السورة هذا الفتح إلى الله سبحانه، بمعنى: أن الله تعالى هو الذي هياً لهذا الفتح. حيث يتضح لمن رصد حركة الأحداث: أنه «صلى الله عليه وآله» لو استجاب لرغبة أصحابه لما حصل على هذا الفتح العظيم، الذي أوجب دخول المنطقة بأسرها في الإسلام من دون قتال، وأظهر ظلم قريش وعدوانيتها، وأظهر ضعفها، وسماحة الإسلام، ونبيل مقاصده، وجلّى مكان القوة فيه، وعرفّ الناس بالبون الشاسع بين حقيقة أهداف المسلمين، والمشركين، ثم هم مع ذلك كله قد رجعوا سالمين، ومن دون أية خسائر تذكر..

٣- لقد أوضحت الآيات: أن من جملة ما حققه صلح الحديبية هو: أن الله تعالى قد جعل الأمور باتجاه أرغم قريشاً على اتخاذ موقف من شأنه أن يسقط مزاعمها في حق رسول الله «صلى الله عليه وآله»؛ فإن الصلح قد ركز القناعة: بأن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يكن يسعى في قطع الأرحام، ولم يكن يارس العدوان والبغي، وأنه إنما يطالب بالكف عن الظلم وعن البغي، وأنه الوصول، الودود، الرحيم، الرضي، الذي يتعامل بالصفح والعفو حتى عن أعدى أعدائه...

وهذا هو ما أشار إليه قوله تعالى: ﴿لِيُغْفَرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ فقد هيا الصلح قريشاً للإقرار: بأن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يكن مذنباً في حقها، بل هي سوف تبرّئه من الذنب، حتى حين تسير الأمور باتجاه لا ترضاه، أو باتجاه ما ترى أنه لا يخدم مصالحها الخاصة.

وبعد.. فإننا نستطيع أن نفهم الكثير من نتائج هذه الهدنة من ملاحظة نفس الشروط التي وضعت في وثيقة الصلح، ومن هذه النتائج والفوائد:
ألف - أن الصلح قد أفسح المجال أمام الكثير من المشركين والمسلمين للتلاقي في مكة وفي المدينة وغيرهما، وطرح القضايا فيما بينهم على بساط البحث، والتقى الأصدقاء والأهل، وذوو الأرحام ببعضهم، وبذلوا لهم النصيحة، من موقع المحبة والإخلاص والصدق.

وقد أسهم كل ذلك: في اتضاح كثير من الأمور التي كانت مبهمة لدى المشركين فيما يختص بحقائق الإسلام، وما يسعى إليه المسلمون. وتكونت لدى الكثيرين منهم قناعات جديدة سهلت عليهم الدخول في هذا الدين، أو هي على الأقل قد أسهمت في تخفيف حدة العداء له، والتقليل من

مستويات التشنج ضده.

ب - يضاف إلى ذلك: أن الكثيرين من المشركين قد شاهدوا عن قرب أحوال النبي «صلى الله عليه وآله»، وربما بعض معجزاته، وعانوا حسن سيرته، وحميد طريقته، وجميل أخلاقه الكريمة، وعرفوا الكثير عن طبيعة تعاطيه مع القضايا، وأدركوا: أن ما يسعى إليه ليس هو التسلط على الآخرين، واكتساب الامتيازات على حسابهم، بل هو يريد: أن يحقق لهم المزيد من الرفعة والشوكة، والكرامة والعزة..

وهذا أمر لم يعرفوه ولم يألّفوه في زعمائهم، الذين يريدون: أن يتخذوا مال الله دولاً، وعباد الله خولاً..

فلا بد أن تميل نفوسهم إلى الإيمان، ويبادر خلق منهم إلى الإسلام ويزداد الآخرون له ميلاً^(١).

وكان ذلك أعظم الفتح، فقد دخل الإسلام في تينك السنتين مثل ما دخل فيه قبل ذلك، بل أكثر^(٢).

بل لقد روي عن الإمام الصادق «عليه السلام» أنه قال: «فما انقضت

(١) السيرة الحلبية ج ٣ ص ومكاتب الرسول ج ٣ ص ٩٤ وشرح صحيح مسلم للنووي ج ١٢ ص ١٤٠ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٨٠ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢.

(٢) تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٨٣ والنص والاجتهاد ص ١٨٣ ومكاتب الرسول ج ٣ ص ٩٤ وعن فتح الباري ج ٥ ص ٢٥٧ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٩٤ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٣٢٤ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٦٤ والكامل في التاريخ ج ٢ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢.

تلك المدة (وهي سنتا الهدنة) حتى كاد الإسلام يستولي على أهل مكة»^(١).

ج - إن شروط الصلح: قد مكنت من إظهار الإسلام في مكة، بعيداً عن أي ضغوط حتى النفسية منها، فلم يعد أحد يمنع أحداً من الدخول في الإسلام، فدخل فيه من أحب. ولم يعد الداخل في هذا الدين يخشى الاضطهاد، والأذى، بل هو قد أصبح آمناً حتى من ممارسة بعض الضغوط النفسية ضده، حيث لم يعد التعبير به مسموحاً بمقتضى المعاهدة..

ولو أن النبي «صلى الله عليه وآله» اختار طريق الحرب، فإن ضرراً بالغاً سوف يلحق بهؤلاء المسلمين المستضعفين؛ لأن قريشاً سوف تشتد عليهم، ولربما قتلت الكثير منهم، كما أن جيوش المسلمين لا تعرف المسلم من غير المسلم منهم، خصوصاً مع ما هم عليه من التقية والتستر، كما أنهم لا يعرفون من أصبح له ميل ورغبة في الدخول في هذا الدين، لكنه غير قادر على المبادرة إلى ذلك في هذا الوقت، بل يكون مجبراً على مجارة أهل الشرك، والتظاهر بحرب المسلمين معهم.. وهذا سوف ينتهي بقتل عدد كبير من هؤلاء أيضاً..

فكان الصلح سبباً في حفظ هؤلاء، وأولئك، وهو صلح سعت إليه قريش نفسها، وظهر إعزاز الله تعالى لأوليائه، ولدينه.

د - إن هذا العهد، قد جعل المسلمين في مأمن من جانب قريش،

(١) البحار ج ٢٠ ص ٣٦٣ وإعلام الورى ص ٦١ ومناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٧٥ ومكاتيب الرسول ج ٣ ص ٩٤ وإعلام الورى ج ١ ص ٢٠٥ والكافي ج ٨ ص ٣٢٦ وقصص الأنبياء للراوندي ص ٣٤٤.

فتفرغوا لنشر الإسلام في سائر القبائل، ليصبح المحيط الإسلامي أكثر اتساعاً، ويتم التحول من حالة حصار للإسلام في المدينة، وضواحيها القريبة، إلى حالة حصار لقريش في مكة، بل حصارهم في بعض زواياها، وكان الإسلام ينتشر في مكة بسرعة، فدخل كل بيت، وشمل كل القبائل والشعب والأفخاذ.

فما حققه «صلى الله عليه وآله» في هذا الصلح أضعاف أضعاف ما تحقق في حروبه الدفاعية مع قريش وسواها، حسبما تقدم.

ويكفي للتدليل على ذلك، أنهم يقولون: إن النبي «صلى الله عليه وآله»، قد بعث بعد الحديبية سراياه وبعوثه في مهمة الدعوة إلى الله تعالى، فلم تبق كورة ولا مخلاف في اليمن والبحرين، واليامة إلا وفيها رسل النبي «صلى الله عليه وآله»، والناس يدخلون في دين الله أفواجا^(١).

وإذا كان قد جاء إلى الحديبية بألف وأربع مائة أو نحو ذلك، فإنه جاء بعد سنتين فقط بعشرة آلاف مقاتل، وفتح الله له مكة، ودخلها من غير قتال^(٢).

هـ - دخول النبي «صلى الله عليه وآله» مكة في العام التالي، وأداء مناسك العمرة، من دون قتال..

(١) راجع: مكاتيب الرسول ج ٣ ص ٩٥.

(٢) راجع: البداية والنهاية ج ٥ ص ٣٥١ والطبقات الكبرى ج ٢ ص ١٣٤ والمناقب لابن شهر آشوب ج ٢ ص ٢٤ والكامل في التاريخ ج ٢ ص ٩٠ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٧٨٧ ومستدرك الوسائل ج ٤ ص ٨١ والدر المنثور ج ٦ ص ٤٠٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٥٤١.

وهذا يمثل اعترافاً من قريش بقوة الإسلام، وبأن للمسلمين الحق في ممارسة شعائر دينهم حتى في مكة، وبأنها كانت ظالمة لهم في حرمانهم من هذا الحق.

كما أن ذلك يعطي الآخرين مزيداً من الجرأة على التعامل مع المسلمين، وليس لقريش أن تعترض على أحد في ذلك، أو أن تمارس ضده أية ضغوط، لأن ذلك سوف يفهم على أنهبغي، وابتزاز لا مبرر له.. ولا بد أن يسقط ذلك هيبتها، ويسوق الناس إلى المقارنة بين طريقتها في التعامل، وبين طريقة أهل الإسلام، وتكون النتيجة هي المزيد من التعاطف معهم ضدها..

هذا بالإضافة إلى أن هذا النصر قد أعطى المسلمين شحنة روحية، وزادهم ثقة بأنفسهم، وتصميماً على المطالبة بحقوقهم، ووطد الآمال بالوصول إليها والحصول عليها، وإن طال السرى..

و - إن النبي «صلى الله عليه وآله» كان يملك الجيش المتحمس، والقادر والمستعد لكل التضحيات..

وهو مع ذلك قد رجع عن إتمام عمرته، وأحل ونحر البدن في موضعه، مقابل وعد أعطي له بأن يعود إلى مكة في العام التالي معتمراً، وزائراً، ومعظماً للبيت، لكي يمكن المسلمين والمشركون من الاجتماع بأهلهم وذويهم.

وذلك من شأنه أن يعرف الناس عملياً: أن جميع ما كانت تبثه قريش من إشاعات عن أنه «صلى الله عليه وآله» لا يعظم البيت، وأنه يسعى لإفساد حياة الناس، ويريد قطع الأرحام، هو محض افتراء لا واقع له، والشواهد كلها على خلافه.

فها هو الجيش القادر والمستعد لدخول مكة عنوة، وها هي قريش في غاية الضعف والوهن، ولا يلومه أحد لو أنه سدّد الضربة القاضية لها. فإنها كانت ولا تزال تسعى جاهدة لاستئصال شأفته، وإعفاء آثاره، ومحوها من الوجود والحياة..

وها هو رسول الله «صلى الله عليه وآله» يؤثر الرجوع عنها رغم ذلك كله، رغبة في حقن الدماء وإيثاراً لتعظيم البيت، وسعيّاً في صلة الأرحام، وفي تخفيف آلام الناس.

ز - إن قريشاً قد رأت كيف أن عدداً من ملوك العرب والعجم كانوا بعد الحديبية يخطبون ودّ رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ورأت أن باذان عامل كسرى قد دخل في الإسلام، وأسلم أيضاً عدد من ملوك العرب والعجم، وأرسل الملوك، مثل المقوقس وملك الحبشة وغيرهما الهدايا إلى إليه «صلى الله عليه وآله».

كما أن أبا سفيان قد رأى تعظيم قيصر ملك الروم لكتاب رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

فأسهم ذلك كله في ترسيخ هيئته «صلى الله عليه وآله» لدى قريش، واضطرها إلى أن تخفف من غلوائها. ووجدت نفسها مضطرة للاستسلام له في فتح مكة حتى دخلها من دون قتال..

ح - إن ثمرات هذا الصلح قد بدأت بالظهور في لحظة إبراهيم، حيث إنه لما كتب فيه: «وأن من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل». توثبت خزاعة، وقالوا: «نحن في عقد محمد وعهده»..

وتواثبت بنو بكر، فقالوا: «نحن في عقد قريش وعهدهم».

وخزاعة كانت تعيش مع قريش في مكة ومحيطها، وكانت عيبة نصح لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، فلم تعد قريش - التي ظهر أن الحرب قد أكلتها وأوهنت قواها - وحدها في مكة، بل أصبح شركاء محمد «صلى الله عليه وآله» وحلفاؤه يعيشون معها، وليس لها أحد في المدينة يجهر بالتحالف، أو يعترف بالشراكة لها، أو بالتعاون معها..

هذا بالإضافة إلى: أنها تضطر بمقتضى الصلح إلى رفع اليد عن مصادرة حرية حتى من أسلم من أبنائها، وأصبح لهم الحق في أن يعيشوا معها دون أن تتمكن من إلحاق أي أذى بهم.

وبذلك يكون معسكر الشرك قد انقسم على نفسه بصورة أعمق وأوثق، وأوضح وأصرح. وأصبح هذا الانقسام محمياً بالعهود والمواثيق.. فإذا انضم ذلك إلى ما نتج عن وساطة الحليس، وعمرو بن مسعود، حيث رجع ابن مسعود بمن معه إلى الطائف، واتخذ الحليس موقفاً صارماً من قريش، فإن الأمر يصبح أشد خطورة عليها، وزادها مسير النبي «صلى الله عليه وآله» إلى الحديبية، وكذلك عقده وعهده معها وهنا على وهن.

ط - وقد رضي المشركون بالفوز بانتصار وهمي، وشكلي، حين سجلوا على أنفسهم عهداً، وأعطوا وعداً لرسول الله «صلى الله عليه وآله» يقضي بنقض كل قراراتهم السابقة، ويشير إلى: أن كل تلك الحروب التي شنتها ضده «صلى الله عليه وآله» والمسلمين طيلة السنوات الست السابقة كانت ظالمة وبلا فائدة ولا عائدة..

فإنها قد اعترفت: بأن للنبي «صلى الله عليه وآله» الحق في زيارة البيت

وأداء المناسك، فلماذا شنت عليه كل تلك الحروب؟! وأدخلت كل تلك المصائب والبلايا على الناس؟! وخلقت هذا الكم الكبير من العداوات بين القبائل والفئات المختلفة؟!

إن نفس هذا الاعتراف والعهد يجعل نفس هذا التأخير إلى العام المقبل أيضاً بلا معنى، بل هو يدخله في دائرة العدوان أيضاً، لأن مبرراته المعلنة هي: أنهم يريدون إرضاء عنجهيتهم، وتنفيس كربتهم.

ي - إن هذا الشرط الذي نفر منه المسلمون كان إنجازاً عظيماً لهم لو تدبروا فيه، فإن من يُريد الفرار إلى المشركين يَكُنْ فراره رحمة للمسلمين؛ لأن وجوده بين المسلمين بعد أن ارتد عن الدين، ونكص على عقبيه، ليس فقط سيكون بلا فائدة ولا عائدة، بل سيكون مضراً لهم، فيما لو سعى في إثارة الشبهات بين الضعفاء من الناس، أو إذا مارس التجسس على المسلمين، وعَرَّفَ المشركين بنقاط ضعفهم، أو أعلمهم بطبيعة تحركاتهم وبتدبيراتهم في المواقع التي يجب أن تبقى طي الكتمان عنهم..

وأما المسلم الذي يريد الخروج إلى المسلمين فيمنعه المشركون، فإن وجوده بين المشركين - وهو متمسك بدينه - سيكون مفيداً جداً؛ لأنه وهو بينهم لا بد أن يمارس شعائر دينه، وربما تسنح له فرص كثيرة لطرح قضية الإيمان مع الكثيرين ممن يتصلون به، أو يبذلون جهداً لإقناعه بالتخلي عن دينه والعودة إلى ما كان عليه.. وقد يوفقه الله تعالى لإقناع بعضهم، أو لإثارة تساؤلات لديهم..

ولعل هناك من يلمس في سلوكه الرسالي، ما يجعله مهيناً لاختيار الإيمان على الشرك..

ولعله لأجل ذلك وسواه قال «صلى الله عليه وآله»: «نعم.. إنه من ذهب منا إليهم فأبعده الله، ومن جاء منهم إلينا فسيجعل الله له فرجاً ومخرجاً»^(١).

ك - إنه بعد أن أصبح المسلمون في راحة من جهة قریش، راسل «صلى الله عليه وآله» الملوك من حوله.. فأرسل كتب الدعوة إلى الإسلام إلى كسرى، وقیصر، والمقوقس، وغيرهم. وكان ذلك بعد الحديبية في السنة السادسة أو السابعة بعد الهجرة^(٢).

وهذا يفسح المجال للشعوب لتسامع بأنباء بعثته، وتلفت إلى دعوته، كما إن ذلك يؤكد هيئته في كل المحيط الذي يعيش فيه.

ل - إنه في ظل صلح الحديبية انطلق النبي «صلى الله عليه وآله» إلى يهود خيبر الذين كانوا وما يزالون يعلنون الحرب على الإسلام والمسلمين،

(١) راجع: السيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج ٢ ص ٦٧٩ والكافي ج ٨ ص ٣٢٦ ومكاتب الرسول ج ٣ ص ٩٢ وعن فتح الباري ج ٥ ص ٢٥٣ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٥٤ وعن صحيح البخاري ج ٥ ص ٣٥٧ ومسند أحمد ج ٤ ص ٣٢٨ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٩ ص ٢٢٠ و ٢٢٧ والمصنف لعبد الرزاق (٩٧٢٠) وجامع البيان ج ٢٦ ص ٥٩ و ٦٣ وتفسير القرآن العظيم ج ٧ ص ٣٢٤ وأخرجه: أبو داود في الجهاد باب (١٦٧) والسيوطي في الدر المنثور ج ٦ ص ٧٨ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢.

(٢) راجع: مكاتب الرسول (ط دار صعب) ج ١ ص ١١٣ عن الطبقات الكبرى ج ١ ص ٢٥٨ و ٢٥٩ وعن الكامل في التاريخ ج ٢ ص ٨٠ وعن تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٨٨ وتاريخ أبي الفدا ج ١ ص ١٤٨ والتنبيه والإشراف ص ٢٢٥.

وينشئون التحالفات مع أعدائهم ويحرضون ويتآمرون، ويشيرون المشكلات الكبيرة والخطيرة، كلما سنحت لهم الفرصة، وواتاهم الظرف.

وكان اليهود أكبر قوة ضاربة ومتناسكة في منطقة نقطة الارتكاز للوجود الإسلامي، فقد كانوا قادرين على تجهيز عشرة آلاف مقاتل من اليهود في المنطقة، فزحف إليهم النبي «صلى الله عليه وآله» في ألف وأربع مائة مقاتل..

وهو أمر لم يكن متيسراً له «صلى الله عليه وآله» قبل الحديبية، فإنه لم يكن يستطيع أن يخلي المدينة من أهلها ليقود جيشاً يجمع فيه كل القوى المقاتلة، ويترك المدينة من دون قوة تدافع عنها؛ لأن قوى الشرك كانت تنتظر تلك اللحظة لكي تنقض على عاصمة الإسلام وقلبه النابض.

وقد منع عهد الحديبية قريشاً من مهاجمتها، ومن أن تمد يد العون لليهود خيبر، ولغيرهم. وكانت سائر القبائل القريبة أضعف وأهون من أن يُخشى منها أمر من هذا القبيل. لأنها تعرف العواقب الوخيمة التي تنتظرها لو سارت في هذا الاتجاه.

وانتصر المسلمون على اليهود وأسقطوا كبرياءهم في المنطقة كلها: في خيبر، وفدك، ووادي القرى وتيما.. وغير ذلك..

م - ثم هناك الانطلاقة الكبرى إلى خارج المحيط الذي كان يعيش فيه المسلمون، وذلك في غزوة مؤتة التي أظهر فيها ثلاثة آلاف جندي أعظم البطولات في مواجهة جيش يضم عشرات الألوف، الأمر الذي أعطى للدولة البيزنطية انطباعاً حاسماً وقوياً عن بسالة الإنسان المسلم، وأفهمهم: أنهم مقدمون على تحولات ومتغيرات كبيرة، قد يكون لها أعظم الأثر على

مستقبل حياتهم السياسية، والدينية والاجتماعية.. وغيرها..

ن - إن قريشاً قد اضطرت إلى الاعتراف بقوة المسلمين، وأنها أصبحت متكافئة معها، وأنها قوة لها حضورها، ولا بد أن تتعامل معها معاملة الند للند. ولولا أنها رأت فيها ذلك، لم تقدم على عقد الصلح معها.

وقبل الحديبية لم تكن قريش على استعداد للاعتراف بهذا التكافؤ، بل ظلت تعتبر المسلمين حالة تمرد شاذة، لا بد من السيطرة عليها، وإخضاعها، ولا يجوز أن يسمح لها - بوصفها شرذمة خارجة عن القانون -: بأن تبقى على ما هي عليه، بل لا بد من إنزال أقصى الضربات بها، والتخلص منها بصورة، أو بأخرى.

س - والغريب في الأمر هنا: أن المشركين بعد مدة يسيرة يقدمون التماساً، ويوسّطون لدى النبي «صلى الله عليه وآله» وسطاء ليرضى بإعفائهم من الشرط الذي اعتبروه نصراً لهم، واعتبره المسلمون إعطاءً للدينية من دينهم..

فإن أبا بصير عتبة بن أسيد، وأبا جندل، وثلاث مائة من المسلمين وأكثرهم من الذين حبسهم المشركون في مكة قد تسللوا منها، ولكنهم لم يأتوا إليه «صلى الله عليه وآله»، لعلمهم بأنه سوف يردهم إلى مكة، بل ذهبوا إلى سيف البحر، فكانوا لا تمر عير لقريش إلا أخذوها، وقتلوا من فيها.

فأرسلت قريش أبا سفيان إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» يسألونه ويتضرعون له بأن يبعث إلى أبي جندل ليأتي إليه، وإن كل من أتى منهم إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» فهو له..

ولتفصيل ما جرى نقول:

أبو بصير يقتل أسريه، ويعتصم بالساحل:

روى عبد الرزاق، والإمام أحمد، وعبد بن حميد، والبخاري، وأبو داود، والنسائي، عن المسور بن مخرمة، والبيهقي، عن ابن شهاب الزهري^(١): أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» لما قدم المدينة من الحديبية أتاه أبو بصير عتبة بن أسيد - بوزن أمير - بن جارية الثقفي، حليف بني زهرة مسلماً، قد أفلت من قومه، فسار على قدميه سعياً.

فكتب الأخنس بن شريق، وأزهر بن عبد عوف الزهري إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» كتاباً، وبعثا خنيس بن جابر، من بني عامر بن لؤي، استأجراه ببكر، ابن لبون، وحمله على بعير، وكتبوا يذكران الصلح الذي بينهم، وأن يرد إليهم أبا بصير، فخرج العامري ومعه مولى له يقال له: كوثر دليلاً، فقدموا بعد أبي بصير بثلاثة أيام، فقرأ أبي بن كعب الكتاب على رسول الله «صلى الله عليه وآله» فإذا فيه:

قد عرفت ما شارطناك عليه، وأشهدنا بينك وبيننا، من رد من قدم عليك من أصحابنا، فابعث إلينا بصاحبنا.

فأمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» أبا بصير أن يرجع معها، ودفعه

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٦١ وقال في هامشه: أخرجه البخاري ج ٥ ص ٣٢٩ في الشروط، وأبو داود في الجهاد باب ١٦٧ وأحمد ج ٤ ص ٣٣١ والبيهقي في الدلائل ج ٤ ص ١٠٧ وفي السنن ج ٩ ص ٢٢١ وعبد الرزاق في المصنف (٩٧٢٠) وانظر: البداية والنهاية ج ٤ ص ١٧٦.

إليهما فقال: يا رسول الله، تردني إلى المشركين يفتنونني في ديني؟
فقال: «يا أبا بصير إنا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت، ولا يصلح
لنا في ديننا الغدر. وإن الله تعالى جاعل لك ولمن معك من المسلمين فرجاً
ومخرجاً».

فقال: يا رسول الله، تردني إلى المشركين؟!
قال: «انطلق يا أبا بصير، فإن الله سيجعل لك فرجاً ومخرجاً».
فخرج معهما، وجعل المسلمون يسرون إلى أبي بصير: يا أبا بصير،
أبشر، فإن الله جعل لك فرجاً ومخرجاً، والرجل يكون خيراً من ألف رجل،
فافعل وافعل: يأمرونه بقتل الذين معه.

وقال له عمر: أنت رجل، ومعك السيف، فانتهاها به عند صلاة الظهر
بذي الحليفة، فصلى أبو بصير في مسجدها ركعتين، صلاة المسافر، ومعه زاد
له من تمر يحمله، يأكل منه. ودعا العامري وصاحبه ليأكلا معه، فقدموا
سفرة فيها كسر، فأكلوا جميعاً، وقد علق العامري سيفه في الجدار وتحادثا.
ولفظ عروة: فسل العامري سيفه ثم هزه فقال: لأضربن بسيفي هذا
في الأوس والخزرج يوماً إلى الليل.

فقال له أبو بصير: أصارم سيفك هذا؟

قال: نعم.

قال: ناولنيه أنظر إليه إن شئت، فناوله إياه، فلما قبض عليه ضربه به
حتى برد.

قال ابن عقبة: ويقال: بل تناول أبو بصير السيف بفيه، وصاحبه نائم،
فقطع إيساره، ثم ضربه به حتى برد، وطلب الآخر، فجمز مذعوراً مستخفياً.

وفي لفظ: وخرج كوثر هارباً يعدو نحو المدينة، وهو عاض على أسفل
ثوبه قد بدا طرف ذكره، والخصى يطير من تحت قدميه من شدة عدوه، وأبو
بصير في أثره، فأعجزه. وأتى رسول الله «صلى الله عليه وآله» وهو جالس
في أصحابه بعد العصر، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله» حين رآه:
«لقد رأى هذا ذعراً. فلما انتهى إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال:
«ويحك ما لك»؟

قال: قتل والله صاحبكم صاحبي، وأفلت منه ولم أكد. وإني لمقتول.
واستغاث برسول الله «صلى الله عليه وآله»، فأمنه، وأقبل أبو بصير فأناخ
بغير العامري. ودخل متوشحاً سيفه. فقال: يا رسول الله قد وفّت ذمتك،
وأدى الله عنك، وقد أسلمتني بيد العدو، وقد امتنعت بديني من أن أفتن.
فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «ويل أمه مسعر حرب»!!^(١).

(١) مسعر حرب، أي: موقدها، انظر المعجم الوسيط ج ١ ص ٤٣٢ والبحار ج ٢٠
ص ٣٣٦ ومسند أحمد ج ٤ ص ٣٣١ وعن صحيح البخاري ج ٣ ص ١٨٣ وعن
سنن أبي داود ج ١ ص ٦٣ والمصنف لعبد الرزاق ج ٥ ص ٣٤١ والمعجم الكبير
ج ٢٠ ص ١٥ وإرواء الغليل ج ١ ص ٥٩ ومجمع البيان ج ٩ ص ١٩٩ وجامع
البيان ج ٢٦ ص ١٣١ وتفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٢١٤ والدر المنثور ج ٦
ص ٧٨ وإكمال الكمال ج ١ ص ٥٩ وج ٢ ص ٣ وتاريخ مدينة دمشق ج ١٢
ص ١٣ وج ٥٧ ص ٢٣٠ وأسد الغابة ج ٣ ص ٣٦٠ وسير أعلام النبلاء ج ٣
ص ٣٤٦ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٨٤ والبداية والنهاية ج ٤ ص ٢٠١
والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٣٣٥ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٦٢.

وفي لفظ: «محش حرب، لو كان معه رجال»!!^(١).

وفي لفظ: «له أحد»!.

قال عروة، ومحمد بن عمر: وقَدَّم سلب العامري لرسول الله «صلى الله عليه وآله» ليخمسه، فقال: «إني إذا خمسته رأوني لم أوف لهم بالذي عاهدتهم عليه. ولكن شأنك بسلب صاحبك، واذهب حيث شئت».

وفي الصحيح: أن أبا بصير لما سمع قول رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «ويل أمه مسعر حرب لو كان معه أحد»! عرف أنه سيرده. فخرج أبو بصير، ومعه خمسة كانوا قدموا معه مسلمين من مكة حين قدم على الرسول «صلى الله عليه وآله»، فلم يكن طلبهم أحد حتى قدموا سيف البحر.

ولما بلغ سهيل بن عمرو قتل أبي بصير العامري اشتد عليه، وقال: ما صالحنا محمداً على هذا.

فقالت قريش: قد برئ محمد منه، قد أمكن صاحبكم منه فقتله بالطريق، فما على محمد في هذا؟

فأسند سهيل ظهره إلى الكعبة وقال: والله لا أؤخر ظهري حتى يودى هذا الرجل.

قال أبو سفيان بن حرب: إن هذا هو السفه، والله لا يودى - ثلاثاً -

(١) راجع: سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٦٢ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٨٤ والبحار ج ٢٠ ص ٣٣٦ و ٣٦٣ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٩ ص ٢٢٧ وأسد الغابة ج ٥ ص ١٥٠ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٧٨٨ وعن عيون الأثر ج ٢ ص ١٣١.

وأنى قريش تديه، وإنما بعثته بنو زهرة؟
فقال الأخنس بن شريق: والله ما نديه، ما قتلناه، ولا أمرنا بقتله، قتله
رجل مخالف؛ فأرسلوا إلى محمد يديه.
فقال أبو سفيان بن حرب: لا، ما على محمد دية ولا غرم، قد برئ
محمد. ما كان على محمد أكثر مما صنع. فلم تخرج له دية.
فأقام أبو بصير وأصحابه بسيف البحر، وقال ابن شهاب: بين العيص
وذي المروة من أرض جهينة، على طريق عيرات قريش.
قال محمد بن عمر: لما خرج أبو بصير لم يكن معه إلا كف تمر، فأكله
ثلاثة أيام، وأصاب حيتاناً قد ألقاها البحر بالساحل فأكلها. وبلغ المسلمين
الذين قد حبسوا بمكة خبر أبي بصير، فتسللوا إليه.
قال محمد بن عمر: كان عمر بن الخطاب هو الذي كتب إليهم بقول
رسول الله «صلى الله عليه وآله» لأبي بصير: «ويل أمه محش حرب لو كان له
رجال»، وأخبرهم أنه بالساحل.
وانفلت أبو جندل بن سهيل بن عمرو الذي رده رسول الله «صلى الله
عليه وآله» إلى المشركين بالحدبية، فخرج هو وسبعون ركباً ممن أسلموا
فلحقوا بأبي بصير، وكرهوا أن يقدموا على رسول الله «صلى الله عليه وآله»
في هدنة المشركين، وكرهوا الثواء بين ظهري قومهم، فنزلوا مع أبي بصير.
ولما قدم أبو جندل على أبي بصير سلم له الأمر، لكونه قرشياً. فكان أبو
جندل يؤمهم. واجتمع إلى أبي جندل - حين سمع بقدمه - ناس من بني
غفار، وأسلم، وجهينة، وطوائف من الناس، حتى بلغوا ثلاثمائة مقاتل -
كما عند البيهقي عن ابن شهاب - لا تمر بهم عير لقريش إلا أخذوها، وقتلوا

من فيها، وضيقوا على قريش، فلا يظفرون بأحد منهم إلا قتلوه.

ومما قاله أبو جندل بن سهيل في تلك الأيام:

أبلغ قريشاً عن أبي جندل أنا بذى المروة في الساحل
في معشر تخفق راياتهم بالبيض فيها والقنا الذابل
يأبون أن تبقى لهم رفقة من بعد إسلامهم الواصل
أو يجعل الله لهم مخرجاً والحق لا يغلب بالباطل
فيسلم المرء بإسلامه ويقتل المرء ولم يأتل
فأرسلت قريش إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» أبا سفيان بن
حرب، يسألونه ويتضرعون إليه: أن يبعث إلى أبي بصير وأبي جندل ومن
معهم.

وقالوا: من خرج منا إليك فأمسكه، فهو لك حلال، غير محرج أنت فيه.

وقالوا: فإن هؤلاء الركب قد فتحوا علينا باباً لا يصلح إقراره.

فكتب رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى أبي بصير وأبي جندل يأمرهما:
أن يقدموا عليه. ويأمر من معها ممن اتبعهما من المسلمين أن يرجعوا إلى بلادهم
وأهليهم، فلا يتعرضوا لأحد منهم من قريش وعيراتها.

فقدم كتاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» على أبي بصير وهو يموت.
فجعل يقرؤه، ومات وهو في يديه، فدفنه أبو جندل مكانه، وجعل عند قبره
مسجداً.

وقدم أبو جندل على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ومعه ناس من
أصحابه. ورجع سائرهم إلى أهليهم، وأمنت بعد ذلك عيرات قريش.

قال عروة: فلما كان ذلك من أمرهم، علم الذين كانوا أشاروا على رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن يمنع أبا جندل من أبيه بعد القضية: أن طاعة رسول الله «صلى الله عليه وآله» خير لهم فيما أحبوا وفيما كرهوا من رأي من ظن أن له قوة هي أفضل مما خص الله تعالى به رسوله «صلى الله عليه وآله» من الفوز والكرامة.

ولما دخل رسول الله «صلى الله عليه وآله» عام القضية، وحلق رأسه قال: «هذا الذي وعدتكم»^(١).

مصير أبي بصير:

إن من الأمور التي تؤلم الإنسان وتؤذي روحه هو أن يبذل جهداً مضيئاً، حتى إذا رأى: أنه قد حصل على مبتغاه ابتلي بفقده، فكيف إذا استبدل بضده، فإن المصيبة عليه ستكون أعظم، والألم سوف يكون أشد.. وبمقدار ما يكون ذلك الشيء الذي يسعى له ثميناً وعزيزاً، وغالياً لديه، بمقدار ما تتعذب روحه لفقده، وتعظم مصيبته فيه، فكيف إذا كان أثمن وأغلى ما في الوجود عليه، وأعز عليه من كل عزيز، وهو مستعد لأن يبذل من أجله ماله، وولده، وحتى روحه التي بين جنبيه، فكيف يمكن لنا أن نتصور حاله حين يفقده، بعد أن وجده؟! وهذا بالذات هو ما جرى لأبي بصير الذي أفلت من قومه، وجاء إلى المدينة سعيّاً على قدميه، والآمال العذاب تراود خاطره، بأن يملك حريته،

(١) راجع: سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٦١ - ٦٣ والبحار ج ٢٠ ص ١٤١ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٢ ص ٦٠ وج ١٥ ص ٢٥.

ويكون مع أهله وأحبابه، حيث العزة والكرامة، والمحبة، والقلوب الصافية،
والعاطفة المتوهجة، وحيث يكون مع رسول الله «صلى الله عليه وآله»، خير
الخلق، وأشرف الكائنات..

ولم تدم فرحته ثلاثة أيام حتى حلت به الكارثة، فقد وصل كتاب
قريش، يطالب بإرجاعه إليها، ليواجه السجن، والقيد والذل، والعذاب،
والأذى النفسي، والمهانة، والفتنة في الدين وما إلى ذلك..
فأمره رسول الله «صلى الله عليه وآله» بأن يرجع مع الرسولين، ودفعه
إليهما.. وقال له نفس الكلمات التي كان قالها لأبي جندل حين سلمه لأبيه
سهيل بن عمرو، حين كتابة صلح الحديبية.

أبو بصير يقتل أسره:

ويذهب أبو بصير مع أسريه، ويسير معهما على طريق العذاب والآلام،
وهو يرى أن أسريه محاربون له ولدينه، ومعتدون على حرите وعلى كرامته،
وهو لم يعقد معهم عهداً يعطيهم الحق بقهره وظلمه، وبالعدوان عليه..
ويرى أن له كل الحق بدفع السوء عن نفسه، وأن لا يمكنهم من إلحاق
الأذى به.

كما أنه ليس لمحاربه وآسره أن يغفل الاحتياط لنفسه، وأن يطالب
بالأمان من ناحيته.. فإذا قصر في حفظ نفسه، وظفر به عدوه فلا يلومن إلا
نفسه، فأبو بصير لم يعتد على أسره ولم يظلمه حتى حين يباشر قتله، بل هو
قد مارس حقه الطبيعي بالدفاع عن نفسه.

النبى ' يجير المشرك:

وقد كانت إجارة النبى «صلى الله عليه وآله» لذلك الهارب من أبى بصير، تفضلاً منه «صلى الله عليه وآله» وكرماً، فإن الأمر يرجع إليه فى أن يستجيب له أو لا يستجيب.. ولكن النبى «صلى الله عليه وآله» لا يخيب من أمله، ويطلب معونته، حتى لو كان مخالفاً لدينه، وساعياً فى إلحاق الأذى به..

النبى ' لا يجيب أبى بصير:

وقد لاحظنا: أنه حين قال أبو بصير للنبى «صلى الله عليه وآله»: «فت ذمتك، لم يجبه» «صلى الله عليه وآله» بشيء، لا سلباً ولا إيجاباً. إذ لا مجال للإجابة بالنفى؛ لأن ذلك غير واقعى، وليس من المصلحة الإجابة بالإيجاب، حتى لا تسيء قريش فهم القضية، وتتخذ ذلك ذريعة لاتهامه «صلى الله عليه وآله» بما هو بريء منه..

ويل أمه مسعر حرب، لو كان معه رجال:

ولكن النبى «صلى الله عليه وآله» أطلق كلاماً عاماً، يصف فيه أبى بصير، دون أن يتمكن أحد من اتخاذه ذريعة لتسجيل مؤاخذه مباشرة عليه، حيث ذكر «صلى الله عليه وآله»: «أن أبى بصير قادر على أن يسعر حرباً لو كان معه رجال».

وهو وإن كان وصفاً له بأمر عام يمكن أن يستفاد منه الإغراء بأمر من هذا القبيل.. ويمكن المناقشة والتشكيك القوي فى أن يكون قد قصد ذلك منه فإنه لم يحدد زمان ومكان هذه الحرب التى يجب أن يسعرها هذا الرجل..

ولكن لأبي بصير أن يفهم: أن نفس إطلاق النبي «صلى الله عليه وآله» لهذا الكلام، وبهذه الطريقة لا بد أن يكون له مغزى ويتضمن توجيهاً خفياً عليه أن يعرفه، وأن يسعى لتحقيقه.. وهو: أن عليه أن يجد رجالاً، وأن يسعر حرباً على أعدائه وأن يخلص نفسه من الورطة التي هو فيها..

النبي ' يقبل خمس السلب:

وقد صرحت النصوص المتقدمة: أن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يرض أن يأخذ خمس سلب ذلك القتل، موضحاً له أن سياسته هي أن لا يعطي قريشاً ما ينفعها في توجيه أي تهمة له، فقال: «إني إذا خمسته رأوني لم أوف لهم بالذي عاهدتهم عليه، ولكن شأنك بسلب صاحبك، واذهب حيث شئت».

وبذلك يكون قد أعلمه: أن عمله كان مشروعاً، فإنه «صلى الله عليه وآله» لم يقل له: لا خمس عليك فيه، بل أفهمه: أن الخمس ثابت في هذا السلب، ولكن ليس من المصلحة أن يأخذه منه.. لأن قريشاً سوف تدفع بالأمور باتجاه توجيه التهمة الصريحة لرسول الله «صلى الله عليه وآله» بأنه وراء قتل الرجل، وأنه هو الأمر بذلك.

قريش تعيش الإرباك والانقسام:

وبالرجوع إلى خلافت قريش في دية المقتول، نخرج بالنتائج التالية:
١ - إن قريشاً لم تستطع أن تدي ذلك القتل، ولم تتفق على رأي في من يجب أن يديه.

٢ - إن قريشاً بمن فيها أبو سفيان قد برأت النبي «صلى الله عليه وآله» من أن يكون هو المطالب بدفع الدية. ولم يستطع أحد منهم أن يدفع هذا القول، أو أن يسجل تحفظاً عليه.

مما يعني: أن أسلوب النبي «صلى الله عليه وآله» في التعامل مع هذا الأمر كان غاية في الدقة والحكمة.

٣ - إن قريشاً حتى وهي تواجه مشكلة تمس كبرياءها، وترى أنها تمثل عدواناً عليها، قد تعاملت مع تلك المشكلة بالمنطق القبلي، الذي يكرس الحقد والانقسام العشائري، خصوصاً حين يقول أبو سفيان: أئني قريش تديه، وإنما بعثته بنو زهرة؟

أسلم وغفار وجهينة مع أبي جندل:

وقد كانت قبائل أسلم، وغفار، وجهينة، تسكن حول المدينة، وهي قبائل من الأعراب، كان فيهم طائفة من المنافقين، أخبر عنها القرآن الكريم بقوله: ﴿وَمِنَ حَوْلِكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُّوا عَلَى النَّفَاقِ..﴾^(١).

ويلاحظ: أن من هذه القبائل أشخاصاً انضموا إلى أبي جندل، ونحسب أن ذلك لكونهم وجدوا الفرصة سانحة للحصول على المال، من التجارات التي يصادرها أبو جندل، حيث ظهر لهم: أنه قد اتخذ موقعاً حساساً على طريق قوافل قريش التجارية..

(١) الآية ١٠١ من سورة التوبة.

واللافت: أن سائر القبائل لم ينفر من أفرادها ما يدعو إلى الإشارة إليها بالبنان كما كان الحال بالنسبة للقبائل الثلاث التي سلف ذكرها..

ذل قريش:

وقد ألمحنا فيما سبق: إلى أن ما فعله أبو جندل وأبو بصير، قد أوقع قريشاً في مأزق حقيقي، وجدت أن إرسال الكتب والرسائل لا يفيد في إخراجها منه.

كما أن إرسال أناس عاديين لا يكفي في ذلك، فاضطرت إلى إرسال أحد قادتها الكبار، الذي عرف بشدة الطغيان والجحود، وبجمع الجموع، وقيادة الجيوش لحرب الرسول «صلى الله عليه وآله»، وهو أبو سفيان بن حرب، أرسلته إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» لتطمئن إلى انحلال العقدة، والخروج من الأزمة.

واللافت هو: أن طلب قريش من الرسول «صلى الله عليه وآله» لم يكن طلباً عادياً، بل كان طلب الضارع الملح، الذي يظهر المزيد من المسكنة والضعف، لاستجلاب رضاه «صلى الله عليه وآله»، وهي التي كانت تسعى في استئصال شأفته، وخضد شوكته.

وقد كان تدخُّله هذا تفضلاً منه، ونبلاً وكرماً، فهو «صلى الله عليه وآله» يساعد حتى عدوه الذي طالما شن عليه الحروب، وقتل الخلفاء والأصفياء، وسعى في طمس هذا الدين، وإبطال جهود جميع الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين يساعد على حفظ السلام، وبسط جناح الأمن، مع أنه «صلى الله عليه وآله» لم يكن مطالباً، لا من ناحية أدبية، ولا

..... : :

من ناحية سياسية، ولا بأي ميزان عرفه الناس آنئذٍ، بدفع هؤلاء المظلومين
عما يطالبون به، وما يسعون إليه، فإن هؤلاء الذين أخذوا بكظم قريش لم
يأتوا إليه، ولم ينطلقوا من عنده، ولا كان عملهم تنفيذاً لأوامر صدرت
منه، وإنما هي مبادرة منهم لم تنص المعاهدة بمسؤوليته عن أي شيء تجاهها.

حتى خيبر

الفصل الأول: أشخاص أراد الناس أن يمدحهم
الفصل الثاني: سرايا وقضايا بين خيبر

الفصل الأول:

أشخاص أراد الناس أن يمدحهم

إيضاحات ضرورية:

هناك أشخاص جرت عادة بعض المؤرخين على تخصيصهم بالذكر في بعض الموارد في السيرة النبوية الشريفة، مع أنهم يهملون أو يكادون ذكر أشخاص قد ساهموا بصورة عميقة في بناء القوة الفكرية أو السياسية، أو المعنوية أو غيرها للمجتمع الإسلامي. وكان لهم أثرهم الكبير في حفظ الدين وفي نشره، وسهروا الليالي، وقدموا التضحيات الجسام من أجله وفي سبيله..

نعم، إنهم يهملون هؤلاء حين لا يحالفهم الحظ في أن يسلبوهم ذلك كله، لينحلوه إلى أعدائهم ومناوئهم. وحين تضطرهم الوقائع، ويفرض عليهم الواقع، الذي لا يجدون منه خلاصاً ولا عنه مناصاً، إلى الاعتراف بشيء من تضحيات وجهاد هؤلاء الذين يكرهون التنويه بذكرهم، والإعلان بمآثرهم، فإن تحريفهم وتلاعبهم بالحقائق، يصل إلى حد يصبح معه الإهمال والتجاهل أولى وأحفظ للحق، وأنفع للخلق، حيث يصبح السباب والتجريح أخف شناعة وقباحة من الكذب الصريح، الموجب لتحريف حقائق الدين، وتضييع جهد وجهاد الأولياء المخلصين.. وانسداد أبواب الهداية عن العالمين.

وقد نجد في هذا الفصل نماذج لأشخاص أريد التسويق لهم، من خلال الإدعاءات العريضة التي يطلقونها، والانتفاخات الإستعراضية التي يقومون بها، لأن ذلك يخدم نفس الأهداف التي كان هؤلاء الأشخاص دور في مساعدة أصحابها لبلوغها، أو لأنهم قد شاركوا في العمل على استبعاد نهج أصيل، ومحاصرة قيم الحق، وإضعاف حركة أناس يريدون لذلك النهج أن يفرض نفسه ولتلك القيم أن يكون لها دورها في واقع الحياة بقوة وحزم، وبعمق ورسوخ، وإباء وشموخ..

وحيث إننا قد التزمنا بمراعاة ومجاعة كِتَاب السيرة في ذكر ما أحبوا ذكره، فإننا نشير في هذا الفصل إلى نفس النقاط التي ذكروها، ونحاول أن لا نمر عليها مرور الكرام، بل نسجل بعض ما نجد ضرورة لتسجيله من توضيحات أو تصحيحات، مع التزام جانب الاختصار الذي نرجو أن لا يصل إلى حد الإخلال، والله الولي، والموفق، والهادي إلى سبيل الرشاد..

وفاة أم رومان:

قالوا: إن أم رومان بنت عامر، بن عويمر، أم عائشة ماتت في سنة ست. وكانت أولاً عند عبد الله بن سخرية، فولدت له الطفيل، ثم مات عنها فتزوجها أبو بكر، فولدت له عبد الرحمن وعائشة. فلما ماتت نزل النبي «صلى الله عليه وآله» في قبرها، فلما دليت فيه قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «من أراد أن ينظر إلى امرأة من الحور العين

فلينظر إلى هذه»^(١). وهذا هو قول محمد بن سعد ، وإبراهيم الحربي .

وقد علق بعض الإخوة على هذا الحديث بقوله :

هذا الكلام لا ينسجم مع تعاليم الإسلام والتربية والأخلاق التي أراد رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن يتربى الناس عليها ويتخلقوا بها، من لزوم غض النظر عن غير المحارم، ومراعاة حرمة الميت، فهو في مضمونه شاهد كذب على أنه لم يصدر عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» ولا يمكن أن يصدر عنه، خصوصاً في مثل هذا الزمان والمكان، فضلاً عن أنه لا يعطي أية منزلة ولا كرامة لأُم عائشة سوى أنها جميلة جداً.

ولو سلم أنها كذلك فعلاً، فليس الجمال مقياساً للمكارم والتفاضل المجدي يوم لا ينفع مال ولا بنون، لأن الجمال نعمة يُسأل عنها المرء، وهذا الكلام لن يفيد حتى الزوج الذي يحتاج إلى كلمة تسليه، وشخص يعزيه. وعلى أية حال فالمقام لا يتناسب مع هكذا مقال.

ونقول:

قد ذكرنا في الجزء الخاص بحديث الإفك من كتابنا هذا، في فصل: «شخصيات ومضامين غير معقولة»: أن هذا الكلام موضع شك، وأن آخرين يقولون: إنها عاشت بعد النبي «صلى الله عليه وآله» دهرًا طويلاً،

(١) راجع: تاريخ الخميس ج ٢ ص ٢٦ وطبقات ابن سعد ج ٨ ص ٢٠٢ والروض الأنف ج ٤ ص ٢١ ووفاء الوفاء ج ٣ ص ٨٩٧ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٧٩ والمستدرك للحاكم ج ٣ ص ٤٧٣ والجامع الصغير للسيوطي ج ٢ ص ٦١٠ وكنز العمال ج ١٢ ص ١٤٦ وفيض القدير ج ٦ ص ١٩٧ وأسد الغابة ج ٥ ص ٥٨٣ وعن الإصابة ج ٨ ص ٣٩٢ وسبل الهدى والرشاد ج ١١ ص ١٦٤ .

حيث ماتت في خلافة عثمان^(١).

ويستدلون على ذلك:

أولاً: برواية مسروق بن الأجدع عنها، وقد ولد مسروق أول سني الهجرة، وروى عنها حديث الإفك في خلافة أبي بكر أو عمر، وسمع منها حديث الإفك، وهو بعمر خمس عشرة سنة^(٢).

ولكن كثيرين أنكروا هذا^(٣)، بل لقد قال السهيلي: إن مسروقاً ولد بعد وفاة رسول الله «صلى الله عليه وآله» بلا خلاف، ولم ير أم رومان قط^(٤).

فالحكم بإرسال رواية مسروق بن الأجدع عنها، إستناداً إلى عدم الخلاف في ولادته أولى..

ثانياً: قد حاول العسقلاني إثبات بقائها إلى ما بعد سنة أربع أو خمس أو ست لكي يؤيد سماع مسروق منها بعد وفاة النبي «صلى الله عليه وآله»..

(١) تاريخ الخميس ج ٢ ص ٢٦ وتهذيب التهذيب ج ٢ ص ٤٦٨ عن البخاري في تاريخه: الأوسط والصغير، وعن الإصابة ج ٨ ص ٣٩٢ وفيض القدير ج ٦ ص ١٩٧ وعن مقدمة فتح الباري ص ٣٧١.

(٢) الإصابة ج ٤ ص ٤٥١ وتهذيب التهذيب ج ١٢ ص ٤٦٨ وراجع: فتح الباري ج ٧ ص ٣٣٧ وإرشاد الساري ج ٦ ص ٣٤٣.

(٣) راجع: الاستيعاب (مطبوع مع الإصابة) ج ٤ ص ٤٥٢ والروض الأنف ج ٤ ص ٢١ والإصابة ج ٤ ص ٤٥٢ وفتح الباري ج ٧ ص ٣٣٧ و ٣٣٨ وتهذيب التهذيب ج ١٢ ص ٤٦٨.

(٤) الروض الأنف ج ٤ ص ٢١ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٧٩ وتهذيب الكمال ج ٣٥ ص ٣٦٠ وعن مقدمة فتح الباري ص ٣٧١.

بالاستناد إلى روايتين:

إحدهما: رواية تخيير النبي «صلى الله عليه وآله» لنسائه. حيث أمر «صلى الله عليه وآله» عائشة أن تشاور أبويها: أبا بكر، وأم رومان..
والأخرى: حديث عبد الرحمن بن أبي بكر عن أضياف أبي بكر وفيه: «وإنما هو أنا وأبي، وأمي، وامرأتي الخ..».
وعبد الرحمن قد هاجر بعد الحديبية في سنة سبع أو ثمان بل هو قد أسلم يوم الفتح^(١). فدل ذلك على حياة أمه إلى ما بعد هذا التاريخ.
ونقول:

- ١ - قد ذكرنا في حديث الإفك: أن حياتها إلى سنة تسع لا تثبت بقاءها إلى ما بعد وفاة النبي «صلى الله عليه وآله»، فضلاً عن أن تثبت سماع مسروق منها، وهو إنما ولد بعد وفاته «صلى الله عليه وآله» بلا خلاف.
- ٢ - إن رواية أضياف أبي بكر قد عبرت بكلمة «وأمي»، فلعله نزل زوجة أبيه بمنزلة أمه.
- ٣ - إن كلمة «وأمي» لا توجد في جميع نسخ البخاري، بل هي موجودة فقط - في نسختي الكشمهيني، والمستملي.
- ٤ - إن عبد الرحمن يقول: فقالت له امرأته، أو فقال لامرأته، وهذا يؤكد أن تكون زوجة أبيه، وليست أمه على الحقيقة..

(١) راجع: الإصابة ج ٤ ص ٤٥١ و ٤٥٢ وفتح الباري المقدمة ص ٣٧١ وج ٧ ص ٣٣٧ وج ٨ ص ٤٠١ وتهذيب التهذيب ج ١٢ ص ٤٦٨ و ٤٦٩ ورواية تخيير النبي «صلى الله عليه وآله» نسائه في مسند أحمد ج ٦ ص ٢١٢ وفيض القدير ج ٢ ص ١٨٧ وجامع البيان ج ٢١ ص ١٩٠ وعن تفسير القرآن العظيم ج ٣ ص ٤٨٩.

٥ - إن رواية الأضياف تقول: إن أبا بكر قد قال لزوجته: يا أخت بني فراس.. وهذا دليل آخر على أن المقصود ليس هو أم رومان؛ حيث إنها ليست فراسية، فراجع ما ذكرناه حول ذلك في الجزء الخاص بحديث الإفك.

٦ - إن التخيير لم يكن سنة تسع - كما يدعيه هؤلاء - بل كان قبل ذلك؛ لأن سورة الأحزاب التي وردت فيها آية التخيير قد نزلت - كما يقول نفس هؤلاء - سنة أربع أو خمس، أي حين زواج النبي «صلى الله عليه وآله» بزینب بنت جحش.

بل لقد صرحت رواية مسلم وغيره: بأن آية التخيير قد نزلت حين تظاهرت عليه عائشة وحفصة، فاعتزلهن رسول الله «صلى الله عليه وآله» تسعاً وعشرين ليلة، وذلك قبل أن يفرض الحجاب على نساء النبي «صلى الله عليه وآله»^(١).

وقد تقدم: أن الحجاب قد فرض - حسبما يدعون - عند زواجه بزینب بنت جحش، ونحن قلنا سابقاً: إنه قد فرض قبل ذلك. فلا نعيد.. وأما أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد نزل في قبر أم رومان، فهو مما رواه محبوبها.

وقد عوّدنا هؤلاء أنهم إكراماً لعائشة، ولأبي بكر، على استعداد لاقتحام كل المسلمات، وإيقاع أنفسهم في المتناقضات.

(١) راجع: صحيح مسلم ج ٤ ص ١٨٨ و ١٨٧ و ١٨٩ و ١٩٠ والدر المنثور ج ٦ ص ٢٤٢ و ٢٤٣ عنه وعن ابن مردويه وعبد بن حميد ومسند أبي يعلى ج ١ ص ١٥٠ وعن تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٤١٥ وصحيح ابن حبان ج ٩ ص ٤٩٦ وكنز العمال ج ٢ ص ٥٢٨ والجامع لأحكام القرآن ج ١٨ ص ١٨٩.

فإذا احتاجت عائشة إلى رواية مسروق بن الأجدع عن أم رومان، فإن
أم رومان تعود إلى الحياة بعد عشرات السنين من موتها، ومسروق بن
الأجدع يولد قبل زمان ولادته بعشر أو بعشرات من السنوات.
وإذا احتاجوا أم رومان لإظهار فضيلة لها من حيث إنها زوجة لأبي
بكر، فإنها قد تموت قبل زمان موتها الحقيقي بعشرات السنين، لكي ينزل
النبي «صلى الله عليه وآله» في قبرها، وينشئ لها المدائح والتقاريظ البديعة..
ونبقى نحن في أتون الحيرة والشك، فلا ندري من وما نصدق!! هل
نصدق بموتها؟ أم بحياتها؟!.. أم نكذب هذا وذاك؟!

ونقول:

إنه ليس لها أي دور مميز يفرض على الناس أن يهتموا بتدوينه، وإنما يراد
استخدام خصوصية كونها أمّاً لعائشة وزوجاً لأبي بكر لتسويق ما يريدون
تسويقه من اختراعات وابتداعات، تهدف إلى تبييض وجه هذا أو ذاك.
ولعل هذا الاحتمال الأخير هو الأولى بالقبول، والأقرب إلى الاعتبار،
والمنسجم كل الانسجام مع ما عرفناه وألفناه من هؤلاء وعنهم..

إسلام أبي هريرة:

ويقولون: إن أبا هريرة قد أسلم في سنة سبع، وقدم على النبي «صلى
الله عليه وآله» في وقعة خيبر، وسيأتي الحديث عن ذلك حين الحديث عن
خيبر إن شاء الله تعالى..

إسلام عمران بن حصين:

وذكروا: أن عمران بن حصين قد أسلم في سنة سبع أيضاً^(١).
وروي: أنه كان من المنحرفين عن علي «عليه السلام» أيضاً^(٢)، وأن علياً «عليه السلام» سيّره إلى المدائن، وذلك أنه كان يقول: إن مات علي، فلا أدري ما موته، وإن قتل، فعسى أني إن قتل رجوت له^(٣).
والظاهر: أنه قد رجع إلى أمير المؤمنين، وصار من شيعته، فإن الفضل بن شاذان قد عده في السابقين الذين رجعوا إلى علي «عليه السلام»^(٤).
أو أنه كان متردداً، فتارة يكون معه، وتارة يكون عليه، كما يدل عليه روايته لحديث تسليم أبي بكر وعمر على علي «عليه السلام» بإمرة المؤمنين^(٥).
وحديث سعيه لإقناع عائشة بالرجوع عن حرب علي «عليه السلام»^(٦).
وأما حديثه في تحليل المتعة^(٧) فلا يدل على موالاته لعلي «عليه السلام»، ولا على معاداته لمناويته.

-
- (١) نزهة الناظر وتنبيه الخاطر ص ٢١ وأضواء على السنة المحمدية ص ١١٦ وسير أعلام النبلاء ج ٢ ص ٥٠٨.
(٢) راجع: شرح النهج للمعتزلي ج ٤ ص ٧٧.
(٣) راجع: شرح النهج للمعتزلي ج ٤ ص ٧٧.
(٤) إختيار معرفة الرجال ص ٣٨.
(٥) إختيار معرفة الرجال ص ٩٤ والألمالي ص ١٩ واليقين ص ٢٨٥ و ٣١٦ ومدينة المعاجز ج ١ ص ٦٢ والبحار ج ٣٧ ص ٣١١ و ٣٢٣ و ٣٣٥ ومواقف الشيعة ج ٣ ص ١٠٠.
(٦) البحار ج ٣٢ ص ١٤٠ والكافّة ص ٢١ ومواقف الشيعة ج ٢ ص ٣٥.
(٧) راجع: مصادر حديثه هذا في كتابنا: زواج المتعة.

الفصل الثاني:

سرايا وقضايا بين الحديبية وخيبر

سرية أبان بن سعيد إلى نجد:

وقالوا: إن النبي «صلى الله عليه وآله» أرسل في سنة سبع أبان بن سعيد بن العاص في سرية من المدينة نحو نجد، فقدم أبان في أصحابه على النبي «صلى الله عليه وآله»، وهو في خيبر، بعدما افتتحها، وإن حُزْم (جمع حزام) خيلهم الليف، ولم يقسم لهم النبي «صلى الله عليه وآله» من غنائم خيبر.. وكان أبان قد أسلم بين الحديبية وخيبر. وهو الذي أجاز عثمان بن عفان حينما بعثه النبي «صلى الله عليه وآله» ليعلم أهل مكة بما جاء له^(١). وقد ادّعى أبو هريرة: أنه كان حاضراً، حين قدوم هؤلاء أيضاً، فقال: «قلت: يا رسول الله، لا تقسم لهم». قال أبان: «وأنت بهذا يا وبر تحذر من رأس ضأن؟!».

(١) تاريخ الخميس ج ٢ ص ٤١ وقال: كذا في حياة الحيوان. وراجع: سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٢٨ عن أبي داود في سننه، وعن أبي نعيم في مستخرجهم، وعن تمام الرازي في فوائده، والبداية والنهاية ج ٤ ص ٢٠٧ وعن فتح الباري ج ٧ ص ٣٧٧ وتاريخ مدينة دمشق ج ٦ ص ١٣٣ وعن صحيح البخاري ج ٥ ص ٨٢ وشرح معاني الآثار ج ٣ ص ٢٤٤ والمعجم الأوسط ج ٣ ص ٣٠٧ ونصب الراية ج ٤ ص ٢٦٦ وأحكام القرآن ج ٣ ص ٧٤.

فقال النبي «صلى الله عليه وآله»: يا أبان اجلس.

فلم يقسم لهم^(١).

ملاحظة: قيل في معناه: أن الوبر حيوان صغير، كالسنور، وهي دابة وحشية، تسمى غنم بني إسرائيل.
أراد أبان بقوله هذا: أن يظهر احتقاره لأبي هريرة، وأنه ليس بالموضع الذي وضع نفسه فيه.

ثم شبهه بتلك الدابة الوحشية، ثم قال: إنه مجرد راع تحذر إليهم من رأس جبل اسمه «ضأن»، يقع في أرض دوس.
هذا.. ولكن هناك رواية أخرى تذكر: أن أبا هريرة هو الذي طلب من النبي «صلى الله عليه وآله» أن يسهم له في خيبر.
فقال بعض ولد سعيد بن العاص: لا تسهم له يا رسول الله.
فقلت: هذا قاتل ابن قوقل.

فقال أبان بن سعيد بن العاص: وا عجباً لوبر تدلى علينا. وفي رواية أنه قال: «واعجباً لك، وبر تدأداً (أي هجم علينا بغتة) من قدوم (أي من طرف) ضأن. ينعى عليّ قتل رجل أكرمه الله على يديّ، ومنعه أن يهينني بيده الخ..»^(٢).

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٢٨ والبداية والنهاية ج ٤ ص ٢٠٧.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٢٨ وفي هامشه عن البخاري (كتاب المغازي) ج ٧ ص ٥٢٩ وسير أعلام النبلاء ج ٢ ص ٣٩٣ وعن فتح الباري ج ٧ ص ٣٧٧ وعن البداية والنهاية ج ٤ ص ٢٣٦ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٣٩٣ وشيخ المضيرة ص ٤٥.

ونقول:

إن لنا على ما تقدم ملاحظات، هي التالية:

١ - إذا كان أبو هريرة حديث الإسلام، فلماذا يبادر إلى هذا التدخل القوي فيما لا يعنيه، ضد رجل قد أسلم حديثاً، وبادر إلى الجهاد في سبيل الله، وعاد هو وأصحابه سالمين؟! فهل كانت هناك ترات وإحن قديمة بينه وبين أبان؟! أم أنه أراد أن يعلم رسول الله «صلى الله عليه وآله» أحكام الشريعة؟! أم أن ذلك مجرد حشوية وفضول منه؟!..

٢ - إذا كان أبان بن سعيد لم يشارك في غزوة خيبر، فاستحق الحرمان من مغانمها، فإن أبا هريرة أيضاً لم يشارك في تلك الغزوة، فلماذا يريد أن يأخذ لنفسه، ثم يريد حرمان غيره من ذلك؟! بل إن غيره كان أولى منه؛ لأنه عائد من جهاد آخر، واجه فيه الأخطار، وأبو هريرة ومن معه كانوا في راحة وأمن وسلام..

٣ - إن أبان قد أعلن أمام النبي «صلى الله عليه وآله» وسائر من حضر: أن أبا هريرة ليس أهلاً لأن يشير بشيء، لضعفه وقلة غنائه، فهو مجرد دابة شاردة، وهو لا يحسن إلا رعي الغنم في رأس جبل ضال، أو ضأن. ويفهم من أبي الحسن الفاسي:

أن ما قصده أبان بكلامه هو: أن أبا هريرة ملصق في قريش (أو في هذه الجماعة المقاتلة المؤمنة)، كلبصوق ما يعلق بوبر الشاة من شوك وغيره مما يتدلى عليها^(١).

(١) راجع: شيخ المضيرة ص ٤٦ وعن فتح الباري ج ٧ ص ٣٧٧.

٤ - إن مطالبة الدوسيين بالمشاركة في الغنيمة مع عدم مشاركتهم في الحرب، فيه دناءة ظاهرة.

٥ - رغم أن أبان قد أعلن بما يفيد تحقير وازدراء أبي هريرة، فإن رسول الله «صلى الله عليه وآله» لم يدافع عن أبي هريرة، ولا اعترض على أسلوب أبان في إهانته له، ولا طيَّب خاطر أبي هريرة ولو بكلمة واحدة، مع أنه جاءه لتوه، ومع أنه بحكم الضيف بالنسبة إليه..

بل هو قد اكتفى بالقول لأبان: يا أبان، اجلس.

مع أن النبي «صلى الله عليه وآله» لا يمكن أن يسكت عن نصره المظلوم، فكيف إذا كان هذا المظلوم قد تعرض للظلم في حضرته «صلى الله عليه وآله»؟

وقد ورد في دعاء الإمام السجاد «عليه السلام»: «وأعوذ بك من مظلوم ظلم في حضرتي فلم أنصره»^(١).

٦ - إن إشراكهم في الغنائم لم يكن عن استحقاق منهم لها.

بل هو مجرد عمل أخلاقي، بدليل: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد كلم أصحابه في أن يشركوهم في الغنيمة، ففعلوا.

حكم الظهار:

وقالوا: إن حكم الظهار نزل في سنة ست قبل خيبر، وقيل: بعد

(١) راجع: الصحيفة السجادية الكاملة ص ١٨٩ وشرح الصحيفة السجادية للأبطحي ص ١٨٧ وميزان الحكمة ج ٢ ص ١٧٨٠ وج ٣ ص ١٨٥٩.

خير^(١).

وذلك: أن أوس بن الصامت غضب على زوجته خولة بنت ثعلبة ذات يوم، وقال لها: «أنت علي كظهر أمي».

وكان ذلك أول ظهار في الإسلام، وكان الظهار طلاقاً في الجاهلية.. ثم ندم على ما قال، فأتت خولة إلى النبي «صلى الله عليه وآله» وعائشة تغسل رأسه، فقالت: يا رسول الله، إن زوجي أوس بن الصامت تزوجني، وأنا ذات مال وأهل، فلما أكل مالي، وذهب شبابي، ونفقت بطني، وتفرق أهلي ظاهر مني.

فقال «صلى الله عليه وآله»: حرمت عليه.

فبكت، وصاحت، وقالت: أشكو إلى الله فقري، وفاقتي، ووجدتي، وصبية صغاراً، إن ضممتهم إليه ضاعوا، وإن ضممتهم إلي جاعوا. فقال «صلى الله عليه وآله»: ما أراك إلا حرمت عليه.

فجعلت ترفع صوتها باكية، وتقول: اللهم إني أشكو إليك. فبينما هي على تلك الحالة إذ تغير وجه رسول الله «صلى الله عليه وآله» للوحي، فنزل جبرئيل «عليه السلام» بقوله تعالى:

﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ الآيات.

فدعا رسول الله «صلى الله عليه وآله» أوس بن الصامت، فتلا عليه الآيات المذكورة، وقال له: أعتق رقبة.

فقال: مالي قدرة.

قال: فصم شهرين متتابعين.

قال: إني إذا لم آكل في اليوم مرتين كلَّ بصري.

قال: فأطعم ستين مسكيناً.

قال: لا أجد، إلا أن تعينني منك بعون وصلة.

فأعانه رسول الله «صلى الله عليه وآله» بخمسة عشر صاعاً، وكانوا يرون:

أن عند أوس مثلها، وذلك لستين مسكيناً، لكل مسكين نصف صاع^(١).

وبعض النصوص تقول عن أوس: إنه «كان به لم، فإذا اشتد لمه

ظاهر من امرأته»^(٢).

(١) تاريخ الخميس ج ٢ ص ٢٥ و ٢٦ وراجع: نور الثقلين ج ٥ ص ٢٥٤ والدر المنثور ج ٦ ص ١٧٩ و ١٨٠ و ١٨١ و ١٨٢ و ١٨٣ عن ابن المنذر، وأبي داود، وأحمد، والطبراني، وابن مردويه، والبيهقي، والحاكم، وابن ماجه، وابن أبي حاتم، وسعيد، بن منصور، والنحاس. وراجع: السيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٩ والبحار ج ٢٢ ص ٥٨ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٧ ص ٣٩٢ وعن تفسير مجمع البيان ج ٩ ص ٤٠٩ وجامع البيان ج ٢٨ ص ٤ و ٥ وأحكام القرآن ج ٣ ص ٥٧٠ وأسباب نزول الآيات ص ٢٧٤ والجامع لأحكام القرآن ج ١٧ ص ٢٧١ وأسد الغابة ج ١ ص ١٤٦.

(٢) الدر المنثور ج ٦ ص ١٨٠ عن سعيد بن منصور، وابن مردويه، والبيهقي، وعبد بن حميد، وابن المنذر، والحاكم، وصححه، والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٩ والآحاد والمثاني ج ٥ ص ٣٣٢ وتفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٣٤١ والطبقات الكبرى ج ٣ ص ٥٤٧ وج ٨ ص ٣٧٩ وأسد الغابة ج ٥ ص ٤١٧.

ونقول:

إننا نعتقد: أن الرواية الأصح هي التالية:
روى القمي، عن أبي جعفر «عليه السلام»: أنها حين أخبرت النبي
«صلى الله عليه وآله» بالأمر، قالت: فانظر في أمري.
فقال لها رسول الله «صلى الله عليه وآله»: ما أنزل الله تبارك وتعالى كتاباً
أقضي فيه بينك وبين زوجك، وأنا أكره أن أكون من المتكلفين.
فجعلت تبكي وتشتكي ما بها إلى الله عز وجل، وإلى رسول الله «صلى
الله عليه وآله».. إلى أن أنزل الله عز وجل قرآناً..
إلى أن قالت الرواية: فبعث رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى المرأة
فأنته، فقال لها: جيئي بزواجك.
فأنت به، فقال له: أقلت لامرأتك هذه: «أنت حرام كظهر أمي»؟.
فقال: قد قلت لها ذلك.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: قد أنزل الله تبارك وتعالى فيك
وفي امرأتك قرآناً، وقرأ: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا
وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ، الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ
مِنْكُمْ مِّنْ نِّسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ
لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ﴾^(١).
فَضَمَّ إِلَيْكَ امْرَأَتَكَ، فإنك قد قلت منكراً من القول وزوراً، وقد عفا
الله عنك وغفر لك، ولا تعد.

(١) الآيتان ١ و ٢ من سورة المجادلة.

فانصرف الرجل، وهو نادم على ما قال لامرأته، وكره الله عز وجل ذلك للمؤمنين بعد.

وأنزل الله: ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ..﴾ الآية^(١).

ونقول:

إننا إذا لاحظنا هذه الرواية، والرواية المتقدمة، فسنجد ما يلي:

١ - إن هذه الرواية تقول: إن ذلك الرجل لم يكفر بإطعام ستين مسكيناً. بل عفا الله عنه.. ثم وضع ذلك على من جاء بعده، وفعل ذلك، ما دام أنه لم يتعظ بما جرى لذلك الرجل. ولعل عفو الله عز وجل عن أوس بن الصامت إنما كان لأجل شدة حاجته، وعدم قدرته على التكفير.

والظاهر: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» أمره بإطعام ستين مسكيناً، فأخبره بأنها ليست عنده، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: أنا أتصدق عنك، فأعطاه تمرّاً لإطعام ستين مسكيناً، فقال: اذهب، فتصدق بها. فقال: والذي بعثك بالحق، لا أعلم بين لابتيها (وهي جانباً المدينة) أحداً أحوج إليه مني ومن عيالي.

(١) راجع: نور الثقلين ج ٥ ص ٢٥٤ و ٢٥٥ والبرهان (تفسير) ج ٤ ص ٣٠١ و ٣٠٢ وتفسير القمي ج ٢ ص ٣٥٣ والتفسير الصافي ج ٥ ص ١٤٣ والوسائل (ط دار الإسلامية) ج ١٥ ص ٥٠٦ والبحار ج ٢٢ ص ٧٢ وعن ج ١٠١ ص ١٦٦ والكافي ج ٦ ص ١٥٢ وقريب منه في الدر المنثور ج ٦ ص ١٨٠ عن ابن مردويه عن ابن عباس.

قال: فاذهب، وكل، وأطعم عيالك^(١).

٢ - إن هذه الرواية تقول: إن الآيات قد نزلت في غياب المرأة، لا في حضورها، كما زعمته الرواية الأولى.

٣ - إنها تقول، وكذلك رواية ابن عباس^(٢): إن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يعط المرأة جواباً، والرواية الأولى تقول: إنه أجابها مباشرة بأنها قد حرمت على زوجها.

٤ - إن الرواية الأولى قد ذكرت: أنه «صلى الله عليه وآله» قال لها: ما أراك إلا حرمت عليه.

وفي بعض نصوصها: ما أمرنا بشيء من أمرك، ما أراك إلا قد حرمت عليه^(٣). فهل كان النبي «صلى الله عليه وآله» يفتي برأيه؟! ثم يظهر خطؤه!! أم أنه يخبر عن حكم الله الثابت الذي أطلعه الله سبحانه وتعالى

(١) نور الثقلين ج ٥ ص ٢٥٧ عن الكافي ج ٦ ص ١٥٥ وتهذيب الأحكام ج ٨ ص ١٥ و ٣٢١ ومستدرك الوسائل ج ١٥ ص ٤٠٩ و ٤١١ والنوادر ص ٦٦ ودعائم الإسلام ج ٢ ص ٢٧٤ ومن لا يحضره الفقيه ج ٣ ص ٥٣٢ والإستبصار ج ٤ ص ٥٧ والوسائل ج ١٥ ص ٥٥١ وعلل الدارقطني ج ١٠ ص ٢٣٩.

(٢) راجع: الدر المنثور ج ٦ ص ١٨٠ و ١٨١ و ١٨٢ عن النحاس، وابن مردويه، والبيهقي، وعبد بن حميد، والطبراني.

(٣) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٩ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٧ ص ٣٨٥ وتفسير القرآن للصنعاني ج ٣ ص ٢٧٧ وجامع البيان ج ٢٨ ص ٧ وأحكام القرآن للجصاص ج ٣ ص ٥٥٨ وعن تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٣٤٣ والدر المنثور ج ٦ ص ١٨٠ و ١٨٣ والطبقات الكبرى ج ٨ ص ٣٧٩ وتاريخ المدينة ج ٢ ص ٣٩٣.

عليه، ثم نسخه الله؟!

فإن كان يفتي برأيه، ويخطئ فيه، فإنه لا يكون مأموناً على شرع الله سبحانه، كما أن ذلك لا ينسجم مع حقيقة كونه لا ينطق عن الهوى.. وإن كان قد أخبر عن حكم الله تعالى، ثم نسخ الله حكمه، فلماذا نسب ذلك إلى رأي نفسه، ويقول: ما أراك إلا حرمت عليه؟!

٥ - وأما الروايات التي صرحت: بأن أوساً كان به لمم، فكان إذا اشتد به لممه ظاهر من امرأته فهي أيضاً مردودة، بأن الظهار في حال اللمم ليس له أثر، ولا يوجب التحريم، لأن اللمم نوع من الجنون^(١) يوجب سقوط عبارة المظاهر عن التأثير.

ولأجل ذلك نقول:

إنه إذا صح أنه قد كان في أوس لمم، فإنه إنما ظاهر في بعض صحواته، كما صرحت به بعض الروايات فراجع^(٢).

٦ - إنهم يزعمون: أن أوس بن الصامت كان أعمى، مع أنهم يقولون: إنه قال لرسول الله «صلى الله عليه وآله»: «إذا لم آكل في اليوم مرتين (أو ثلاثاً) كلٌ بصري»^(٣) وهو يدل على أنه لم يكن أعمى..

(١) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٩.

(٢) الدر المنثور ج ٦ ص ١٨١ عن ابن سعد، والطبقات الكبرى ج ٣ ص ٥٤٧ وج ٨ ص ٣٧٩.

(٣) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٩ والبحار ج ٢٢ ص ٥٨ وعن تفسير مجمع البيان ج ٩ ص ٤٠٩ وأسباب نزول الآيات ص ٢٧٤ وسنن الدارقطني ج ٣ ص ٢١٨ ومسنند الشاميين ج ٤ ص ٨ والجامع لأحكام القرآن ج ١٧ ص ٢٧١ وعن الدر المنثور ج ٦ ص ١٨٠.

وقول العسقلاني: المراد: أن بصره يكلُّ لو كان مبصراً، لا يفيد في ترقيع الخروق التي في هذه الرواية، فإنه خلاف الظاهر جداً^(١).

تحريم الخمر:

وقالوا: إن الخمر قد حرمت في السنة السادسة من الهجرة، سنة الحديبية، وبه جزم الدمياطي^(٢).
وهناك أقوال أخرى، تحدثنا عنها في الجزء السادس من هذا الكتاب في فصل: فاطمة وعلي ومناوئوهما.. فراجع ما ذكرناه في ذلك الفصل.
وهناك بعض الكلام عن تحريم الخمر وما يرتبط بذلك من أمور، حاول الحاقدون والمناوئون لأهل البيت «عليهم السلام» أن يكيدوهم بها وانصب اهتمامهم على الكيد لعلي وحمزة صلوات الله وسلامه عليهما.. ونحن نحيل القارئ الكريم إلى ما ذكرناه في ذلك الموضع أيضاً.

أسطورة سحر النبي :

وزعموا: أنه في شهر محرم من السنة السابعة، وقيل سنة ست: سحر رسول الله «صلى الله عليه وآله»^(٣).

(١) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٩.

(٢) راجع: تاريخ الخميس ج ٢ ص ٢٦ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٩ وعن فتح الباري (المقدمة) ص ٦٥ وج ١٠ ص ٢٥ وعمدة القاري ج ١٠ ص ٨٢.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج ٣ ص ٤١٠ وج ١٢ ص ٦٨ وج ١٠ ص ٥٧ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٤٠ والطبقات الكبرى ج ٢ ص ١٩٦ وعن فتح الباري ج ١٠ ص ١٩٢.

.....

فمن عائشة، قالت: سحر رسول الله «صلى الله عليه وآله» حتى إنه
يخيل إليه: أنه يفعل الشيء وما فعله، حتى إذا كان ذات يوم عندي دعا الله،
ودعاه، ثم قال: أشعرت يا عائشة: أن الله قد أفتاني فيما استفتيته فيه؟!
قلت: وما ذاك يا رسول الله؟!
قال: جاءني رجلان، فجلس أحدهما عند رأسي، والآخر عند رجلي،
ثم قال أحدهما لصاحبه: ما وجع الرجل؟
قال: مطبوب.
قال: وما طبه؟
قال: لبيد بن الأعصم اليهودي، من بني زريق.
قال: في ماذا؟
قال: في مشط، ومشاطة، وجف طلعة ذكر.
قال: فأين هو؟
قال: في بئر ذي أروان.
قال: فذهب النبي «صلى الله عليه وآله» في أناس من أصحابه إلى البئر،
فنظر إليها، وعليها نخل، ثم رجع إلى عائشة، فقال: والله، لكأن ماءها
نقاعة الحناء، ولكأن نخلها رؤوس الشياطين.
قلت: يا رسول الله، فأخرجته؟!
قال: لا، أما أنا فقد عافاني الله وشافاني، وخشيت أن أثور على الناس
فيه شراً.

وأمر بها فدفنت^(١).

أي: أنه أمر بالبئر فدفنت.

وفي نص آخر، عن ابن عباس: أن الملكين أمرا بنزح الماء ورفع الصخرة، واستخراج الركية التي فيها السحر، وأن يحرقوها، فبعث عمار في نفر، فاستخرجوا الركية، وأحرقوها، فإذا فيها وتر فيه إحدى عشرة عقدة، وأنزلت عليه المعوذتان، فجعل كلما قرأ آية انحلت عقدة^(٢).

(١) صحيح البخاري ج ٧ ص ٣٠ كتاب: بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، وكتاب: الطب، باب: هل يستخرج السحر وباب: السحر، وصحيح مسلم ج ٧ باب السحر، وسبل الهدى والرشاد ج ١٠ ص ٥٦ وج ٣ ص ٤١١، وراجع: تاريخ الخميس ج ٢ ص ٤١ والمصنف لابن أبي شيبة ج ٥ ص ٤٣٥ وتفسير ابن كثير (ط دار الجليل) ج ٥ ص ٥٧٩ وأضواء على الصحيحين ص ٢٧٣ وعن مسند أحمد ج ٦ ص ٦٣ و ٩٦ وج ٣ ص ٤١١ ومسند أبي يعلى ج ٨ ص ٢٩١ والطبقات الكبرى ج ٢ ص ١٩٦.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٣ ص ٤١١ وج ١٠ ص ٥٦ و ٥٧ عن البيهقي، وراجع: تاريخ الخميس ج ٢ ص ٤١ والدر المنثور ج ٦ ص ٤١٧ عن ابن مردويه، وعن البيهقي في دلائل النبوة، ومكارم الأخلاق ص ٤١٤ والبحار ج ١٨ ص ٧٠ و ٧١ وعن ج ٦٠ ص ١٣ و ١٥ و ٢٤ وعن ج ٨٩ ص ٣٦٥ وعن ج ٩٢ ص ١٢٦ و ١٣٠ وعن فتح الباري ج ١٠ ص ١٩١ و ١٩٦ وعن تفسير مجمع البيان ج ١٠ ص ٤٩٢ والتفسير الصافي ج ٥ ص ٣٩٦ والتفسير الأصفي ج ٢ ص ١٤٩٣ وتفسير نور الثقلين ج ٥ ص ٧١٨ و ٧١٩، وأسباب نزول الآيات ص ٣١٠ وزاد المسير ج ٨ ص ٣٣٣ والجامع لأحكام القرآن ج ٢٠ ص ٢٥٣ وج ٥ ص ٧١٨ وعن تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٦١٥ وتفسير الجلالين ص ٨٢٦ و ٨٣٠ =

وعن عائشة: سحر رسول الله «صلى الله عليه وآله» حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتينهن.

قال سفيان: وهذا أشد ما يكون من السحر إذا كان^(١).

وعن أنس، قال: سحر النبي «صلى الله عليه وآله»، فأثاه جبريل «عليه السلام» بخاتم، فلبسه في يمينه، وقال: لا تخف شيئاً ما دام في يمينك^(٢).
وعن زيد بن أرقم: سحر النبي «صلى الله عليه وآله» رجل من اليهود، فاشتكى لذلك أياماً، فأثاه جبريل «عليه السلام»، فقال: إن رجلاً من اليهود سحر، وجعل لذلك عُقْدًا.

فأرسل «صلى الله عليه وآله» علياً «عليه السلام» فاستخرجها، وجاء بها، فجعل كلما حل عقدة وجد لذلك خفة، فقام رسول الله «صلى الله عليه وآله» كأنها نشط من عقال. فما ذكر ذلك لليهودي، ولا رآه في وجهه^(٣).

= ولباب النقول ص ٢٢٠ والطبقات الكبرى ج ٢ ص ١٩٩ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج ١ ص ٤٧١ وتأويل الآيات ج ٢ ص ٨٦٢.

(١) عن صحيح البخاري ج ٧ ص ٢٩، كتاب: الطب، باب السحر، وتفسير القرآن العظيم (ط دار الجليل) ج ٤ ص ٥٧٩ وأضواء على الصحيحين ص ٢٧٣ وعن فتح الباري ج ١٠ ص ١٩٩ والشفاء بتعريف حقوق المصطفى ج ٢ ص ١٨١ وسبل الهدى والرشاد ج ١٢ ص ٦.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٧ ص ٣٢٣ عن ابن عدي، ولسان الميزان ج ٢ ص ٣٨٧ والكامل ج ٣ ص ٩ وميزان الاعتدال ج ١ ص ٦٤٢.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج ٧ ص ٢١ عن أحمد، وعبد بن حميد، والبخاري، والنسائي، وأبي الشيخ، والبيهقي، والمصنف لابن أبي شيبة ج ٥ ص ٤٣٥ ومجمع الزوائد =

وعن زيد بن أرقم في نص آخر: أن رجلاً من الأنصار سحر النبي «صلى الله عليه وآله»، وأن ملكين أتيا النبي «صلى الله عليه وآله» وأخبراه: أن فلاناً عقد له عقداً، وأنها في بئر فلان، وأن الماء قد اصفرَّ من شدة عقده^(١).

وعن عبد الرحمن بن كعب بن مالك، قال: إنما سحره بنات أعصم، أخوات لبيد، وكان لبيد هو الذي ذهب به، فأدخله تحت راعوفة البئر. ودس بنات أعصم إحداهن، فدخلت على عائشة، فسمعت عائشة تذكر ما انكر رسول الله «صلى الله عليه وآله» من بصره، ثم خرجت إلى أخواتها بذلك. فقالت إحداهن: إن يكن نبياً فسيخبر، وإن كان غير ذلك فسوف يدلّهُ هذا السحر، فيذهب عقله، فدلّه الله عليه^(٢).

= ج ٦ ص ٢٨١ عن الطبراني، والنسائي، وتفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٥٧٩ (ط دار الجليل) عن أحمد، والنسائي، والمعجم الكبير ج ٥ ص ١٧٩ و ١٨٠ والمعرفة والتاريخ ج ٣ ص ٢٨٩ و ٢٩٠ وشمال الرسول لابن كثير ص ٦٥ و ٦٦ وسنن النسائي ج ٧ ص ١٣ وفتح القدير ج ٥١ ص ٥١٩ عن عبد بن حميد، والبحار ج ٣٨ ص ٣٠٣ ومناقب آل أبي طالب ج ١ ص ٣٩٥ والدر المنثور ج ٦ ص ٤١٧ والفايق في غريب الحديث ج ٢ ص ٢٩٥ والتبيان في آداب جملة القرآن للنووي ص ١٨٣.

- (١) سبل الهدى والرشاد ج ٧ ص ٩ وج ١٠ ص ٥٦ عن ابن سعد، والحاكم وصححه، والبيهقي، وأبي نعيم، وعن البداية والنهاية ج ٦ ص ٤٤ وراجع: المستدرك للحاكم ج ٤ ص ٣٦٠ وعن المعجم الكبير ج ٥ ص ١٧٩ ومجمع الزوائد ج ٦ ص ٢٨١.
- (٢) سبل الهدى والرشاد ج ٣ ص ٤١٠ وج ١٠ ص ٥٧ عن ابن سعد، وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٤١ عن كنز العباد، والطبقات الكبرى ج ٢ ص ١٩٨.

وقد مرض «صلى الله عليه وآله» من سحرهن له، حتى إنه لم يقدر على قربان أهله ستة أشهر، وذكر السنة، والأربعين يوماً، في الوفاء^(١).
وعن أنس: صنعت اليهود لرسول الله «صلى الله عليه وآله» شيئاً، فأصابه من ذلك وجع شديد، فأتاه جبريل بالمعوذتين يعوده بهما، فخرج إلى أصحابه صحيحاً^(٢).

وذكرت بعض الروايات: أن اليهود جعلت لابن الأعصم ثلاثة دنائير^(٣).
وذكروا: أنه «صلى الله عليه وآله» أقام في السحر أربعين يوماً^(٤).
وقيل: ستة أشهر، يرى أنه يأتي ولا يأتي^(٥).
وقال الدياربكري: ويمكن الجمع، بأن يكون ستة أشهر من ابتداء تغير

-
- (١) تاريخ الخميس ج ٢ ص ٤١ عن كنز العباد، وعن الوفاء، والبخاري، وعن عون المعبود ج ٤ ص ٢٣٧ وعن البداية والنهاية ج ٣ ص ٢٩٠ وسبل الهدى والرشاد ج ٣ ص ٤١٣ وعن مسند أحمد ج ٦ ص ٦٣ وعن تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٦١٤ وسير أعلام النبلاء ج ٢١ ص ١٠١.
- (٢) سبل الهدى والرشاد ج ١٠ ص ٥٧ عن أبي نعيم، وتفسير الجلالين ص ٨٣٠ ولباب النقول ص ٢٢٠.
- (٣) تاريخ الخميس ج ٢ ص ٤١ وعن فتح الباري ج ١٠ ص ١٩٢ والطبقات ج ٢ ص ١٩٧ وسبل الهدى والرشاد ج ٣ ص ٤١٠.
- (٤) تاريخ الخميس ج ٢ ص ٤١ عن الإسماعيلي.
- (٥) تاريخ الخميس ج ٢ ص ٤١ وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (ط دار الجيل) ج ٤ ص ٥٧٩ وعن مسند أحمد ج ٦ ص ٦٣ وعن صحيح البخاري ج ٧ ص ٨٨ وسير أعلام النبلاء ج ٢١ ص ١٠١.

مزاجه، والأربعين يوماً من استحكامه^(١).

وعن الزهري: أنه لبث سنة.

قال العسقلاني: قد وجدناه موصولاً بالإسناد الصحيح، فهو المعتمد^(٢).

وعن عائشة: سحر، حتى إنه كان ليخيل إليه: أنه يفعل الشيء وما

فعله^(٣).

وعن ابن عباس، وعائشة: كان غلام من اليهود يخدم رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فدبت إليه اليهود، فلم يزالوا به حتى أخذ من مشاطة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وعدة أسنان من مشطه، فأعطاهم اليهود فسحروه فيها، فمرض «صلى الله عليه وآله»، وانتثر شعر رأسه، ولبث ستة أشهر يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيها^(٤).

(١) تاريخ الخميس ج ٢ ص ٤١.

(٢) تاريخ الخميس ج ٢ ص ٤١ عن السهيلي، عن جامع معمر.

(٣) تاريخ الخميس ج ٢ ص ٤١ عن البخاري وج ٧ ص ٢٨ و ٣٠ وأضواء على الصحيحين ص ٢٧٢ وعن فتح الباري ج ١٠ ص ١٩٢ وعن مسند أحمد ج ٦ ص ٦٣ وصحيح مسلم ج ٧ ص ١٤ وشرح مسلم للنووي ج ١٤ ص ١٧٤ وجامع البيان ج ١ ص ٦٤٤ وزاد المسير ج ٨ ص ٣٣٢ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج ١ ص ٤٧٣.

(٤) تاريخ الخميس ج ٢ ص ٤١ عن معالم التنزيل، وتفسير القرآن العظيم (ط دار الجيل) ج ٤ ص ٥٧٩ عن الثعلبي، وأسباب النزول (ط سنة ١٤١٠ هـ) ص ٤٠٥ وعن فتح الباري ج ١٠ ص ١٩٣ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج ١ ص ٤٧٢.

وذكر العسقلاني: أن رجلاً نزل في البئر، واستخرجه، وأنه وجد في
الطلعة مثلاً من الشمع لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، فإذا فيه إبر
مغروزة، وإذا وتر فيه إحدى عشرة عقدة، (وفي نص آخر: ووجد رسول
الله «صلى الله عليه وآله» خفة فقام كأنها أنشط من عقال^(١)) فنزل جبرئيل
بالمعوذتين، فكلما قرأ آية انحلت عقدة، وكلما نزع عقدة وجد لها الماء، ثم يجد
بعدها راحة^(٢).

وقيل: قتل النبي «صلى الله عليه وآله» مَنْ سَحَرَهُ، وقيل: عفا عنه.

قال الواقدي: عفو عنه أثبت عندنا. وروي قتله^(٣).

وفي بعض الروايات: أن سَحَرَ يهود بني زريق حبس النبي «صلى الله
عليه وآله» عن خصوص عائشة سنة^(٤).

(١) تفسير الجلالين ص ٨٢٦ ومكارم الأخلاق ص ٤١٤ والبحار ج ١٨ ص ٧١ وعن
ج ٦٠ ص ١٣ و ١٥ وعن ج ٩٢ ص ١٣٠ وعن فتح الباري ج ١٠ ص ١٩١ وعن
تفسير مجمع البيان ج ١٠ ص ٤٩٢ وتفسير نور الثقلين ج ٥ ص ٧١٩ وأسباب
نزول الآيات ص ٣١٠ وزاد المسير ج ٨ ص ٣٣٣ والجامع لأحكام القرآن ج ٢٠
ص ٢٥٣ وتفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٦١٥.

(٢) تاريخ الخميس ج ٢ ص ٤١ عن المواهب اللدنية عن فتح الباري، والدر المنثور
ج ٦ ص ٤١٧ وعن فتح الباري ج ١٠ ص ١٩٦ وسبل الهدى والرشاد ج ٣
ص ٤١١.

(٣) تاريخ الخميس ج ٢ ص ٤١ والطبقات الكبرى ج ٢ ص ١٩٩.

(٤) راجع: المصنف للصنعاني (ط دار إحياء التراث العربي) ج ١١ ص ٩ وعن الشفا
بتعريف حقوق المصطفى ج ٢ ص ١٨٢ وسبل الهدى والرشاد ج ١٢ ص ٥.

وروي أن الغلام الذي سحر النبي «صلى الله عليه وآله» والذي كان يخدمه هو نفس ليبد بن الأعصم^(١).
وهناك تفاصيل أخرى، وردت في بعض الروايات^(٢). وفيما ذكرناه كفاية.

ونقول:

إننا لا نشك في كذب هذه الروايات، ونعتقد: أنها من مجعولات أعداء هذا الدين، أو من قبل أناس أعمى الجهل بصائرهم، وتاهت في ظلمات الضلالات عقولهم.

ونحن نلخص ما نريد الإلماح إليه هنا بالمطالب التالية:

تناقض الروايات:

ولسنا بحاجة إلى التذكير بالتناقضات الكثيرة بين مضامين تلك

-
- (١) الدر المنثور ج ٦ ص ٤١٧ عن ابن مردويه، والبيهقي في دلائل النبوة.
(٢) راجع: البرهان (تفسير) للبحراني ج ٤ ص ٥٢٩ و ٥٣٠ والمصنف للصنعاني ج ٦ ص ٦٥ ومنتخب مسند عبد بن حميد ص ١١٥ ومسند أبي يعلى ج ٨ ص ٢٩٠ والإحسان في ترتيب صحيح ابن حبان ج ١٤ ص ٥٤٥ والطبقات الكبرى ج ٢ ص ١٩٦ والعلل لأحمد بن حنبل ج ١ ص ٦٨ وميزان الاعتدال ج ١ ص ٦٤٢ والكامل ج ٣ ص ٩ ومعجم البلدان ج ٣ ص ٥ والبداية والنهاية ج ٦ ص ٤٤ وج ١٠ ص ٢١ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج ١ ص ٤٧٢ ومستدرك الوسائل ج ١٢ ص ٦٥ ومناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ٦٥ وكتاب الأربعين للشيرازي ص ٣٠١ ومسند أحمد ج ٤ ص ٣٦٧ وسنن ابن ماجه ج ٢ ص ١١٧٣ وعن فتح الباري ج ٦ ص ٢٣٩ وج ١٠ ص ١٩٢ وج ١١ ص ١٦٣ وغير ذلك كثير.

الروايات، وما ذكرته من خصوصيات، ونكتفي من ذلك بأمثلة يسيرة هي:
١ - بعضها يقول: إن الملكين أمرا باستخراج السحر وإحراقه، فإنه أرسل من استخرجه، وصار كلما حل عقدة منه وجد لذلك خفة، حتى قام كأنها نشط من عقال.

ورواية تقول: إنه لم يخرج، وقد عافاه الله وشافاه بدون ذلك.
٢ - هل الذي سحره هو لبيد بن الأعصم؟ أم أن الساحر هو بنات أعصم أخوات لبيد؟
٣ - هل بقي لا يقدر على قربان أهله ستة أشهر؟ أم بقي أربعين يوماً؟ أم سنة؟ أو أنه بقي أياماً؟
٤ - هل شفي بسبب حل العقد؟ أم بسبب أن جبرئيل أتاه فعوّذه بالمعوذتين، فخرج إلى أصحابه صحيحاً؟ أم أنه شفي بسبب الخاتم الذي ألّبسه إياه جبرئيل؟

٥ - هل قتل النبي ذلك الذي سحره؟ أم أنه عفا عنه؟
٦ - هل الغلام الذي كان يخدم النبي «صلى الله عليه وآله» هو لبيد بن الأعصم نفسه؟ أم أنه رجل آخر؟
٧ - وهل السحر وضع في بئر ميمون؟ أم في بئر أروان؟

النبي ' الأسوة، والقُدوة، والمثال:

إن كلام هؤلاء معناه: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد فقد قدرة التمييز بين الأمور وفقد توازنه، ولم يعد قادراً على التركيز، بسبب ما يعانیه من اختلالات في عقله وإدراكه..

بل في بعضها: «فأقام رسول الله «صلى الله عليه وآله»، لا يسمع ولا يبصر، ولا يفهم، ولا يتكلم، ولا يأكل ولا يشرب»^(١).

وكلامهم يعني أيضاً: أنه قد أصبح من الجائز أن يتخيل «صلى الله عليه وآله» أنه يصلي، أو يحج، أو يصوم، وهو لا يصلي، ولا يحج في واقع الأمر، بل هو يفعل أمراً آخر وقد يكون هذا الأمر الذي يفعله موبقة من الموبقات، أو جريمة من الجرائم، وقد يكون منافياً للأدب وللأخلاق وللإنسانية. وقد يتخيل: أنه يبلغ أحكام الله وهو في واقع الأمر ينطق بالكفر، ويدعو الناس للضلال.

فهل يمكن أن يكون هذا حال من وصفه الله تعالى بأنه: ﴿مَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾..

وهل يمكن أن يقول الله تعالى للناس: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾.

وأن يقول: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾.

وأن يجعل قوله، وفعله، وتقريره «صلى الله عليه وآله» حجة ودليلاً على الأحكام، مع أنه رجل مسحور، قد يتكلم بالباطل، وقد يكون تصرفه لا يرضي الله تعالى؟!!

إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً:

والذي يؤكد لنا: أن ثمة يدًا تحاول الطعن في النبوة، بل وفي الدين كله،

(١) دعائم الإسلام ج ٢ ص ١٣٨ والبحار ج ٦٠ ص ٢٣.

أن هؤلاء أرادوا استصدار اعتراف من المسلمين أنفسهم، ومن أقرب الناس لرسول الإسلام «صلى الله عليه وآله» بأن نبيهم رجل مسحور لا يصح اتباعه، ولا مجال لتصديقه.

وقد اقتدوا في ذلك بأسلافهم، أعداء الأنبياء، الذين حكى الله عنهم: أن الاتهام بالوقوع تحت تأثير السحر هو أحد الوسائل التي اتبعوها لإسقاط دعوات الأنبياء السابقين، قال تعالى حكاية لقول فرعون: ﴿إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا﴾^(١).

ويقول سبحانه عن الظالمين: ﴿وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾^(٢).

وقال: ﴿إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾^(٣). وقد أخذ هؤلاء على عاتقهم خدمة هذا الكيد الشيطاني، بنسبتهم هذه الأباطيل إلى ساحة قدس رسول الله «صلى الله عليه وآله»، مع أن الله سبحانه قد نزهه عنها.

حفظ الله تعالى لأنبيائه ^ :

وحين نحكم بكذب الروايات التي تقول: إن النبي «صلى الله عليه وآله» قد سحر فعلاً، فذلك لا يعني: أننا نريد نفي أن يكون اليهود وغيرهم قد بذلوا بعض المحاولات في هذا المجال.

(١) الآية ١٠١ من سورة الإسراء.

(٢) الآية ٨ من سورة الفرقان.

(٣) الآية ٤٧ من سورة الإسراء.

بل إن ذلك: هو المتوقع منهم، والمظنون بهم، ولعل هذه المحاولات قد تكررت وتنوعت..

ولكننا نقول:

إن جميع محاولاتهم قد باءت كلها بالفشل الذريع، ومُنِّي الذين قاموا بها بالخيبة القاتلة والخسران المبين، وفضحهم الله على لسان رسوله «صلى الله عليه وآله» ليكون ذلك معجزة له، من حيث إنه إخبار لهم بما أسروا من ذميم الفعل، وخبيث النوايا..

كما أن ما فعلوه لم يكن له أي تأثير على دعوته «صلى الله عليه وآله». وخير دليل على ذلك: أنه لم يمكن لهم التعلق بشيء من ذلك طيلة كل هذه الأحقاب المتتالية.. وبقيت صورة نبينا الأكرم «صلى الله عليه وآله» تزداد تألقاً وسطوعاً جيلاً بعد جيل، وقرناً بعد قرن..

هل كان يهودي يخدم رسول الله ؟!

وكان النبي «صلى الله عليه وآله» قد حارب يهود بني قينقاع، والنضير، وقريظة، وقد قتل المسلمون عدداً من زعماء اليهود الآخرين، الذين كانوا يعيشون في المنطقة، من الذين جاهروا بالعداوة لهم وحالفوا أعداءهم، وساعدوا وسعوا في إثارة الحروب ضدهم، ولم يزل يهود المنطقة في خيبر، وتيماء، ووادي القرى على هذه الحال معهم أيضاً..

فكيف يرضى النبي «صلى الله عليه وآله» والحال هذه، بأن يخدمه ذلك اليهودي، الذي يرى نفسه موتوراً، ولا تصفو نفسه لواتره؟! خصوصاً مع وجود التأكيدات القرآنية المتضافرة على شدة عداوة

اليهود للمسلمين، كما في قوله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا...﴾^(١).

ألم يكن في المسلمين من يقوم بهذه الخدمة لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، حتى احتاج إلى خدمة يهودي؟!
يضاف إلى ذلك: أنهم يقولون: إن لبيد بن الأعصم كان موسراً كثير المال^(٢).

ومن كان كذلك: فإنه لا يرضى عادة بأن يكون خادماً لأحد، وإن رضي بذلك للتوصل إلى أهداف شريرة، فإنه سيكون موضع ريب وشك من كل أحد وسوف يتساءل الناس كلهم، ورسول الله «صلى الله عليه وآله» أيضاً، عن سبب إقدام هذا الرجل على خدمة رجل ليس على دينه، بل هو يعاديه، وقد كانت بينه وبين قومه حروب هائلة..

على أن بعض روايات السحر قد ذكرت: أن غلاماً مر بلبيد وفي أذنه قرط فجذبه، فخرم أذن الصبي، فأخذ فقطعت يده، فكوي منها فمات^(٣).
فإن عقوبة من خرم أذن صبي ليست هي قطع يده.
كما أن اليد إذا كويت لا يموت صاحبها..

(١) الآية ٨٢ من سورة المائدة.

(٢) دعائم الإسلام ج ٢ ص ١٣٨.

(٣) دعائم الإسلام ج ٢ ص ١٣٨ ومستدرک الوسائل ج ١٣ ص ١٠٨ والبحار ج ٦٠ ص ٢٢.

الرسول ' بدون شعر!!

وقد ذكرت الروايات المتقدمة: أن شعر رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد انتثر بواسطة السحر..

وهذا أمر عجيب وغريب، لم نعهده في سحر الساحرين، ولا قرأناه في تاريخ هذا النبي الأمين «صلى الله عليه وآله»، فلو كان ذلك قد حصل فعلاً لاعتبره المؤرخون مفصلاً تاريخياً في حياته «صلى الله عليه وآله».. ولكن قد بقي في ذاكرة الأجيال المتعاقبة كما بقيت قصة بدر، وأحد، وغيرهما..

وكما حفظ لنا التاريخ حديث الطائر المشوي، وحديث تصدق علي «عليه السلام» بخاتم في الصلاة، وحديث الغدير، وما إلى ذلك..
يضاف إلى ذلك: أن هذا الأمر لو حدث فعلاً فسنجد عائشة تحاول بما لا مزيد عليه نشره، والتهويل به، والإمعان في وصف جزئياته، وحالاته وتحولاته..

كما أن ذلك سوف ينقص قدره لدى زوجاته، ويثير فيهن حالات من الاستغراب، وقد يصل الأمر ببعضهن إلى حد إظهار الاشمئزاز من حالته.. مع أن شيئاً من ذلك لم يحدث، أو أننا على أقل تقدير لم نسمع بما يشير إلى شيء من ذلك..

تصنيف الروايات المتقدمة:

والناظر في الروايات المتقدمة يخرج بحقيقة: أنها رغم دلالتها على تعدد محاولة التوسل بالسحر للتأثير على النبي «صلى الله عليه وآله».. فإنه لا بد من تصنيفها في دائرتين:

إحداهما: دائرة المقبول والمعقول. وهو ما دل على تأثير السحر في جسد الرسول، من حيث إيجابه مرضاً، أو ضعفاً، أو تعباً، فإن الأمراض مما يجوز حصوله للأنبياء، والسحر من أسبابها العادية، فلا يضر عروض المرض لهم، ولا يوجب نقصاً في محلهم، ولا في مراتبهم.

تماماً كما جرى لأيوب «عليه السلام»، الذي قال الله تعالى عنه: ﴿وَإِذْ كُنَّا عَبْدًا لَّيُوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾^(١).

حيث دلت هذه الآية وكذلك الروايات الواردة في تفسيرها، على أنه لا مانع من تأثير السحر في تسليط بعض الأرواح الشريرة على أبدان الأنبياء «عليهم السلام» لإتعايبهم، وإيذائهم، ويكون ذلك من موارد امتحان الأنبياء «عليهم السلام» لإظهار مدى صبرهم، وعظيم تحملهم وحقيقة ملكاتهم، وقدراتهم في مواجهة المصائب والمصاعب.

الثانية: أن الأنبياء «عليهم السلام» محفوظون من السحر الذي يؤثر في إفساد عقولهم، والعبث بقدراتهم، في مجال الفهم، والإدراك، والتمييز، وما إلى ذلك.

وكلامنا إنما هو في إبطال الروايات التي تنحو هذا المنحى وتريد إثبات تأثير السحر في هذه المجالات.. أما التي هي من النوع الأول فلسنا بصدد إثباتها ولا نفيها.

هذا، وهناك أمور أخرى يمكن أن تذكر في جملة المؤاخذات على الروايات المذكورة، غير أننا نكتفي بما ذكرناه آنفاً. والله هو الهادي إلى سواء السبيل.

(١) الآية ٤١ من سورة ص.

الباب الرابع

دعوة ملك الأرض

الفصل الأول: بيانات تمهيدية

إلى كسرى	الفصل الثاني: كتاب النبي
إلى قيصر	الفصل الثالث: كتاب النبي
إلى المقوقس	الفصل الرابع: كتاب النبي
إلى النجاشي	الفصل الخامس: كتاب النبي

الفصل الأول:

بيانات تمهيدية

كتابة إلى ستة من الملوك:

وفي سنة ست^(١) أو في سنة سبع^(٢) كان إرسال النبي «صلى الله عليه وآله» الرسل إلى ستة من الملوك، الذين يتحكمون في شعوب الأرض، فقد

(١) تاريخ الخميس ج ٢ ص ٢٩ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٨٨ والكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٢١٠ والجامع للقيرواني ص ٢٨٧ والبداية والنهاية ج ٤ ص ٢٦٢ والبحار ج ٢٠ ص ٣٨٢ ومروج الذهب ج ٢ ص ٢٨٩ وفتح الباري ج ٨ ص ٩٨ وج ١٠ ص ٢٧٤ وسفينة البحار ج ١ ص ٣٧٦ وتحفة الأحوذى ج ٧ ص ٤١٧ ومكاتب الرسول ج ٢ ص ٣٩٨ وميزان الحكمة ج ٤ ص ٣٢٠٩ والطبقات الكبرى ج ١ ص ٢٥٨ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٥ ص ٤٣٠ والشفا بتعريف حقوق المصطفى ج ١ ص ٣١٥ وسبل الهدى والرشاد ج ١١ ص ٣٤٤.

(٢) تاريخ الخميس ج ٢ ص ٢٩ عن الوفاء، والمواهب اللدنية، وأسد الغابة ج ١ ص ٦٢ والطبقات الكبرى (ط دار صادر) ج ١ ص ٢٥٨ والتنبيه والإشراف ص ٢٢٥ وتاريخ أبي الفدا ج ١ ص ١٤٨ والطبقات الكبرى ج ١ ق ٢ ص ١٥ ووفاء الوفاء ج ١ ص ٣١٥ والثقات لابن حبان ج ٢ ص ٦ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٢٤٣ وعن فتح الباري ج ١٠ ص ٢٧٤ وعن الكامل لابن عدي ج ٤ ص ١٥٦٥ وتاريخ مدينة دمشق ج ٢٧ ص ٣٥٧ وسبل الهدى والرشاد ج ١١ ص ٣٤٤.

أرسل في ذي الحجة الحرام، أو في أواخره^(١) أو في المحرم^(٢) ستة نفر في يوم واحد^(٣) فخرجوا مصطحين^(٤).

وقد كتب إليهم وإلى غيرهم من الملوك، والرؤساء، في داخل بلاد الإسلام وخارجها.
وكانت اللغة التي كتب إليهم بها هي العربية، والتي هي لغة القرآن والإسلام.

الملوك الستة الذين كتب إليهم:

والملوك الستة الذين كتب النبي «صلى الله عليه وآله» إليهم هم:

- ١ - النجاشي، ملك الحبشة.
- ٢ - قيصر، ويقال: هرقل، عظيم الروم.
- ٣ - كسرى، حاكم فارس والمدائن.
- ٤ - المقوقس، صاحب الإسكندرية (مصر).
- ٥ - الحارث، والي تخوم الشام ودمشق.
- ٦ - ثمامة بن أثال، وهوذة بن علي الحنفيان، ملكا اليمامة، وقائداها.

(١) تاريخ الخميس ج ٢ ص ٢٩ وراجع: تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٨٨.

(٢) تاريخ الخميس ج ٢ ص ٢٩.

(٣) تاريخ الخميس ج ٢ ص ٢٩ عن المواهب اللدنية.

(٤) تاريخ الخميس ج ٢ ص ٢٩ عن المنتقى وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٨٨ والبحار ج ٢٠ ص ٣٨٢.

حاملو الكتب:

أما الذين حملوا الكتب إلى هؤلاء فهم:

- ١ - عمرو بن أمية الضمري، إلى النجاشي.
- ٢ - دحية بن خليفة الكلبي، إلى قيصر.
- ٣ - عبد الله بن حذافة السهمي، إلى كسرى.
- ٤ - حاطب بن أبي بلتعة اللخمي، إلى المقوقس.
- ٥ - الشجاع بن وهب الأسدي، إلى الحارث بن أبي شمر الغساني.
- ٦ - وسليط بن عمرو العامري، إلى ثمامة وهوذة.

التثاقل عن تنفيذ أمر الرسول :

والظاهر هو: أنه قد كان ثمة رهبة شديدة وخوف عظيم لدى بعض المسلمين من هذا الأمر، حتى إن الرسل أنفسهم أظهروا تثاقلاً عن تنفيذ أمر رسول الله «صلى الله عليه وآله». وقد يكون من أسباب ذلك خوفهم من بطش أولئك الملوك بهم، وذلك في سورة غضب شديد توقعوها منهم حين تسليم الرسائل إليهم، فقد قالوا: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» خرج على أصحابه ذات يوم بعد عمرته التي صد عنها يوم الحديبية، فقال: يا أيها الناس، إن الله بعثني رحمة وكافة؛ فأدوا عني يرحمكم الله، ولا تختلفوا عليّ كما اختلف الحواريون على عيسى!!

وقال: «انطلقوا ولا تصنعوا كما صنع رسل عيسى بن مريم».

فقال أصحابه: وكيف اختلف الحواريون يا رسول الله؟!.

فقال: دعاهم إلى الذي دعوتكم إليه.. فأما من بعثه مبعثاً قريباً ففرضي

وسلّم، وأما من بعثه مبعثاً بعيداً، فكره وجهه، وتثاقل.
فشكى ذلك عيسى إلى الله تعالى؛ فأصبح المتثاقلون، كل واحد منهم
يتكلم بلسان الأمة التي بعث إليها^(١).
وقد اعتبر الواقدي: أن من معجزات رسول الله «صلى الله عليه وآله»: أنه
حين بعث النفر الستة إلى الملوك: «أصبح كل رجل منهم يتكلم بلسان
القوم الذين بعثهم إليهم».

وقالوا: «كان ذلك معجزة لرسول الله «صلى الله عليه وآله»..»^(٢).
وعلى كل حال.. فإن هذا الحديث يدل: على أنه قد جرى لرسول الله
«صلى الله عليه وآله» مع من أرسلهم إلى الملوك، نفس ما جرى لعيسى مع
الحواريين.. فظهر مصداق ما أخبر به رسول الله «صلى الله عليه وآله» من

(١) تاريخ الخميس ج ٢ ص ٢٩ و ٣٠ عن الإكتفاء وكنز العمال (ط الهند) ج ١٠ ص ٤١٨ و ٤١٩ و (ط مؤسسة الرسالة) ج ١٠ ص ٦٣٣ و ٦٣٤ و ٦٣٥ و ج ١١ ص ٦٤٤ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٤ ص ٢٥٤ و ٢٥٥ والمعجم الكبير ج ٢٥ ص ٢٣٢ و ٢٣٣ وعن ج ٢٠ ص ٨ والكامل لابن عدي ج ٤ ص ١٥٦١ وحياة الصحابة ج ١ ص ١٠١ والتراتب الإدارية ج ١ ص ١٩٠ و ١٩١ ونشأة الدولة الإسلامية ص ٧٥ والطبقات الكبرى (ط ليدن) ج ١ ق ٢ ص ١٥ و ١٩ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٤١ والسيرة النبوية لدحلان (مطبوع مع الحلبية) ج ٣ ص ٥٦ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٨٩ والآحاد والمثاني ج ١ ص ٤٤٥ والأحاديث الطوال ص ٦٠ ومكاتب الرسول ج ١ ص ١٨٤ و ١٨٥ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج ٢ ص ٦٥٠.

(٢) تاريخ الخميس ج ٢ ص ٢٩ عن الواقدي.

أن هذه الأمة سوف تسير على سنن من قبلها حذو القذة بالقذة، ومطابق النعل بالنعل، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلوا فيه..

لماذا باللغة العربية؟!

إن ههنا سؤالاً يفرض نفسه، ويلح بطلب الإجابة عليه، وهو: أن الله سبحانه قد بعث محمداً «صلى الله عليه وآله» نذيراً للبشر كلهم، أبيضهم وأسودهم، عرييهم وعجميهم، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ﴾^(١).

وكان «صلى الله عليه وآله» يكلم كل قوم بلسانهم، فلماذا كتب للملوك الأرض كلهم باللغة العربية، ولم يكتب لهم بلغاتهم الخاصة بهم؟!

والجواب:

أولاً: من الطبيعي أن الإسلام يملك قيماً حضارية ومبادئ إنسانية يريد لها أن تحكم العالم، وتهيمن عليه، فلا غرو أن يسعى لفرض لغته ومصطلحاته الخاصة به على الشعوب كلها، واللغة هي الصلة بين جميع أتباع هذا الدين من هذه الأمة التي يفترض فيها أن تعيش تلك القيم، وترتكز في تعاملها وسلوكها إلى تلك المبادئ. لأن المطلوب هو: أن تتحول تلك المبادئ والقيم إلى مشاعر وأحاسيس، وأن يكون لها دور في صنع خصائص الشخصية الإنسانية، وتصبح هي عينه التي ينظر بها، وأذنه التي يسمع بها، ولسانه المعبر عن حقيقته الباطنية، وحركته العفوية، وتكون

(١) الآية ٤ من سورة إبراهيم.

لمحاته، ولفتاته، وكل مظهر من مظاهر الحياة والوعي لديه.

وتكون الكلمة، واللغة، والمصطلح الإيماني هي ذلك المحرك القوي، الذي يطلق في حنايا الروح، وفي أعماق الضمير والوجدان الإنساني شحناته الرافدة لمشاعره وأحاسيسه، والغامرة لها بفيوضات من معاني القيم، والمثل العليا.

ومن أجل ذلك كله، نقول:

إنه لا بد من أن تفرض لغة القيم نفسها على البشرية كلها، وإن احتفظت الشعوب بلغاتها الخاصة بها فإنما ذلك من أجل أن تكون وسيلتها في تلبية حاجاتها في مفردات ومجالات ليست لها علاقة مباشرة بمعاني القيم ونظام المثل والمبادئ.

ولهذا كتب النبي «صلى الله عليه وآله» إلى ملوك العالم باللغة العربية، ولم يكتب لهم بلغاتهم التي يتكلمون بها.

ثانياً: إن وحدة اللغة فيما يرتبط بالقيم الإنسانية ومناهج الدين، تعطي الشعوب الإحساس الوجداني العميق بالرباط القيمي فيما بينها وبين الشعوب الأخرى، وتؤكد شعورها بالقواسم المشتركة في مفردات الدين والإيمان..

ولذلك أنزل الله القرآن، وهو كتاب العالم بأسره، باللغة العربية، وجعل لقراءته ثواباً، ورتب أحكاماً، كما أنه قد شرع الصلاة، والأدعية، والزيارات، وبعض العقود وغيرها باللغة العربية أيضاً.

ثالثاً: إن الأمم الراقية تسعى لنشر لغتها في الشعوب على مستوى العالم بأسره، وذلك على حد قول العلامة الأحمدي «رحمه الله»: «إعمالاً للسيادة،

وتثبيتاً للعظمة»^(١).

ويعدُّ هذا من أسباب قوة الدعوة، وثباتها، وتعزيزها في وجدان الناس، وفي عقولهم، وفي حياتهم العملية أيضاً..

تفاوت مستويات الرسائل العربية:

وقد يلاحظ: أن كتب النبي «صلى الله عليه وآله»، ورسائله، وعهوده، وإقطاعاته، تختلف وتتفاوت من حيث اشتغالها على الألفاظ الوحشية والغريبة فيها تارة، وخلوها من ذلك أخرى، ومن حيث سهولة التعبير وحزونه فيها، وغير ذلك من خصوصيات..

والسبب في ذلك هو: أنه «صلى الله عليه وآله» كان يكلم الناس، ويكتب لهم على قدر عقولهم، وحسب ألفوه من لغاتهم، ويصوغ لهم العبارات، ويورد التراكيب وفق ما هو متداول فيما بينهم، فأوجب ذلك اختلاف كلماته معهم، ورسائله لهم، من حيث عورة الألفاظ وعذوبتها، وسهولة التراكيب وتعقيدها «اتساعاً في الفصاحة، واستحداثاً للإلفة والمحبة، فكان يخاطب أهل الحضر بكلام ألين من الدهن، وأرق من المزن، ويخاطب أهل البدو بكلام أرسى من الهضب، وأرهف من القضب»^(٢).

وكلا هذين النوعين من الكلام بليغ وفصيح، فإن الغريب والوحشي لم يكن وحشياً ولا غريباً بالنسبة للذين خاطبهم به، بل هو فصيح بالنسبة

(١) مكاتيب الرسول ج ١ ص ٨٤.

(٢) مكاتيب الرسول ج ١ ص ٨٠ وكنز العمال ج ١٠ ص ٦١٧ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢.

إليهم، بل هذا النمط هو أعلى درجات البلاغة والفصاحة عندهم. بل قد يقال: إن ما ظهر في لهجات ولغات كثير من القبائل من هنات وهنات^(١) كان يعدُّ هو الفصاحة بعينها بالنسبة لتلك القبائل. ولغة قريش فقط هي التي سلمت من أمثال هذه الهنات، فكانت هي الأَفْصح، والأَجْمَل، والأَصْفَى، وكان «صلى الله عليه وآله» من قريش، فكان «صلى الله عليه وآله» أفصح العرب، أو أفصح من نطق بالضاد حسبما روي عنه^(٢).

الكتابة في عهد رسول الله :

لا ريب في أن الذين كانوا يعرفون القراءة والكتابة في أول البعثة النبوية الشريفة كانوا قليلين.. ولكن توسع الإسلام، خصوصاً بعد الهجرة، وظهر حاجة الناس في كثير من شؤون حياتهم وعلاقاتهم إلى القراءة والكتابة، وتشجيع الإسلام على تعلُّمها. وقد بلغ النبي «صلى الله عليه وآله» في حثه على كتابة العلم، وعلى كتابة

-
- (١) راجع: دائرة المعارف ج ٦ ص ٢٧٧ - ٢٨١ والوسيط في الأدب العربي.
- (٢) راجع: الإختصاص ص ٨٣ وشرح الشفاء للقاري ج ١ ص ١٩٥ والسيرة النبوية لابن هشام ج ١ ص ١٧٨ وشرح أصول الكافي ج ٩ ص ٣٢٢ ونور البراهين ج ١ ص ١٢٠ ومكاتيب الرسول ج ١ ص ٨١ وتذكرة الموضوعات ص ٨٧ وكشف الخفاء ج ١ ص ٢٠٠ وتفسير القرآن العظيم ج ١ ص ٣٢ وسبل الهدى والرشاد ج ١ ص ٤٢٩ وج ٢ ص ١٠٣ والقاموس المحيط ج ١ ص ٦ ومغني اللبيب ج ١ ص ١١٤ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ وغير ذلك.

القرآن، والسنة، قد بلغ الغاية، وأوفى على النهاية، إلى حد أن جعل فداء الأسير في بدر، هو أن يعلم عشرة من أطفال المسلمين القراءة والكتابة^(١).

وكان «صلى الله عليه وآله» أمر عبد الله بن سعيد بن العاص: أن يعلم الناس الكتابة بالمدينة، وكان محسناً^(٢).

وقد ذكر العلامة الأحمدي «رحمة الله» في كتابه «مكاتيب الرسول» العديد ممن صرحوا: بأنهم كتبوا لرسول الله «صلى الله عليه وآله» في مختلف المجالات، فلا بأس بمراجعة ذلك الكتاب.

لم يكن النبي ' يكتب بيده:

وكانت طريقته «صلى الله عليه وآله» في كتابة رسائله وغيرها، هي: أنه يملي، والكاتب يكتب، ولم نجد ما يدل على: أنه «صلى الله عليه وآله» قد كتب بيده إلا ما تقدم عن البراء بن عازب في قصة الحديبية، حيث قال:

(١) التراتيب الإدارية ج ١ ص ٨٤ و ٤٩ عن المطالع النصرية للهوريني، وعن السهيلي، ومسند أحمد ج ١ ص ٢٤٧ والروض الأنف ج ٣ ص ٨٣ والإمتاع ص ١٠١ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٣٩٥ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ١٩٣ وطبقات ابن سعد (ط ليدن) ج ٢ ق ١ ص ١٤ ونظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي (الحياة الدستورية) ص ٤٨ والبحار ج ١٩ ص ٣٥٥ والمستدرك للحاكم ج ٢ ص ١٤٠ ومجمع الزوائد ج ٤ ص ٩٦ والبداية والنهاية ج ٣ ص ٣٩٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ٥١٢.

(٢) نسب قريش لمصعب الزبيري ص ١٧٤ والإصابة ج ١ ص ٣٤٤ عنه والإستيعاب (مطبوع مع الإصابة) ج ٢ ص ٣٧٢ وأسد الغابة ج ٣ ص ١٧٥ وراجع: السنة قبل التدوين ص ٢٩٩ ومكاتيب الرسول ج ١ ص ١٠٥ و ٣٩٤.

«فأخذ رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وليس يحسن يكتب فكتب: هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله الخ..»^(١).

وقد قالوا: إن الروايات الأخرى قد صرحت: بأن علياً «عليه السلام» قد امتثل أمر رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وكتب ما أمر به. فيكون المراد: أنه أمر علياً «عليه السلام» بالكتابة، فكتب، وما فعله رسول الله «صلى الله عليه وآله» هو: أنه محا الكلمة السابقة فقط. ولكن ذلك لا يعني: أنه «صلى الله عليه وآله» لم يكن يعرف القراءة والكتابة، عن طريق التعليم الإلهي الموجب لظهور المعجزة له في ذلك.. كما أثبتناه في كتابنا «مختصر مفيد»^(٢).

وكان عدم تصديه لكتابة رسائله وغيرها مراعاة للعرف السائد آنذاك، ولذلك لم يكن الخلفاء بعده يتصدون للكتابة بأنفسهم أيضاً، بل كانوا يملون على الكاتب، وهو يكتب.. إلا إذا كانت هناك ضرورة لتصديهم للكتابة بأنفسهم..

(١) راجع: البحار ج ٢٠ ص ٣٧٢ و ٣٥٢ ومسنند أحمد ج ٤ ص ٢٩٨ والكامل في التاريخ ج ٢ ص ٢٠٤ والأموال ص ١٥٨ وسنن الدارمي ج ٢ ص ٢٣٨ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٨ ص ٥ وكنز العمال (ط الهند) ج ١٠ ص ٣٠٣ والمصنف لابن أبي شيبة ج ١٤ ص ٤٣٥ والمفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ج ٨ ص ٩٣ و ٩٦ وصحيح البخاري ج ٤ ص ٧١ وج ٥ ص ٨٤ وصحيح مسلم ج ٥ ص ١٧٤ والتراتيب الإدارية ج ١ ص ١٧٣ وشرح الشفاء للقاري ج ١ ص ٧٢٧ و ٧٢٩ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٢ ق ٢ ص ٣٤.

(٢) مختصر مفيد ج ١ ص ١١.

بداية كتب الرسول :

وقد زعموا: أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان في مدة من الزمن يكتب: «باسمك اللهم».

ثم صار يكتب: «بسم الله».

ثم صار يكتب: «بسم الله الرحمن».

ثم صار يكتب: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ».

فقد روي عن الشعبي، أنه قال:

كان أهل الجاهلية يكتبون: «باسمك اللهم».

فكتب النبي «صلى الله عليه وآله» أول ما كتب: «باسمك اللهم»،

حتى نزلت: ﴿..بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا..﴾^(١)، فكتب: «بسم الله».

ثم نزلت: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ..﴾^(٢). فكتب: «بسم الله

الرحمن».

ثم أنزلت الآية التي في طس: ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ

الرَّحِيمِ﴾^(٣). فكتب: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»^(٤).

(١) الآية ٤١ من سورة هود.

(٢) الآية ١١٠ من سورة الإسراء.

(٣) الآية ٢٠ من سورة النمل.

(٤) راجع: المصادر التالية: الدر المنثور ج ٥ ص ١٠٦ و ١٠٧ عن عبد الرزاق، وابن

سعد، وابن أبي شيبة، وأبي عبيد في فضائله، وابن أبي حاتم، وابن المنذر، وأبي

داود في المراسيل، وكنز العمال (ط الهند) ج ١٠ ص ١٩٤ والتنبيه والإشراف

ص ٢٢٥ والعقد الفريد ج ٤ ص ١٥٨ والتراتب الإدارية ج ١ ص ١٤٠ =

زاد في السيرة الحلبية بعد قوله: فكتب أول ما كتب: «باسمك اللهم
وكتب ذلك في أربعة كتب»^(١).

ونقول:

إننا بغض النظر عن الطعون التي ربما يشار إليها فيما يتعلق بالشعبي
نفسه، فضلاً عما يروي عنه، وبقطع النظر عن أن الشعبي لم يكن حاضراً
ولا ناظراً لما كان يجري في زمن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، نقول:
أولاً: إن آية: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ قد نزلت قبل سورة النمل،
وقبل آية: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ..﴾ وقبل آية: ﴿..بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا
وَمُرْسَاهَا..﴾. بل هي قد بدأت تنزل مرة بعد أخرى من أول البعثة، وإلى
حين وفات النبي، وكان «صلى الله عليه وآله» ولم يزل منذ بعثه الله نبياً
يصلي ويقرأ بفاتحة الكتاب، المشتملة على آية: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.
وقد ذكرنا في كتابنا «حقائق هامة حول القرآن الكريم»: أن المروي عن

= ومستدرک الوسائل ج ٨ ص ٤٣٢ و ٤٣٣ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٠ وج ١
ص ٢٤٩ والجامع لأحكام القرآن ج ١ ص ٩٢ وج ١٣ ص ١٩٤ والوزراء
والكتاب للجهشياري ص ١٣ و ١٤ والطبقات الكبرى ج ١ ص ٢٦٣ والمصنف
لابن أبي شيبة ج ١٤ ص ١٠٥ وأحكام القرآن للجصاص ج ١ ص ٨ والمراسيل
لأبي داود ص ٩٠ والتفسير الكبير للرازي ج ١ ص ٢٠٠ وروح المعاني ج ١
ص ٢٧ وثمرات الأوراق (بهاشم المستطرف) ج ٢ ص ١٠٥ وعمدة القاري ج ٥
ص ٢٩١.

(١) السيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج ٢ ص ٧٦٩.

الإمام الصادق «عليه السلام»^(١)، وعن ابن عباس، وعثمان بن سعيد بن جبير: أنهم كانوا لا يعرفون (أو كان النبي لا يعرف) انتهاء السورة السابقة، وبدء السورة اللاحقة إلا بنزول: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾^(٢).

-
- (١) تفسير العياشي ج ١ ص ١٩ ومصباح الفقيه (كتاب الصلاة) ص ٧٦ والبحار ج ٨٩ ص ٢٣٦ ونور الثقلين ج ١ ص ٦.
- (٢) راجع: الدر المنثور ج ١ ص ٧ وج ٣ ص ٢٠٨ عن أبي داود، والبزار، والدارقطني في الأفراد، والطبراني، والحاكم، وصححه، والبيهقي في المعرفة، وفي شعب الإيمان، وفي السنن الكبرى، وعن أبي عبيد، والواحدي، وفتح الباري ج ٩ ص ٣٩ وتفسير القرآن العظيم ج ١ ص ١٦ ونيل الأوطار ج ٢ ص ٢٢٨ ومستدرك الحاكم ج ١ ص ٢٣١ و ٢٣٢ وصححه على شرط الشيخين، وتلخيص المستدرك للذهبي، بهامشه، وأسباب النزول للواحدي ص ٩ و ١٠ والسنن الكبرى ج ٢ ص ٤٢ و ٤٣ ومحاضرات الأدباء المجلد الثاني، الجزء ٤ ص ٤٣٣ والإتقان ج ١ ص ٧٨ وبحوث في تاريخ القرآن وعلومه ص ٥٦ و ٥٧ وراجع ص ٥٥ عن بعض من تقدم، والجامع لأحكام القرآن ج ١ ص ٩٥ وعمدة القاري ج ٥ ص ٢٩٢ ونصب الراية ج ١ ص ٣٢٧ والمستصفى ج ١ ص ١٠٣ وفواتح الرحموت (بهامشه) ج ٢ ص ١٤ وتاريخ يعقوبي ج ٢ ص ٣٤ والتفسير الكبير ج ١ ص ٢٠٨ وغرائب القرآن بهامش الطبري ج ١ ص ٧٧ والمصنف للصنعاني ج ٢ ص ٩٢ ومجمع الزوائد ج ٦ ص ٣١٠ وج ٢ ص ١٠٩ عن أبي داود، والبزار، وكثر العمال ج ٢ ص ٣٦٨ عن الدارقطني في الأفراد، والتمهيد في علوم القرآن ج ١ ص ٢١٢ عن الحاكم واليعقوبي، وسنن أبي داود ج ١ ص ٢٠٩ والمستقى ج ١ ص ٣٨٠ وتبيين الحقائق ج ١ ص ١١٣ وكشف الأستار ج ٣ ص ٤٠ ومشكل الآثار ج ٢ ص ٥٣ والمراسيل لأبي داود السجستاني ص ٩٠ وأحكام القرآن للجصاص ج ١ ص ١٥ وذكر أخبار إصبهان لأبي نعيم ج ٢ ص ٣٥٦ والمستدرك على الصحيحين ج ٢ ص ٦١١ والكامل لابن =

فلماذا عمل «صلى الله عليه وآله»، واستن بآية: ﴿بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا﴾ واستن بآية: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ﴾ ولم يعمل ولم يستن بـ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ التي رافقته في جميع السور منذ بعثته، وإلى حين وفاته؟!..

ثانياً: يضاف إلى ذلك: أن كتب الله تعالى كلها قد افتتحت بقوله تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾. وكانت هذه الكلمة أول كل كتاب نزل من السماء، فلماذا لم يستن بها رسول الله «صلى الله عليه وآله» كما استن بآية: ﴿بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا﴾، وبغيرها من الآيات المتقدمة؟! فراجع الحديث المروي عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: مفتاح كل كتاب»^(١). وعن الإمام الصادق «عليه السلام»: ما أنزل الله من السماء كتاباً إلا وفاتحته «بسم الله الرحمن الرحيم»^(٢).

= عدي ج ٦ ص ٣٠٣٩ وج ٣ ص ١٠٣٩ والضعفاء الكبير للعقيلي ج ٢ ص ٣٥ والمعجم الكبير ج ١٢ ص ٨٢ والبيان في تفسير القرآن ص ٤٤٢ وعن فتح الباري ج ٩ ص ٣٥ وتفسير أبي حمزة الثمالي ص ١٠٦ والدر المنثور ج ١ ص ٧.

(١) كنز العمال (ط الهند) ج ١٠ ص ٤٩٣ والدر المنثور ج ١ ص ١٠ ومكاتيب الرسول ج ١ ص ٥٦ وميزان الحكمة ج ٢ ص ١٣٦٦ وج ٣ ص ٢٦٦٤ والجامع الصغير ج ١ ص ٤٨١ وشرح مسند أبي حنيفة ص ٥ وفيض القدير ج ٣ ص ٢٩٤ وفتح القدير ج ١ ص ١٩.

(٢) جامع أحاديث الشيعة ج ٥ ص ١١٦ و ١١٧ عن الكافي، والمحاسن، وعن السيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٤٠ ومستدرک الوسائل عن العياشي، ونور الثقلين ج ١ ص ٦ =

وعن الإمام الباقر «عليه السلام»: أول كل كتاب نزل من السماء: «بسم الله الرحمن الرحيم»^(١).

ثالثاً: ومع غض النظر عن هذا وذاك، فإننا لم نجد هذه الكتب المبدوءة بـ «باسمك اللهم» أو بـ «بسم الله» أو بـ «بسم الله الرحمن» رغم بحثنا عنها، وما ادّعاه الحلبي، لو صدقناه فيما ادّعاه، لم نستطع أن نجد له شاهداً يثبت، ولا مصداقاً يمكن الاعتماد عليه..

رابعاً: قال العلامة الأحمدي «رحمه الله»: «أما ما نقل عنه «صلى الله عليه وآله» من الكتب، وليس فيها البسملة، فمن آفات الرواة، وتلخيص الناقلين، وعدم اهتمامهم ببعض الأمور.

وأما ما أخرجه السيوطي من كتابه «صلى الله عليه وآله» لأهل نجران، فسيأتي الكلام عليه في ذكر وفد نجران. مع أن المنقول في جمهرة رسائل العرب ج ١ ص ٧٦ عن صبح الأعشى ج ٦ ص ٣٨ و ٣٨١ هكذا: «بسم الله الرحمن الرحيم، إله إبراهيم.. الخ».

وأضف إلى ما ذكرنا: ما سيأتي من أن رسول الله «صلى الله عليه وآله»

= وج ٢ ص ٢٣٨ عن العياشي، والكافي، والبرهان ج ١ ص ٤٢ والوسائل ج ٤ ص ٧٤٧ والبحار ج ٨٢ ص ٢٠ وج ٨٩ ص ٢٣٦ وج ٩٢ ص ٢٣٤ و ٢٣٦ وتفسير العياشي ج ١ ص ١٩ وتفسير كنز الدقائق ج ١ ص ٣١، وراجع: مكاتيب الرسول للأحمدي ج ١ ص ٥٦ وج ٣ ص ٥٠٥ و ٥٠٦ عن مصادر كثيرة.

(١) الكافي ج ٣ ص ٣١٣ والوسائل (ط دار الإسلامية) ج ٤ ص ٧٤٦ ومكاتيب الرسول ج ١ ص ٥٦ وتفسير نور الثقلين ج ١ ص ٦ وج ٣ ص ٨٤ وتفسير كنز الدقائق ج ١ ص ٣١.

كتب للداريين بمكة، سنة خمس أو ست، من البعثة، أو قبلها، وفيه: بسم الله الرحمن الرحيم» انتهى^(١).

البدء باسمه الشريف:

ويلاحظ: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» كان في كتبه يقدم اسمه الشريف موصوفاً بوصف الرسالة أو النبوة، فيكتب مثلاً: من محمد رسول الله إلى فلان، أو من محمد النبي لفلان، أو هذا ما كتبه النبي محمد لفلان.. ويصرح باسم المرسل إليه، وربما وصفه: بأنه عظيم الروم مثلاً، أو صاحب مملكة كذا، أو نحو ذلك.

وذلك - كما يقول العلامة الأحمدي «رحمه الله» - تعظيماً منه للنبوة، وترفعاً لمقام الرسالة.. إلى أن قال: إذ كما يجب على غيره أن يعظم ساحتها المقدسة السامية، يلزم على نفسه الكريمة أيضاً أن يحفظها ويصونها، وأن لا يضعها ولا يذلها.

ألا ترى: أنه يجب عليه «صلى الله عليه وآله» أن يصلي على نفسه في الصلاة، وأن يشهد لنفسه بالنبوة، فيقول: أشهد أن محمداً عبده ورسوله، واللهم صل على محمد وآل محمد؟ وليس ترفيعاً، أو إكباراً، أو إعظاماً في الحقيقة، بل هو وضع للشيء في موضعه^(٢).

(١) مكاتيب الرسول ج ١ ص ٦٥ وج ٣ ص ٥٠٥ و ٥٠٩ والآحاد والمثاني ج ٥ ص ١٢ وتاريخ مدينة دمشق ج ١١ ص ٦٥.
(٢) راجع: مكاتيب الرسول ج ١ ص ٦٧ و ٦٨.

وقد أغضب تقديمه اسمه الشريف على اسم المكتوب له، كسرى ملك
الفرس، فمزق كتاب رسول الله «صلى الله عليه وآله»^(١).
كما أن أخا قيصر، أو ابن عمه، أراد أن يخرق كتاب رسول الله «صلى
الله عليه وآله» لنفس السبب، فمنعه قيصر من ذلك، وقال له:
«إنك أحق صغير، أتريد أن تمزق كتاب رجل قبل أن أنظر فيه؟!
ولعمري، إن كان رسول الله لَنَفْسُهُ أحق أن يبدأ بها مني»^(٢).

الحمد والتسليم:

وكان يكتب أيضاً: «سلم أنت» أو «سلام عليك» أو «سلام على من
آمن بالله».
وكان يكتب: «أحمد الله إليك» أو «أحمد إليك الله» أي أهدي إليك حمد
الله. وكان ذلك تحية يكتبونه في افتتاح كتبهم^(٣).

(١) المعجم الكبير ج ٤ ص ٢٢٥ ودلائل النبوة لأبي نعيم ص ١٥٣ وعن فتح الباري
ج ٨ ص ١٦٥ وكنز العمال ج ١٠ ص ٥٨٥ و ٦٣٥ وتاريخ مدينة دمشق ج ١٧
ص ٢٠٩ وسير أعلام النبلاء ج ٢ ص ٥٥٢ والبداية والنهاية ج ٤ ص ٣٠٤
والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٥٠٥ وسبل الهدى والرشاد ج ١١ ص ٣٥٣.
(٢) مكاتيب الرسول ج ١ ص ٦٩ والدر المنثور ج ٤ ص ١٥٦ ومجمع الزوائد ج ٥
ص ٣٠٨ وج ٨ ص ٢٣٦.

(٣) راجع: مكاتيب الرسول ج ١ ص ٦٧ و ٦٨ وج ٢ ص ٣٧٣ و ٦٤٩ وج ٣ ص ٥٤٨
وأشار في هامشه إلى: التراتيب الإدارية ج ١ ص ١٣٧ و ١٣٨ عن صبح الأعشى،
وإكمال الدين ص ٥٧١ والغارات ج ١ ص ٢١٠ وكنز الفوائد ص ٢٤٩ والبحار
ج ٢٢ ص ٨٧ وج ٥١ ص ٢٤٩ وعن ج ٧٤ ص ١٦٢ والمستدرک للحاكم ج ٣ =

وكذلك كان يكتب أمير المؤمنين علي «عليه السلام»، وأم سلمة في كتابها إلى عائشة حين نهتها عن الخروج قبل وقعة الجمل.

إتخاذ الخاتم:

ويقولون: إنه «صلى الله عليه وآله» قد اتخذ الخاتم في سنة ست، وبه ختم الكتب التي أرسلها إلى الملوك، يدعوهم فيها إلى الإسلام.. وزعم المؤرخون: أنه «صلى الله عليه وآله» لما أراد أن يكتب إلى الملوك، قيل له: إنهم لا يقبلون كتاباً إلا بخاتم، أو مختوماً. فصاغ النبي «صلى الله عليه وآله» خاتماً من ذهب. واقتدى به ذوو اليسار من أصحابه فصنعوا خواتيم من ذهب.

فلما لبس رسول الله «صلى الله عليه وآله» خاتمه، لبسوا أيضاً خواتيمهم. فجاء جبرئيل «عليه السلام» من الغد، وقال: لبس الذهب حرام لذكور أمتك. فطرح النبي «صلى الله عليه وآله» خاتمه، وطرح أصحابه أيضاً خواتيمهم.

ثم اتخذ رسول الله «صلى الله عليه وآله» خاتماً حلقتة وفَصُّه من فضة، ونقش فيه محمد رسول الله: محمد سطر، ورسول سطر، والله سطر. ونهى أن ينقش عليه أحد.

واقتدى به أصحابه، فاتخذوا خواتيمهم من فضة^(١).

= ص ٢٧٣ والمعجم الصغير ج ١ ص ١٥١ وكنز العمال ج ١٥ ص ٧٤٦ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣٨٥ ومجمع البحرين ج ١ ص ٥٦٩.
(١) تاريخ الخميس ج ٢ ص ٢٩. وراجع: البداية والنهاية ج ٥ ص ٣٥٦ وج ٦ ص ٢ =

ونقول:

١ - إن اتخاذ الخاتم والختم في آخر الكتاب، إنما هو من أجل المنع من الزيادة فيه.

كما أن ختمه بعد طيه وجعل الختم على شيء رطب من الطين ونحوه، إنما هو من أجل أن لا يفضه حامله أو غيره، ويطلع على ما فيه غير المكتوب إليه، ولكي لا يزداد فيه، ولا تحرف بعض كلماته^(١).

٢ - إن حديث: أنه «صلى الله عليه وآله» قد اتخذ أولاً خاتماً من ذهب، ولبسه حتى جاءه جبرئيل، وأخبره أن الذهب حرام على ذكور الأمة.. لا يمكن قبوله.

أولاً: إن النبي «صلى الله عليه وآله» لا يفعل شيئاً من تلقاء نفسه. فإن كان قد فعل ذلك حقاً فلا بد أن يكون قد فعله عن أمر الله تعالى، وبإذن منه..

ثانياً: إن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يكن لينفق أموالاً على خاتم له من ذهب، وهو ما لا يقدم على اتخاذه إلا ذوو اليسار من أصحابه، كما صرحت به الرواية، بل كان يساوي نفسه في مأكله وملبسه ومشربه

= و ٣ و ٤ والبحار ج ٧ ص ٢٠٢ و ٢٠٤ وسنن أبي داود ج ٤ ص ٨٨ و ٨٩ والطبقات الكبرى (ط ليدن) ج ١ ق ٢ ص ١٦٥ وعن فتح الباري ج ١٠ ص ٢٦٩ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٤٠ و ٢٤١ والسيرة النبوية لدحلان (مطبوع مع الحلبية) ج ٣ ص ٥٥ و ٥٦ والتراتب الإدارية ج ١ ص ١٧٩.

(١) راجع: الجامع الصغير للقيرواني ص ٢٨٧ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٤٠ والسيرة النبوية لدحلان (مطبوع مع الحلبية) ج ٣ ص ٥٥.

بالضعفاء منهم، كما هو معلوم في سيرته..
والصحيح: هو أنه اتخذ خاتماً من فضة، فاقتدى به من شاء من أصحابه.

النبى ' يؤرخ رسائله:

وقد ذكرنا في هذا الكتاب: أن النبى «صلى الله عليه وآله» قد وضع التاريخ الهجرى، وأنه كان يؤرخ به رسائله، وغيرها..
فراجع فصل: أعمال تأسيسية في مطلع الهجرة، لتجد صحة ما ذكرناه.

كتب دعوة لا كتب حرب:

إن الكتب التي أرسلها النبى «صلى الله عليه وآله» إلى الملوك قد تضمنت دعوتهم إلى توحيد الله تعالى وإلى الإسلام..
ولم نجد فيها: أية إشارة إلى الحرب، ولا إلى إلزامهم بالجزية لو امتنعوا عن الإسلام.. وذلك لأن الهدف هو نشر الدين بإطلاق نداء الضمير، والوجدان، والفطرة، والالتزام بحكم العقل، وإتمام الحجة عليهم..
والقصد إنما هو إلى إسعاد الناس، وتوجيههم نحو الحياة الكريمة والطيبة، حيث العظمة والمجد، والسؤدد، من دون أن تكون هناك أي امتيازات ظالمة لأحد.

وليس القصد الاستيلاء على بلاد الناس ولا قهرهم، أو إذلالهم، أو أي نوع من أنواع الإيذاء لهم..

من أجل ذلك نلاحظ: أن هؤلاء لم ينأوا في الأكثر بأنفسهم عن الإسلام، بل قبله بعضهم، وأجاب بعضهم بجواب لين، ظهرت فيه أمارات التردد، بسبب وساوس شيطانية، ومخاوف غير واقعية على ملكهم

وسلطانهم، أو على بعض امتيازاتهم فيه.

وما أشبه الليلة بالبارحة، حيث كان المستضعفون في مكة قد قبلوا الإسلام في بدء الدعوة، فلما عرف أسيادهم والمستكبرون من عظمائهم وأشرفهم بالأمر، لاموهم على ذلك، ومنعوهم منه، وواجهوا من أصر على موقفه بالعنف والقسوة البالغة.

فقد ذكروا: أنه لما أظهر رسول الله «صلى الله عليه وآله» الإسلام أسلم أهل مكة كلهم، وكانوا يجتمعون على الصلاة حتى ما يستطيع بعضهم أن يسجد من كثرة الزحام، وضيق المكان، حتى قدم رؤوس قريش: الوليد بن المغيرة، وأبو جهل بن هشام - بالطائف في أراضيهم - فقالوا: تدعون دين آبائكم؟! فكفروا^(١).

وهذا بالذات ما جعل ملوك الأرض - باستثناء بعضهم - يواجهون دعوته «صلى الله عليه وآله» لهم، بمزيد من التروي، والمرونة، وأرسلوا إليه بكتب نصحت بالإكرام والإعظام، وبعثوا إليه بالتحف والهدايا، وقد قال قيصر لأخيه حين طلب منه أن يرمي الكتاب من يده: أترى أرمي كتاب رجل يأتيه الناموس الأكبر؟!!

وقد أسلم النجاشي ملك الحبشة.

والمنذر بن ساوى ملك البحرين.

(١) تاريخ يحيى بن معين ج ٣ ص ٥٣ ومستدرك الحاكم ج ٣ ص ٤٩٠ ومكاتب الرسول ج ١ ص ١٨٨ ومجمع الزوائد ج ٢ ص ٢٨٤ وعن فتح الباري ج ٢ ص ٤٥٥ والمعجم الكبير ج ٢٠ ص ٥ وكنز العمال ج ١ ص ٤١١ وتاريخ مدينة دمشق ج ٥٧ ص ١٥٥ وعن الإصابة ج ٦ ص ٤٢.

وأسلم فروة عامل قيصر على عَمَّان.. فلما بلغ قيصر ذلك أخذه واستتابه، فأبى، فقتله.

وأسلم جيفر وعبد ابنا جلندی، ملكا عَمَّان.

وأسلم ضغاظر أسقف الروم بعد قراءة كتاب الرسول «صلى الله عليه وآله» إلى قيصر.

وأجابه ملوك حَمِيرَ ووفدوا عليه.

وأسلم أقيال حضر موت.

وأسلم عمال كسرى بالبحرين واليمن.

وقال المقوقس: إني قد نظرت في أمر هذا النبي، فوجدته لا يأمر بمزهود فيه، ولا ينهى عن مرغوب فيه، ولم أجده بالساحر الضال، ولا الكاهن الكذاب، ووجدت معه آلة النبوة، بإخراج الخبأ، والإخبار بالنجوى، وسأُنظر. وأعطاه أساقفة نجران الجزية.

وأجابه ملك أيلة ويهود مقنا، إما بالإسلام، أو الجزية^(١).

حساسية مخاطبة الملوك:

إن مخاطبة الملوك في أي شأن من الشؤون، حتى ما كان منها عادياً ومألوفاً، ليست على حد مخاطبة سائر الناس. بل هي مخوفة بالأخطار، لا بد من حساب كل مفرداتها وفقراتها بدقة بالغة، وبحساسية متناهية. وذلك بسبب الأخلاق الخاصة التي يكتسبها هؤلاء الملوك من

(١) راجع: مكاتيب الرسول ج ١ ص ١٨٩ و ١٩٠ وج ٢ ص ٤٢٢ ونصب الراية ج ٦ ص ٥٦٤ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج ٢ ص ٦٦٣.

الأجواء المحيطة بهم، والتي يغذيها شعورهم بالعظمة، وبالقوة، بجميع مكوناتها ومظاهرها، فيتبلى الملوك من خلال استمرار هذا الشعور بالبأ، وبالكبر، والاستعلاء، والزهو، وما إلى ذلك..

يضاف إلى ذلك: أن شعورهم بعدم مسؤوليتهم عما يقومون به من تصرفات، من شأنه أن يسهل عليهم البطش، وتظهر عليهم الرعونة إلى حد الإفراط في اتخاذ القرارات المتهورة ضد الأشخاص، والجماعات الصغيرة، فيستضعفونها، ويقهرونها بسلطانهم ويهيمنون عليها ببطشهم وجباريتهم. ويتعاضم هذا الخطر ويبلغ أقصى مداه حينما يواجه هؤلاء الملوك دعوة إلى أمر قد يرون أنه يستبطن تقليص نفوذهم، أو يحد من سلطانهم، ويقلل إلى حد ما من هيبتهم، أو يكسر من شوكتهم، أو يقيد إطلاق يدهم في الأمور وفي التصرفات السلطانية..

فإذا أحسوا بشيء من ذلك، أو راودتهم شكوك، أو حتى بعض الأوهام فيه، فإن حرصهم على نحو هذه الدعوة وكل من يقف وراءها من الوجود، سيكون بلا حدود، ولن تقيده قيود، أو تحول دونه موانع أو سدود.

وهذا يعطي: أن دعوة الأنبياء والمصلحين من أتباعهم للملوك والجبارين في منتهى الصعوبة، وغاية الدقة، وأقصى درجات الحساسية، وأن أي إخلال في ذلك يؤدي إلى حرمان هذا النوع من الناس الذين تتحكم فيهم تلك العاهات النفسية من الهداية، كما أن ذلك يحركهم إلى حرمان غيرهم منها، بما يثرونه من أجواء مشحونة بالتحدي لا يجروء معها كثير من الناس على المبادرة بخطوة في هذا الاتجاه؛ بسبب أخطار لا يملكون القدرة على دفعها عن أنفسهم، ولا يستطيعون التحرز منها، ولا يمكنهم تحملها.

رسائل النبي ' للملوك:

وإذا راجعنا نصوص الرسائل التي كتبها رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى ملوك الأرض، فإننا نجد لها في غاية الدقة في مراعاة حالات أولئك الملوك، فهي خالية عن أية إثارة لهم، ولا تعطيهم أية فرصة للتخلص أو التملص من مسؤولية النظر في صحة ما يدعوهم إليه، والتعاطي معه بمسؤولية، وتعقل.

وإذا ما ظهر من بعض أولئك الجبابرة أي تصرف غير متوازن، فإنما كان ذلك منه لاعتبارات اختلقها لنفسه، إنطلاقاً من عدوانيته، وانسجاماً مع جباريته، ومن دون أي مبرر وجده في طريقة تعاطي رسول الله «صلى الله عليه وآله» معه، أو في المضامين التي وجدها في خطابه «صلى الله عليه وآله»، الذي أرسله إليه..

ونحن من أجل وضوح ما نرمي إليه بصورة عملية، نلقي نظرة على بعض تلك الرسائل، مقتصرين على رسائله «صلى الله عليه وآله» لأربعة منهم وهم:

١ - ملك الفرس.

٢ - ملك الروم.

٣ - ملك مصر.

٤ - ملك الحبشة.

الفصل الثاني:

كتاب النبي ' إلى كسرى

رسالته ' إلى كسرى:

ويقولون: إن النبي «صلى الله عليه وآله» قد كتب إلى كسرى ما يلي:
«بسم الله الرحمن الرحيم.

من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس: سلام على من اتبع الهدى، وآمن بالله ورسوله، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله.

أدعوك بدعاية الله، فإني أنا رسول الله إلى الناس كافة، لأنذر من كان حياً، ويحق القول على الكافرين.
أسلم تسلم.
فإن أبيت فعليك إثم المجوس»^(١).

(١) لقد كفانا العلامة الشيخ علي الأحمدى «رحمه الله» مؤونة استقصاء المصادر لهذه الرسالة، حيث ذكر جملة وافرة منها في كتابه القيم: «مكاتيب الرسول» ج ٢ ص ٣١٦ فما بعدها، فنحن نورد نفس كلامه، وإن اختلفت المصادر التي اعتمد عليها في طبعتها، فقد أرجع «رحمه الله» إلى: السيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٧٧ والسيرة النبوية لزيني دحلان هامش الحلبية ج ٣ ص ٦٥ واليعقوبي ج ٢ ص ٦٦ وفي (ط أخرى) ص ٦١ والكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٢١٣ والطبري ج ٢ ص ٦٥٤ =

= وأعيان الشيعة ج ٢ ص ١٤٤ وفي (ط أخرى) ج ١ ص ٢٤٤ ودلائل النبوة
لأبي نعيم ص ٢٩٢ و ٢٩٣ وإعلام السائلين ص ٩ وجمهرة رسائل العرب ج ١
ص ٣٥ وإعجاز القرآن ص ١١٢ والمواهب اللدنية للقسطلاني شرح الزرقاني
ج ٣ ص ٣٤٠ و ٣٨٩ وتاريخ ابن خلدون ج ٢ ق ٢ ص ٣٧ ورسالات نبوية
لعبد المنعم خان ص ٢٥٠ (عن المواهب) وحياة الصحابة ج ١ ص ١١٥ ونشأة
الدولة الإسلامية ص ٣٠٦ (عن عدة مصادر) وفقه السيرة ص ٣٨٨ وزاد المعاد
لابن القيم ج ٣ ص ٦٠ وناسخ التواريخ في سيرة الرسول «صلى الله عليه وآله»،
وتأريخ الخميس ج ٢ ص ٣٤ ونصب الراية للزيلعي ج ٤ ص ٤٢٠ ومدينة
البلاغة ج ٢ ص ٢٤٤ والبحار ج ٢٠ ص ٣٨٩ عن المنتقى للكاظمي، والمنظم
ج ٣ ص ٢٨٢ ومجموعة الوثائق السياسية ص ١٣٩ عن بعض المصادر المتقدمة
وعن سعيد بن منصور ص ٤٢٨٠ ثم قال: قابل وانظر كائتاني ج ٦ ص ٥٤
واشبرنكر ج ٣ ص ٢٦٤ وعن الجرائد والمجلات العصرية وعن: مفيد العلوم
ومبيد الهموم للقزويني ج ٢٤ ص ١٧ والمواهب اللدنية والمنتقى لأبي نعيم: ورقة
٣٥/١ ب ونثر الدر المكنون للأهدل ص ٧٦٠ ومنشآت السلاطين ج ١ ص ٣١
ووسيلة المتعبدين لعمر الموصلي ٨/ ورقة ٢٧/ب والإمتاع للمقريزي، خطية
كوبرولو، وتاريخ غزيده لحمد الله المستوفي (سلسلة كتب لوندرا) ص ١٤٧
وتاريخ البلعمي (وهو ترجمة تأريخ الطبري إلى الفارسية مع حذف وزيادات)
(ط طهران) ص ١١٣٨ ونهاية الأرب في أخبار الفرس والعرب، والوفاء لابن
الجوزي ص ٧٣٢ وشرف المصطفى لأبي سعيد النيسابوري عن ابن إسحاق.
وقال رحمه الله أيضاً: أوعز إلى الكتاب في البداية والنهاية ج ٤ ص ٢٦٩ وج ٦ ص ٣٠٦
والبخاري ج ١ ص ٢٥ وج ٤ ص ٥٤ وج ٦ ص ١٠ وج ٩ ص ١١١ وفتح الباري
ج ١ ص ١٤٣ وج ٦ ص ٧٨ وج ٨ ص ٩٦ وج ١٣ ص ٢٠٥ وعمدة القاري
ج ٢ ص ٢٧ وج ١٤ ص ٢١٠ وج ١٨ ص ٥٧ و ٥٨ وج ٢٥ ص ٢٠ وصحيح =

ولنا مع هذا الكتاب وقفات، هي التالية:

إختلاف الكتب:

وقد أشار العلامة الأحمدي «رحمه الله» إلى أن هناك نصوصاً أخرى للكتاب الذي أرسله «صلى الله عليه وآله» إلى كسرى..
ففي أحدها وردت عبارة: «فأسلم تسلم، وإلا فأذن بحرب من الله

= مسلم ج ٣ ص ١٣٩٧ ومسنند أحمد ج ٣ ص ١٣٣ و ج ٤ ص ٧٥ و ج ١ ص ٢٤٣ و ٣٠٥ والترمذي ج ٥ ص ٦٨ والطبقات لابن سعد ج ١ ق ٢ ص ١٦ و ج ٤ ق ١ ص ١٣٩ و صبح الأعشى ج ٦ ص ٢٩٦ و ٣٥٨ و ٣٥٩ و ٣٧٨ و ج ١ ص ٩١ و كنز العمال ج ١ ص ٢٣٩ و ج ٤ ص ٢٧٤ و ج ١٠ ص ٤١٨ و مشكل الآثار للطحاوي ج ١ ص ٢١٥ و تهذيب تاريخ ابن عساکر ج ٧ ص ٣٥٥ و ٣٥٦ و ج ١ ص ١١٤ والأموال لأبي عبيد ص ٣٣ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٩ ص ١٧٧ و ١٧٩ والتنبيه والإشراف ص ٢٢٥ وأحكام القرآن للجصاص ج ٣ ص ٢٤١ والبحار ج ٤ ص ١٠٠ و ج ١٧ ص ٢٠٦ والجامع للقيرواني ص ٢٨٨ وسيرة ابن هشام ج ٤ ص ٢٥٤ وفقه السيرة ص ٣٨٤ والروض الأنف ج ٣ ص ٣٠٤ وثقات ابن حبان ج ٢ ص ٦ والإقبال لابن طاووس ص ٤٩٦ والإستيعاب هامش الإصابة ج ٢ ص ٢٨٣ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٤ ص ٣٨٨ ومجمع الزوائد ج ٨ ص ٢٣٧ ومروقة المفاتيح ج ٤ ص ٢٢١ ومشكاة المصابيح هامش المروقة ص ٢٢١ والأم للشافعي ج ٤ ص ١٧١ وحياة محمد لهيكل ص ٣٥٣ والأموال لابن زنجويه ج ١ ص ١٢١ وراجع: أسد الغابة ج ٣ ص ١٤٣ والمتنظم ج ٥ ص ٣٢.

ورسوله»^(١).

وورد في نص آخر: «من شهد شهادتنا، واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا،
فله ذمة الله وذمة رسوله»^(٢).

وفي نص ثالث: «إني أحمد إليك الله، الذي لا إله إلا هو. وهو الذي
آواني، وكنت يتيمًا. وأغناني، وكنت عائلًا. وهداني، وكنت ضالًا. ولم يدع
ما أرسلت به إلا من سلب معقوله، والبلاء غالب عليه. أما بعد يا كسرى،
فأسلم تسلم، أو ائذن بحرب من الله ورسوله، ولن تعجزها، والسلام»^(٣).
وفي نص رابع: «إني أحمد الله لا إله إلا هو الحي القيوم، الذي أرسلني
بالحق بشيرًا ونذيرًا إلى قوم غلبهم السفه، وسلب عقولهم، ومن يهد الله فلا
مضل له، ومن يضل فلا هادي له، ليس كمثله شيء، وهو السميع
البصير..»

أما بعد.. فأسلم تسلم، أو ائذن بحرب من الله ورسوله الخ..»^(٤).

(١) مكاتيب الرسول ج ٢ ص ٣١٩ عن المناقب لابن شهر آشوب ج ١ ص ٧٩
وراجع: البحار ج ٢٠ ص ٣٨١ وأحكام القرآن ج ١ ص ٦٨ والبداية والنهاية
ج ٦ ص ٣٣٨ وعن عيون الأثر ج ٢ ص ٣٢٧ وكنز العمال ج ٤ ص ٤٣٨ وتاريخ
بغداد ج ١ ص ١٤٢.

(٢) مكاتيب الرسول ج ٢ ص ٣١٩ عن تاريخ بغداد ج ١ ص ١٣٢ ورسالات نبوية
ص ٢٥١ وكنز العمال ج ٤ ص ٢٧٤.

(٣) مكاتيب الرسول ج ٢ ص ٣٢٠ و ٣٢١ عن مجموعة الوثائق السياسية ص ١١١
عن نهاية الإرب في أخبار الفرس والعرب.

(٤) مكاتيب الرسول ج ٢ ص ٣٢١ عن مجموعة الوثائق السياسية ص ١٤٠.

وفي نص خامس: أنه كتب إلى كسرى وقيصر والنجاشي رسالة اقتصر فيها على قوله: أما بعد.. ﴿تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾^(١).

وعن الزهري: «كانت كتب النبي «صلى الله عليه وآله» إليهم واحدة، وكلها فيها هذه الآية»^(٢).

وعن ابن عباس: «أن كتاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى الكفار: ﴿تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾»^(٣).

ولعل هذه الكتب قد أرسلت إلى عمال كسرى، أو إلى كسرى نفسه، بعد أن ظهر عنادهم للحق، وبغيهم على أهله، وقد اشتبه الأمر على المؤرخين في ذلك..

(١) الدر المنثور ج ٥ ص ١٠٧ وسنن سعيد بن منصور ج ٢ ص ١٨٩ والبحار ج ٢١ ص ٢٨٧ والمصنف لابن أبي شيبة ج ١٤ ص ٣٣٨ ومكاتيب الرسول ج ٢ ص ٣٢٠ عنهم وعن الأموال ص ٢٣ وفي (طبعة أخرى) ص ٣٤ وعن كنز العمال ج ٥ ص ٣٢٦ وفي (طبعة أخرى) ج ١٠ ص ٤١٧ وإقبال الأعمال ج ٢ ص ٣١١ والمباهلة ص ٢٩.

(٢) البداية والنهاية ج ٣ ص ٨٣ وفي (ط دار إحياء التراث) ص ١٠٤ ومكاتيب الرسول ج ٢ ص ٣٢٠ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ٤١.

(٣) الدر المنثور ج ٢ ص ٤٠ عن الطبراني، ومكاتيب الرسول ج ٢ ص ٣٢٠ و ٣٩٨ و ٤٩٠ وميزان الحكمة ج ٤ ص ٣٢١٤ والمعجم الأوسط ج ٥ ص ٣٢٣ وعن المعجم الكبير ج ١١ ص ٣١١ وفتح القدير ج ١ ص ٣٤٨.

إذ من غير المعقول: أن يبدأ النبي «صلى الله عليه وآله» دعوته لهم بالتهديد والوعيد، قبل إتمام الحجة، وظهور اللجاج والعناد والبغي منهم، ولا سيما للملوك يعيشون حالة الكبر والزهو، والعنفوان الظالم، والشعور بالعظمة والقوة.. فإن مواجعتهم بما يوجب نفورهم بمثابة الإسهام في حرمانهم من الهداية..

من أجل ذلك نرجح: أن يكون الكتاب الذي ذكرناه أولاً هو الذي أرسله النبي «صلى الله عليه وآله» أولاً، ثم أرسل رسائل أخرى ذكر فيها الجزية، وغير ذلك.

كما أننا لا نستبعد: أن يكون «صلى الله عليه وآله» قد ذكر في كتابه لكسرى الآية المباركة: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ..﴾ لأن للمجوس أحكام أهل الكتاب، وقد ورد: أنه قد كان لهم كتاب فضيعوه أو أحرقوه^(١).

ولعل عدم نقلها في كتاب كسرى، من أجل أن المؤرخين أسقطوها اختصاراً أو سهواً، أو لم ينقلها لهم الناقلون؛ لأنهم اعتقدوا خطأ: أنها لا تحمل مضموناً خاصاً، يراد إبلاغه للمرسل إليهم، سوى دعوتهم إلى توحيد الله، الذي ذكر في الرسالة نفسها أولاً..

(١) راجع: فقه القرآن ج ١ ص ٣٤٢ و ٣٤٤ وعن فتح الباري ج ٩ ص ٣٤٣ والكافي ج ٣ ص ٥٦٨ ومن لا يحضره الفقيه ج ٢ ص ٥٤ وتهذيب الأحكام ج ٤ ص ١١٣ وج ٦ ص ١٥٩ والوسائل ج ١١ ص ٩٦ و ٩٧ والفصول المهمة ج ٢ ص ٢١٢ والبحار ج ١٤ ص ٤٦٣ ومكاتيب الرسول ج ٢ ص ٤١٣ والتفسير الصافي ج ٢ ص ٣٣٤ وتفسير نور الثقلين ج ٢ ص ٢٠٢ وقصص الأنبياء للجزائري ص ٥١٤.

بسم الله الرحمن الرحيم:

- ١ - إن أول ما يواجهنا في ذلك الكتاب هو أنه «صلى الله عليه وآله» قد بدأه باسم الله، ولم يبدأه باسمه «صلى الله عليه وآله» هو؛ مما يعني: أنه يريد أن يفهم كسرى: أن هذا النبي خاضع لله، الذي لا يجد أحد حرجاً في الخضوع له. ولا تعتبر الدعوة للاعتراف به والخضوع له، والرجوع إليه تعالى إذلاً لآل أحد بقدر ما هي شرف، وعزة، وسؤدد وكرامة للبشر جميعاً..
- ٢ - يضاف إلى ذلك: أن هذا الاعتراف يمثل تحديد مرجعية لا غضاضة على البشر جميعاً بالرجوع إليها، والخضوع والالتزام بأوامرها ونواهيها، والسعي لنيل رضاها، وهي مرجعية ليست للبشر، بل هي لله الغني بذاته، الذي ليس له مصلحة مع أحد، بل البشر كلهم بالنسبة إليه بمنزلة واحدة، يعاملهم بالعدل، ويجري عليهم أحكامه.
- فالدعوة التي يعرضها على هذا الملك ليست دعوة لشخص، يريد أن يستأثر لنفسه بشيء من حطام الدنيا، بل هي دعوة لله سبحانه..
- ٣ - ثم إنه هو الله الرحيم بعباده، والقريب إليهم، وليست هذه الرحمة أمراً عارضاً له. بل هي من تجليات ذاته، وباهر صفاته..
- ٤ - والله تعالى هو المالك لكل شيء، والغني عن العباد، فهو إذن لا يحتاج إلى ملك كسرى، ولا إلى ملك سواه، ولذلك لم يطلب منه التخلي عنه، بل طلب منه فقط: أن يخضع لأوامره ونواهيها، وأن يكون في موضع رضاه، لا رضا أحد من بني البشر، وخضوعه لأوامر الله تعالى لا يزيد في ملكه، ولا يضيف إليه شيئاً من العظمة، أو القوة والمجد، وإنما هو أمر يعود نفعه عليه، وهو كرامة وشرف له..

فلا ينبغي إذن أن يخشى على ملكه، ولا أن يستكبر على ربه..

عظيم فارس:

إنه «صلى الله عليه وآله» قد صَدَّرَ كتبه إلى ملك الفرس، والروم، والحبشة، ومصر، والبحرين بكلمة عظيم فارس، وعظيم البحرين، وبكلمة صاحب كذا، كما في بعض النصوص..

وبذلك يكون:

أولاً: قد خاطبه بما يرضيه من أوصاف ولكنها واقعية، فليس له أن يجد في نفسه أية غضاضة، كما أنه ليس لديه ما يتذرع به لإظهار التغيظ، بحجة أنه قد أهانه أو غمطه حقه، حيث لم يكن الخطاب لائقاً، ولا مناسباً لمقامه، فيزيّن لنفسه الخلاف، ويجد من يعذره أو يتعاطف معه في أي موقف سلبي يتخذه تجاه من يدعو، وما يدعو إليه..

ثانياً: إنه بذلك يكون قد تحاشى الإقرار بالملكية لهؤلاء، خصوصاً بملاحظة كونه رسول الله، وخاتم النبيين، ولا يريد أن يسجل أمراً قد يتعلق به طلاب اللبانات، ويتخذونه ذريعة لادعاءات الأحقية بالاستناد إلى الاعتراف لهم بالسلطة والحاكمة في مجالات بعينها، ثم تتعقد الأمور ولا يجد الناس العاديون القدرة على المناقشة في هذا الأمر. وبذلك يتمكن «صلى الله عليه وآله» من إخضاع أولئك المدَّعين لمقتضيات أحكام الدين وشرائعه القاضية: بأنه لا ملك ولا سلطة للكافر، بل ذلك لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، ولمن ولَّاه، وأقر له به، وفقاً لقوله تعالى: ﴿...إِنَّ

الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١﴾.

وبذلك يتم تحصين الناس من سيئاتهم، وسوف لا يصغي الكثيرون منهم بعد هذه المزاعم إلى أولئك الطامعين، وسيفتح أمامهم المجال الواسع للنقاش القوي في دلالة كلمة «ملك فارس» أو نحوها على الاعتراف له بالملك، وسيقولون لهم: إنها لمجرد الإشارة لموقعه الفعلي الذي هو فيه، حتى لو كان قد حصل عليه بالبغي، والظلم، والابتزاز، وليس فيها دلالة على الرضا ببقائه في هذا الموقع أو عدمه.

وهذا نظير ما كتبه الإمام الحسن «عليه السلام» في وثيقة الهدنة مع معاوية من أنه سلمه «الأمر» حيث لم يقل: «سلمه الخلافة»، أو الإمامة، أو الملك، أو ما إلى ذلك..

سلام على من اتبع الهدى:

وها هو رسول الله «صلى الله عليه وآله» يبلغه عن الله تعالى: أن دعوته تقوم على السلام، لا على الحرب، وتسير وتستمر بالرضا دون السخط، وبالرفقة، لا بالجبروت. وكان «صلى الله عليه وآله» يكتب لغير المسلم «سلام على من اتبع الهدى» ويكتب للمسلم «سلام عليك» أو «سلم أنت».

وكلمة «سلام على من اتبع الهدى» إنشاء للالتزام بسلام مشروط باختيار طريق الهدى، ويتضمن تلويحاً بالحث والإغراء باختيار هذا الطريق واتّباعه.

(١) الآية ١٢٨ من سورة الأعراف.

كما أنه يشير إلى: أن ما يطلبه منه هو - فقط - اتباع الهدى، وما أرضاها من دعوة، وما أسره من طلب، إذ إن أحداً لا يستطيع أن يتنكر للهدى، ولا أن يعادي دعائه.

ثم هو «صلى الله عليه وآله» لا يتهم كسرى بالضلال، بل هو يدعو لاتباع الهدى، فإن الاتهام بالضلال مما يرفضه الناس عادة، ولكنهم لا يرفضون أن ينسب إليهم التقصير في اتباع الهدى.

فما أجمل السلام، وما أحب الهدى.. وما أروع الحياة في ظل ذاك، وفي حظ هذا.. ولأجل ذلك كانت أول كلمة يكتبها النبي «صلى الله عليه وآله» إلى كسرى هي: «سلام على من اتبع الهدى».

وهو سلام يغري بالرد عليه بمثله، ويفسح المجال لإظهار الرغبة في معرفة هذا الهدى، وفي اتباعه بعد التحقق منه.

وآمن بالله ورسوله:

ثم تأتي الكلمات التالية في الكتاب لتشير إلى: أن اتباع الهدى إنما هو من خلال الإيمان بالله عز وجل، ورسوله «صلى الله عليه وآله»، والشهادة لله بالوحدانية..

وهذا الإيمان بالله، والاعتراف به، هو الأساس، وهو المطلوب لرسوله «صلى الله عليه وآله»، وليس المطلوب له أي شيء آخر مما يطلبه ملوك الدنيا عادة من بعضهم البعض.

وأول درجات الإيمان هو الاعتراف بوجود الله سبحانه، ثم الإيمان، بمعنى: أن يلزم نفسه، باحتضانه في داخل كيانه، وفي عمق وجدانه، ليعيش

الإحساس بالأمن والسكينة معه..

ثم أن يقر: بأن الله رسلاً يربطون المخلوق بخالقه، ويبلغون الناس عنه، ويرشدونهم إليه، ويعرّفونهم على ما يرضيه وما يسخطه، ليختاروا هم أنفسهم أن يكونوا في مواقع رضاه سبحانه، ويختاروا اجتناب مواقع سخطه.

الشهادة لله بالوحدانية:

ويأتي بعد ذلك: الطلب إليه أن يشهد الله تعالى بالوحدانية، ونفي الشركاء له، فلا إله إلا الله، وحده لا شريك له. وشهادته بذلك تعني: الاعتراف بهذه الحقيقة، وتأكيدا من موقع المعرفة الفطرية، والوجدانية، والعقلية، التي تصل إلى حد الرؤية والمشاهدة الحقيقة لفاقدية، ولعجز، وضعف، ونقص كل ما عدا الله سبحانه، وأن كل واجدية وكمال، وقوة، فإنها هي بالله تعالى ومنه.

وهذا معناه: أنه لا إله إلا الله وحده.

وأنه لا شريك له، يعينه، ويضاعف قوته، ويجبر ضعفه.

وأن محمداً عبده ورسوله:

ثم هو يطلب منه، ومن الناس جميعاً: أن يشهدوا أن رسل الله تعالى باقون في موقع العبودية له، ولا تكسبهم رسوليتهم أي عنصر إلهي، ولا ترتفع بهم إلى درجة أن يكون لهم استقلال حقيقي عنه سبحانه في جميع تصرفاتهم..

فدرجات فضلهم، وما ينالونه من مقامات وكرامات عنده، إنما هي بتدرّجهم في مقامات العبودية له، والمعرفة به، والطاعة والخضوع لديه..

وباب العبودية هذا مفتوح أمام جميع المخلوقات، فمن دخله كان آمناً ونال من البركات والفيوضات، والكرامات والمقامات بمقدار إيغاله فيه، وتحققه به..

ولا بد أن يعرف البشر جميعاً هذا الأمر، معرفة حقيقية تخولهم إقامة الشهادة به.. ولا يكفي مجرد إخبارهم به في آية قرآنية، أو في خبر نبوي.. وهذا ما يفسر لنا: إدراج هذا الأمر في سياق الشهادة التي طلبها «صلى الله عليه وآله» من كسرى حيث قال: «وأن محمداً عبده ورسوله..»

أدعوك بدعاية الله:

وحين أراد «صلى الله عليه وآله» الشروع في إبلاغ دعوته لكسرى، قال له: «أدعوك بدعاية الله».

فكسرى إذن، لا يواجه تحدياً من إنسان مثله، قد تأخذه العزة في مواجهته، أو يأنف من التواضع له، بل هو يواجه طلباً من إله الوجود كله، وهو قوة لا بد أن يعترف لها بالقدرة والإحاطة والمالكية والهيمنة. ولا بد من الاستجابة لهذا الطلب؛ لأن الاستجابة له لا تضر بمصالحه، ولا تنقص من هيئته، ولا تحد من نفوذه، ولا تختزل من ثرواته، ولا تقتطع شيئاً من ملكه، بل هي تزيد شوكه وعزة، ونفوذاً، وسعة في الرزق، وما إلى ذلك..

إنها دعوة الله له للنجاح والفلاح، والسداد والرشاد، والاستقامة على جادة الهدى الإلهي، وليست دعوة للذل والعبودية للأشخاص، وإنما ليكون عبداً لله وحده..

فإني أنا رسول الله:

ويلاحظ هنا: أنه «صلى الله عليه وآله» قد أضاف كلمة «أنا» في قوله: «فإني أنا رسول الله..» وقد كان يمكن الاستغناء عنها بأن يقول: «فإني رسول الله..».

فلعل السبب في إضافتها: أنه يريد أن يذكرهم: بأنه هو النبي الموعود والمتنظر والمعلوم لديهم، من خلال بشارات الرسالات السماوية كلها بظهوره. فهو بهذا التذكير لم يعد بحاجة إلى إقناع الناس بضرورة إرسال رسول، أو قد أصبحت إمكانية إرسال رسل، وبعث أنبياء أمراً مفروضاً عنه، إلى حد أصبح توقع إرسالهم، وبعثتهم أمراً قائماً، ومحسوماً، وتنحصر مهمة الإقناع بتحديد شخص المرسل، بأن هذا الشخص هو الذي بعثه الله تعالى، وهو النبي الموعود فعلاً..

إلى الناس كافة:

ثم إنه «صلى الله عليه وآله» بيّن له أنه ليس مبعوثاً للعرب وحدهم، ولا لأي أمة أخرى بعينها دون ما عداها، كما كان الحال بالنسبة لموسى وعيسى «عليهما السلام»، وسواهما ممن بعثهم الله لخصوص بني إسرائيل، بل هو مبعوث للناس جميعاً، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(١). وقال: ﴿نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ﴾^(٢). وقال: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ

(١) الآية ١٠٧ من سورة الأنبياء.

(٢) الآية ٣٦ من سورة المدثر.

.....
الله إِلَيْكُمْ جَمِيعاً...﴿١﴾.

لأنذر من كان حياً:

ثم إنه «صلى الله عليه وآله» يخبر من يكتب إليه: أنه لا يطلب منه شيئاً لنفسه، وإنما هو مجرد نذير له، يريد بإنذاره هذا: أن يحفظ له عزته وكرامته، وأن يجنبه مزالق الخطر، وأن يؤمن له السعادة والسكينة، والأمن من كل ما يحذره، ويخافه، مما هو غائب عنه، وهي غيبة تظهر عجزه وفشله، والله هو الذي يحميه، ويحفظه منه، ويحصيه له، ويدفعه عنه، من موقع الهيمنة والقدرة، والعزة..
وقد أعلمه أيضاً: أن هذا الإنذار الهادف إلى حفظ حياة الكرامة والسعادة للمنذرين لا يختص بفرد دون فرد، ولا بفريق دون فريق، بل هو شامل للناس جميعاً، ويهدف إلى تكوين مجتمع بشري يعيش معنى السعادة بعمق، ويشعر بالأمن بجميع فئاته، وشرائحه، أفراداً وجماعات..
وذلك انطلاقاً من حقيقة: أن البشر كلهم يحتاجون إلى الأمن، وإلى السلام والسلامة، ويستوي في ذلك العربي والأعجمي، والأبيض والأسود والملك، وحفار القبور.

ويحق القول على الكافرين:

وعلى هذا الأساس، فإنه إذا اختار أحد طريق الجحود، ولم يستجب لنداء الله سبحانه، فإنه تعالى هو الذي يجري عليه سننه، ويتولى عقوبته، وتكون خصومته معه تبارك وتعالى، لا مع غيره.. فإن كان لأحد من الناس

(١) الآية ١٥٨ من سورة الأعراف.

موقف منه، فإنها هو الموقف الذي أراده الله تعالى منهم.
وفي التعبير بكلمة: «يحق القول» إشارة إلى حتمية حلول العقوبة
بالكافر، من حيث إنها قرار إلهي، والقرار الإلهي نافذ لا محالة..

أسلم تسلم:

ويأتي قوله «صلى الله عليه وآله»: «أسلم تسلم» بمثابة نتيجة طبيعية
لكل تلك المقدمات التي قررت: أن المقصود هو: حفظ الإنسان كله.
أو فقل: حفظ كل من كان حياً، من المهالك والرزايا، والمصائب
والبلايا، وأن الذي يختار طريق الكفر، فلا نجاة ولا سلامة له إلا باتباع
الهدى، والإسلام والاستسلام لله سبحانه وتعالى، وامتنال ما أمر به،
 واجتناب ما نهى عنه..

فليست هذه الكلمة تهديداً لكسرى بالحرب، ولا هي إكراه له على
الإسلام، حتى إذا خالف كانت عقوبته السيف..
ومما يشير إلى ذلك أيضاً قوله:

فإن أبيت فعليك إثم المجوس:

حيث دلت هذه الكلمة: على أن الكلام إنما هو عن السلامة في الآخرة،
والنجاة من مهالكها، إذ لو كان قوله: «أسلم تسلم» تهديداً لكسرى بالقتل،
لو لم يسلم، فالمناسب هو أن يقول له: فإن أبيت، فالسيف بيننا وبينك..
ولكنه لم يقل ذلك، بل أثبت عليه إثم الإنسان الذي يضل، ويتسبب
بالضلال لغيره أيضاً، وهذا الإثم إنما تظهر آثاره في الآخرة فقط، أما عقوبة
الدنيا، فهي حتى لو كانت هي القتل، فإنها تبقى أقل من الجريمة التي

ارتكبت، غير أن هذه العقوبة لا تعيد الناس إلى الهدى، ولا تدفع مفسدة
إضلالهم، خصوصاً إذا كان هذا الإضلال سينال أمة عظيمة كتلك التي
يحكمها كسرى..

ولا تزر وازرة وزر أخرى:

ومن جهة ثانية نقول:

صحيح أن الإيمان والكفر يقعان تحت اختيار الإنسان، وصحيح أنه:
﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ..﴾ وأنه: ﴿لَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾.

ولكن من الصحيح أيضاً: أن هناك من يسهم في إضلال الناس، وفي
تعمية الأمور عليهم، ويعمل على إيقاعهم في الشكوك والشبهات، أو هو
على الأقل يسد منافذ الهداية، ويحرمهم من فرص التعرف على الحق، ومن
الوصول إليه.. وهذا من أعظم الآثام، ومن موجبات عقوبة الإله الملك
العلام بلا ريب..

فإذا كان كسرى أو قيصر قد أوجب حجب نور الهداية عن المجوس،
أو عن الأكّارين، أو عن الأريسيين، واستضعفهم، ومنعهم من السعي
للوصول إليه، والحصول عليه، أو منع الناس المخلصين من إيصال الحق
إليهم، ومن إثارة دفائن عقولهم، بالبراهين الساطعة، والأدلة القاطعة، فإنه
سيكون هو المتحمل لإثم ما هم فيه من كفر وضلال، وفساد وانحلال.
وقد قال تعالى: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَنْتَ لَا مَعَّ أَنْتَ لَهُمْ..﴾^(١).

(١) الآية ١٣ من سورة العنكبوت.

وقال تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ...﴾^(١).

إثم المجوس أو إثم الأكارين:

وقد ورد في بعض نصوص الكتاب: بدل قوله: «فعليك إثم المجوس» قوله: «فعليك إثم الأكارين»^(٢) أو نحو ذلك. وفي نقل ابن خلدون: «فإن أبيت فإثم الأريسيين عليك»^(٣). وهي

(١) الآية ٢٥ من سورة النحل.

(٢) أحكام القرآن للجصاص ج ٣ ص ٢٤١ وراجع: البحار ج ٢٠ ص ٣٨٨ ومكاتب الرسول ج ٢ ص ٣٢٥ وشرح مسلم ج ١٢ ص ١٠٩ وعن فتح الباري ج ١ ص ٣٦ وعن المعجم الكبير ج ٨ ص ١٩ وتاريخ مدينة دمشق ج ٢ ص ٩٣ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٢ ق ٢ ص ٣٦ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٤٩٨ وسبل الهدى والرشاد ج ١١ ص ٣٤٥.

(٣) العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٢ ق ٢ ص ٣٧ وتاريخ مدينة دمشق ج ٢ ص ٩٣ وج ٢٣ ص ٤٢٤ و ٤٢٧ وسبل الهدى والرشاد ج ١١ ص ٣٥٣ والبحار ج ٢٠ ص ٣٨٧ و ٣٩٥ ومكاتب الرسول ج ٢ ص ٣٢٥ و ٣٩٠ وميزان الحكمة ج ٤ ص ٣٢١٣ ومسند أحمد ج ١ ص ٢٦٣ وعن صحيح البخاري ج ٣ ص ٢٣٤ وج ٤ ص ٤ وج ٥ ص ١٦٩ وصحيح مسلم ج ٥ ص ١٦٥ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٩ ص ١٧٨ وشرح مسلم ج ١٢ ص ١٠٧ و ١٠٩ وعن فتح الباري (المقدمة) ص ٧٦ وعن ج ٣ ص ١٢١ وج ٨ ص ١٦٦ و ١٦٧ والديباج على مسلم ج ٤ ص ٣٨٠ والمصنف للصنعاني ج ٥ ص ٣٤٦ والأدب المفرد ص ٢٣٧ والآحاد والمثاني ج ١ ص ٣٦٧ والسنن الكبرى للنسائي ج ٦ ص ٣١١ ومسند =

الكلمة التي وردت في رسالته «صلى الله عليه وآله» لقيصر..

والأكَّارون هم الزراع، وهم أسرع انقياداً إلى ملوكهم من غيرهم، لأن الغالب عليهم الجهل والتقليد، كما أن الغالب على حكومتهم الظلم لهم^(١)، وشدة الوطأة عليهم.

وذكر العلامة الأحمدي «رحمه الله»: أن الأريس والإرسييس كجلس وسكيت: هو الأكَّار، كما عن ابن الأعرابي.

= الشاميين ج ٤ ص ٢١٩ وصحيح ابن حبان ج ١٤ ص ٤٩٥ والأحاديث الطوال ص ٦٣ وعن المعجم الكبير ج ٨ ص ١٦ و ١٨ و ٢٢ وكنز العمال ج ٤ ص ٣٨٤ والجامع لأحكام القرآن ج ٤ ص ١٠٦ وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ١ ص ٣٧٩ والدر المنثور ج ٢ ص ٤٠ وفتح القدير ج ١ ص ٣٤٨ وتاريخ يعقوبي ج ٢ ص ٧٧ والبداية والنهاية ج ٤ ص ٣٠٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٥٠١ والنهاية في غريب الحديث ج ١ ص ٤١.

(١) راجع: مكاتيب الرسول ج ٢ ص ٣٢٥ والبحار ج ٢٠ ص ٣٨٢ و ٣٨٩ وج ٢٢ ص ٢٥٠ ومسند أحمد ج ١ ص ٢٤٣ ومجمع الزوائد ج ٥ ص ٣٠٦ وتحفة الأحوذى ج ٧ ص ٤١٤ والسنن الكبرى للنسائي ج ٣ ص ٤٣٦ والأحاديث الطوال ص ٦٠ وعن المعجم الكبير ج ٢٠ ص ٩ والطبقات الكبرى ج ١ ص ٢٥٩ وتاريخ خليفة بن خياط ص ٤٧ و ٦٢ وتاريخ بغداد ج ١ ص ١٤٢ وتاريخ مدينة دمشق ج ٢٧ ص ٣٥٧ وعن الإصابة ج ١ ص ٤٦٣ وكتاب المحبر ص ٧٧ وفتوح البلدان ج ٢ ص ٣٥٨ وتاريخ يعقوبي ج ٢ ص ٧٧ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج ٢ ص ٦٥٢ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج ٤ ص ١٠٢٥ وعن عيون الأثر ج ٢ ص ٣٢١ و ٣٢٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٣٤٣ و ٥٠٨ وسبل الهدى والرشاد ج ١ ص ٥٦ وج ١١ ص ٣٣٨ و ٣٦١.

وعن أبي عبيد: أنهم الخدم والخول.
وقال الأزهري: وهي لغة شامية، وهم فلاحو السواد، الذين لا كتاب لهم.

وقيل: هم قوم من المجوس، لا يعبدون النار، ويزعمون أنهم على دين إبراهيم.

والمراد: أن عليه إثمهم، لأنهم بقوا على ضلالهم بسببه.
وسياقي كلام آخر عن المراد من الأريسيين في كتابه «صلى الله عليه وآله» إلى قيصر ملك الروم، إن شاء الله تعالى.

من هو حامل الرسالة؟!

وقد ذكروا: أن حامل الكتاب إلى كسرى هو عبد الله بن حذافة السهمي^(١).
وقيل: هو خنيس بن حذافة^(٢).

(١) راجع: كنز العمال ج ١٠ ص ٤١٨ وعمدة القاري ج ١٨ ص ٥٨ والبداية والنهاية ج ٤ ص ٢٦٩ (وط دار إحياء التراث) ص ٣٠٦ عن ابن جرير والكمال ج ٢ ص ٢١٣ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٨٨ ونصب الراية ج ٦ ص ٥٦٢ ومسند أحمد ج ١ ص ٢٤٣ والطبقات الكبرى ج ٤ ص ١٨٩ وتاريخ مدينة دمشق ج ٢٧ ص ٣٤٩ وتهذيب الكمال ج ١ ص ١٩٧ وسير أعلام النبلاء ج ٢ ص ١٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٥٠٨ وسبل الهدى والرشاد ج ١١ ص ٣٦٢ والروض الأنف ج ٣ ص ٦٨ والتنبيه والإشراف ص ٢٢٥ وعن فتح الباري ج ٨ ص ٩٦.

(٢) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٨٣ وعن فتح الباري ج ٨ ص ٩٦ عن ابن شبة، والآحاد والمثاني ج ١ ص ٤٤٦ وتاريخ مدينة دمشق ج ٣ ص ١٧٣ وتاريخ الأمم والملوك ج ٣ ص ٣٣٤.

وقيل: شجاع بن وهب^(١).

وقيل: عمر بن الخطاب^(٢).

وهذا القول الأخير بعيد جداً عن الصواب، إذ لو صح أن عمر كان هو الرسول إلى كسرى، لرأيت الكتب مملوءة بالتفاصيل والدقائق، واللطائف، ولربما تجد فيها من البطولات، والعجائب، والمعجزات والغرائب ما يملأ عشرات الصفحات، ولألفيت ذلك حديث المجالس والندوات، في الغدوات والعشيات!!

ولكن الله سلّم!!

حديث تسليم الكتاب:

وقد ذكروا: أن كسرى أذن لحامل الكتاب بالدخول عليه، فلما دخل: أمر بقبض الكتاب منه، فقال: لا، حتى أدفعه إليك كما أمرني رسول الله «صلى الله عليه وآله». فدنا منه، وسلمه الكتاب.

فدعا كسرى من يقرؤه فلما قرأ: من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس، غضب كسرى حيث بدأ رسول الله «صلى الله عليه وآله» بنفسه، وصاح، وأخذ الكتاب، فمزقه قبل أن يعلم ما فيه، وقال: يكتب إليّ بهذا وهو عبدي؟!!

(١) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٨٣ ودلائل النبوة ج ٤ ص ٣٨٨ والبداية والنهاية ج ٤

ص ٢٦٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٥٠٧.

(٢) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٨٣ وعن فتح الباري ج ٨ ص ٩٦ ومكاتيب الرسول ج ٢

ص ٣٢٧ والبداية والنهاية ج ٧ ص ١٧٥.

وأمر بإخراج حامل الكتاب، فأخرج. فقعد على راحلته وسار..
فلما ذهب عن كسرى سورة غضبه، بعث في طلب حامل الكتاب،
فطلب، فلم يوجد.
ووصل إلى النبي «صلى الله عليه وآله»، وأخبره بما جرى، فقال «صلى
الله عليه وآله»: مزق كسرى ملكه.
وقيل: دعا عليهم أن يمزقوا كل ممزق، وقال: اللهم مزق ملكه^(١).
وفي نص آخر: أن كسرى دعا بالجلمين (أي المقرض) فقطعه، ثم دعا
بالنار فأحرقه، ثم ندم وقال: لا بد أن أهدي له هدية.
قال: فكلمه عبد الله بن حذافة كلاماً شديداً^(٢).
ولا ينافي ذلك ما قاله اليعقوبي، من أن كسرى كتب إلى رسول الله
«صلى الله عليه وآله» كتاباً جعله بين سرقتي حرير، وجعل فيهما مسكاً..
فلما دفعه الرسول إلى النبي «صلى الله عليه وآله» فتحه، فأخذ قبضة من
المسك فشمه، وناوله أصحابه.
وقال: لا حاجة لنا في هذا الحرير، وليس من لباسنا، وقال:
لتدخلن أمري، أو لآتينك بنفسي، ومن معي، وأمر الله أسرع من
ذلك. فأما كتابك فأنا أعلم به منك، فيه كذا وكذا.
ولم يفتحه، ولم يقرأه، ورجع الرسول إلى كسرى، وأخبره الخبر^(٣).

(١) راجع المصادر المتقدمة.

(٢) تاريخ بغداد ج ١ ص ١٣٢ ومكاتيب الرسول ج ٢ ص ٣٢٩.

(٣) تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٧٧ وراجع: مسند أحمد ج ١ ص ٩٦ و ١٤٥ والطبقات
الكبرى ج ١ ص ٣٨٩ والبحار ج ٢٠ ص ٣٨٩ (هامش) وتاريخ بغداد ج ١ =

وإنما قلنا: إن هذا لا ينافي ذاك؛ لأن من الجائز: أن كسرى قد مزق الكتاب أولاً، ثم عاد فتدارك الأمر بإرسال الهدية لرسول الله «صلى الله عليه وآله» ثانياً.. ولكنه شفعها بالتهديد والوعيد. وربما أرسل إليه مع تلك الهدية تراباً أيضاً. فقد قال ابن شهر آشوب: إن كسرى مزق الكتاب، وبعث إليه بتراب، فقال «صلى الله عليه وآله»: مزق الله ملكه كما مزق كتابي. أما إنكم ستمزقون ملكه. وبعث إليّ بتراب: أما إنكم ستملكون أرضه. فكان كما قال^(١).

عدوانية كسرى تجاه رسول الله :

ويؤيد ما قلناه آنفاً أيضاً: ما يذكرونه من: أن كسرى كتب إلى (باذان) عامله باليمن: أن يسير إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» ويستتيبه، فإن تاب، وإلا فليبعث إليه برأسه. وفي نص آخر: أمره أن يبعث إلى الحجاز رجلين ليأتيانه برسول الله «صلى الله عليه وآله».. فأرسل (باذان) قهرمانه ورجلاً آخر إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» بكتاب كسرى، وكتب إليه يأمره بالمسير معهما إلى كسرى. فدخل على رسول الله «صلى الله عليه وآله» بزي الفرس، وقد حلقا

= ص ١٣٢ ومكاتيب الرسول ج ٢ ص ٣٢٨.

(١) المناقب ج ١ ص ٥٥ وفي (ط أخرى) ص ٧٠ ومكاتيب الرسول ج ٢ ص ٣٢٩ والبحار ج ٢٠ ص ٣٨١ وسبل الهدى والرشاد ج ١١ ص ٣٦٢.

لحاهما، وأعفيا شواربهما. فكره النظر إليهما، وقال: ويلكما من أمركما بهذا؟
قالا: أمر ربنا (يعنيان كسرى).

فقال «صلى الله عليه وآله»: لكن أمر ربي بإعفاء لحيتي، وقص شاربي،
فأبلغاه بما جاء به، فأجلهما إلى الغد.

وأتى رسول الله «صلى الله عليه وآله» الخبر من السماء، بأن الله قد سلط
على كسرى ابنه فقتله في شهر كذا، لكذا وكذا، في ليلة كذا.

فلما أتاها الرسولان قال لهما: إن ربي قد قتل ربكما ليلة كذا وكذا، من
شهر كذا وكذا، بعدما مضى من الليل سبع ساعات، سلط عليه شيرويه
فقتله^(١).

وفي نص آخر: أنه «صلى الله عليه وآله» تركهم خمس عشرة ليلة لا
يكلّمهم ولا ينظر إليهم إلا إعراضاً.. ثم أمرهما أن يقولوا لبازان: إن ديني
وسلطاني سيبلغ إلى منتهى الخف والحافر. وقال: قولاً له: إنك إن أسلمت

(١) وهي ليلة الثلاثاء، لعشر ليال مضين من جمادى الأولى سنة سبع.

راجع: الطبقات الكبرى ج ١ ق ٢ ص ١٦ والبداية والنهاية ج ٤ ص ٢٧٠ وتاريخ
الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٩٧ وعمدة القاري ج ٢ ص ٢٨ وج ١٨ ص ٥٨ وعن
فتح الباري ج ٨ ص ٩٦ والبحار ج ٢٠ ص ٢٩١ و ٣٧٧ و ٣٩٠ ودلائل النبوة
لأبي نعيم ص ٢٩٥ والإصابة ج ١ ص ٦٣٢ ومكاتب الرسول ج ٢ ص ٢٣٠
عنهم، والخرايج والجرايح ج ١ ص ٦٤ ودرر الأخبار ص ١٧٤ وتاريخ مدينة
دمشق ج ٢٧ ص ٣٥٧ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٢ ق ٢ ص ٣٨ والسيرة
النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٥٠٩.

أعطيتك ما تحت يديك، وملكتك على قومك^(١).

فخرج الرسولان، وقدا على باذان، وأخبراه بما جرى، فقال: والله، ما هذا كلام ملك، وإني لأراه نبياً، ولننظرن..

إلى أن قال: فلم يلبث باذان أن قدم عليه كتاب شيرويه، يخبره بقتل كسرى، ويقول له: «وانظر الرجل الذي كان كسرى يكتب إليك فيه، فلا تزعجه، حتى يأتيك أمري فيه»^(٢).

فأسلم باذان، وأسلم من معه باليمن من أبناء فارس، وبعث إلى النبي «صلى الله عليه وآله» بإسلامه، وإسلامهم^(٣).

(١) مكاتيب الرسول ج ٢ ص ٢٣٠ و ٢٣١ عن البداية والنهاية ج ٤ ص ٢٧٠ وعن السيرة النبوية لدحلان، وعن السيرة الحلبية، وعن الكامل في التاريخ ج ٢ ص ٢٠٤ وعن دلائل النبوة لأبي نعيم ص ٢٩٥ والبحار ج ٢٠ ص ٣٩١ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٧٩ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٢ ق ٢ ص ٣٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٥١٠.

(٢) أرجع العلامة الأحمدي في مكاتيب الرسول ج ٢ ص ٣٣١ إلى: السيرة الحلبية، والسيرة النبوية لدحلان والبداية والنهاية ج ٤ ص ٣٠٧ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٩٧ والبحار ج ٢٠ ص ٣٩١ ورسالات نبوية والإصابة ج ١ ص ١٦٩ و ١٧٠ في ترجمة بابويه وتأريخ الخميس ج ٢ ص ٣٧ ودلائل النبوة لأبي نعيم ص ٢٩٥ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٢ ق ٢ ص ٣٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٥١٠.

(٣) مكاتيب الرسول ج ٢ ص ٣٣١ عن المصادر التالية: السيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٧٧ وما بعدها والسيرة النبوية لدحلان (بهامش الحلبية) ج ٣ ص ٦٥ وسيرة ابن هشام ج ١ ص ٤٥ والبداية والنهاية ج ٤ ص ٢٦٨ و ج ٦ ص ٣٠٦ والكامل =

قريش في مهب الريح:

وحين سمعت قريش بما كان من كسرى، وبارساله إلى باذان بأوامره فيما يتعلق بالنبي «صلى الله عليه وآله»، فرحوا واستبشروا، وقالوا: قد نصب له كسرى ملك الملوك. كُفِيتِ الرجل. ولكنهم حين سمعوا برجوع الرسولين، وقتل كسرى، وإسلام باذان، ومن معه من أبناء فارس باليمن، صار رجاءهم خيبة، وسرورهم همماً وغمماً^(١).

باذان ملك اليمن:

فلما بلغ النبي «صلى الله عليه وآله» إسلام باذان، ومن معه، بعث إليه نبياة اليمن كلها، وخاطبه في رسالته بملك اليمن، فراجع^(٢).

= ج ٢ ص ٢١٤ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٦٥٤ وعمدة القاري ج ٢ ص ٢٨ وج ١٨ ص ٥٨ وج ٢٥ ص ٢٠ وفتح الباري ج ٨ ص ٩٦ وحياة الصحابة ج ١ ص ١١٥ - ١١٧ ومجمع الزوائد ج ٨ ص ٢٨٨ والطبقات ج ١ ق ٢ ص ١٦ وابن أبي شيبة ج ٤ ص ٣٣٧ و ٣٣٨ ورسالات نبوية ص ٩٤ والمعرفة والتاريخ ج ٣ ص ٢٦٢ وتهذيب تاريخ ابن عساكر ج ٧ ص ٣٥٥ و ٣٥٦ والإصابة ج ١ ص ١٦٩ وراجع ص ١٧٠ في ترجمة بابويه وفي ترجمة باذان أيضاً والبحار ج ٢ ص ٣٨٠ و ٣٨٢ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٤ ص ٣٨٧ وتأريخ الخميس ج ٢ ص ٣٤ و ٣٥ ودلائل النبوة لأبي نعيم ص ٢٩٢ - ٢٩٥ والمتنظم ج ٣ ص ٢٨٣.

(١) راجع المصادر المتقدمة.

(٢) مجموعة الوثائق السياسية لمحمد حميد الله ص ١٧٨ و ١٦٠ عن تاريخ بيهق لابن فندق ص ١٤١ ومكاتيب الرسول ج ٢ ص ٣٣٣ والبداية والنهاية ج ٦ ص ٣٣٨.

ولم يعزله عنها حتى مات، أو قتله الأسود العنسي.

ففرق رسول الله «صلى الله عليه وآله» ولايات اليمن بعد موت باذان على ما يقرب من عشرة رجال هم: شهر بن باذان، وعامر بن شهر الهمداني، وأبو موسى الأشعري، وخالد بن سعيد، ويعلى بن أمية، وعمرو بن حزم، وزباد بن لييد، والطاهر بن أبي هالة، وعكاشة بن ثور المهاجر، أو عبد الله^(١).

باذان وعقله:

وقد ظهر من كل ذلك الذي ذكرناه: أن باذان كان رجلاً حكيماً عاقلاً، ومنصفاً، وأنه لم يتخذ موقفه من رسول الله «صلى الله عليه وآله» بدافع الهوى والعصبية، أو الغرور والعنجهية الطاغية، أو من خلال حسابات مصلحة، ومطامع دنيوية، بل كان الرجل المتأني، الذي لا يستكبر عن قبول

(١) مكاتيب الرسول ج ٢ ص ٣٣٣ عن المصادر التالية: البداية والنهاية ج ٦ ص ٣٠٧ والبحار ج ٢١ ص ٤٠٧ وتاريخ ابن خلدون ج ٢ ص ٥٩ والتراتب الإدارية ج ١ ص ٢٤١ والإصابة ج ١ ص ١٧٠ و ٧٥٩ وج ٢ ص ٢٢٢ في ترجمة طاهر بن أبي هالة والطبري ج ٢ ص ٦٥٥ و ٦٥٦ وج ٣ ص ١٥٨ و ٢٢٧ - ٢٢٩ والكامل ج ٢ ص ٢١٤ و ٣٠٤ و ٣٣٦ وعمدة القاري ج ٢ ص ٢٩ وج ١٨ ص ٥٨ وج ٢٥ ص ٢٠ والوثائق ص ١٧٨ وحياة الصحابة ج ١ ص ١١٤ والبحار ج ٢١ ص ٤٠٧ والطبقات ج ١ ق ٢ ص ١٦ ورسالات نبوية ص ٩٤ و ٩٥ والمعرفة والتأريخ ج ٣ ص ٢٦٢ - ٢٦٦ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٣٥ - ٣٧ وأسد الغابة ج ١ ص ١٦٣.

الحق، حين ظهور دلائله.

كفاية باذان:

كما أن تولية النبي «صلى الله عليه وآله» له على اليمن كلها ما دام حياً، يدل على ثقته «صلى الله عليه وآله» بكفايته وبتدبيره، حتى لقد احتاج «صلى الله عليه وآله» إلى حوالي عشرة رجال ليقوموا بمقامه بعد وفاته أو استشهاده على يد الأسود العنسي.

فرحم الله باذان، وهنيئاً له ثقة رسول الله «صلى الله عليه وآله» به، وأناله في الآخرة شفاعته إنه ولي قدير.

باذان لم يسلم طمعاً:

ولا ينبغي أن يفهم من طريقة تعامل النبي «صلى الله عليه وآله» مع باذان: أنه «صلى الله عليه وآله» قد أعطاه رشوة على إسلامه، وذلك لأن باذان قد أسلم إستناداً إلى ظهور معجزة وكرامة الرسول «صلى الله عليه وآله»؛ لاقتناعه بصدق رسول الله «صلى الله عليه وآله» فيما يقول، حيث ظهر له صحة ما أخبر به من قتل كسرى على يدي ابنه، وذلك قبل حدوث هذا القتل، بالإضافة إلى شواهد ودلائل أخرى وجدها في رسائله، وفي ما يدعو إليه، وفي سلوكه مع المبعوثين اللذين أرسلهما إليه، وربما من أمور أخرى عرفها عنه أيضاً..

ويدل على أنه «صلى الله عليه وآله» قد أخبره بالقتل قبل وقوعه: رسالته له التي يقول فيها: «إن الله وعدني أن يقتل كسرى في يوم كذا وكذا، فانتظر ذلك».

وقد يقال: إن هذا ينافي ما تقدم، من قوله «صلى الله عليه وآله» لرسول
بازان، وهم عنده في المدينة: «إن ربي قد قتل ربكما ليلة كذا وكذا، من شهر
كذا وكذا، بعدما مضى من الليل سبع ساعات، سلط عليه شيرويه فقتله». وأن ذلك قد حصل ليلة الثلاثاء لعشر مضيّن من شهر جمادى الأولى
سنة سبع.

ويمكن أن يجاب: بأن رسالته لبازان صريحة في: أنه «صلى الله عليه
وآله» قد أخبرهم: بأن ذلك سوف يحصل لكسرى، وأن الذي يتولى ذلك
منه هو ابنه.. فهي أولى بالاعتبار؛ لأن شاهد صدقها هو: إسلام بازان،
إستناداً إلى ظهور صدق ما أخبره به فيها.
فلعل في الكلمات المنقولة عنه «صلى الله عليه وآله» مع رسولي بازان،
بعض التصرف الذي أوجب خللاً فيها..
أو يقال: لعله أرسل الرسالة إلى بازان قبل عودة رسوليّه إليه، وقبل أن
يخبرهما بالأمر.

بل قد يحاول البعض أن يقول: إن التعبير بصيغة الماضي في قوله: «قتل
ربكما» وقوله: «سلط عليه شيرويه» ما هو إلا إخبار عن المستقبل بصيغة
الماضي، للدلالة على أن هذا الأمر المستقبلي قد قضي وحتم حتى ليصح
الإخبار عن حصوله فعلاً، فهو نظير قول الواهب: أعطيتك ألف درهم، في
إشارة منه إلى أن ذلك حتمي إلى حد يمكن أن يقال عنه: إنه قد حصل
ومضى وانتهى..

تفاؤل رسول الله :

وقد ذكرت النصوص المتقدمة: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد تكلم بما يفيد: أنه تفاعل بتمزيق ملك كسرى؛ لأن كسرى مزق كتابه، وبأنه يملك بلاده؛ لأن كسرى أرسل إليه من تراثها.

ونحن وإن كنا قد قدمنا في جزء سابق بعض الحديث عن موضوع التفاؤل، الأمر الذي أغنانا عن إعادة ذلك هنا. غير أننا نشير: إلى أنه لا دليل على أن قوله «صلى الله عليه وآله» هذا قد جاء على سبيل التفاؤل، بل هو إخبار غيبي لا بد أن يعتبر من أعلام النبوة، ومن دلائلها، التي تشير إلى أنه «صلى الله عليه وآله» قد تلقى ذلك عن الله تعالى، وهذا هو جزاء كسرى على جرأته على الله ورسوله، وهو العقوبة العادلة له على بغيه وإجرامه في حق الدين والإنسانية، حيث بادر إلى تمزيق كتاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» من دون أي مبرر لذلك سوى ما كان يضج في باطنه من خبث، وصلف، وما كان يعتلج في صدره من سوء سريرة، وسقوطه الشائن والمهين في حمأة الجهل، والبغي، والاستكبار، ومن يكون كذلك فإنه يستحق هذه العقوبة الإلهية ولا يتوقع له سوى الخذلان والخزي والخسران الأكيد، والاندحار الذليل أمام دعوة الحق والصدق، والعدل، والهدى.

كما أن إعلان النبي «صلى الله عليه وآله» للناس بهذا الأمر، من شأنه أن يربط على قلوب المؤمنين منهم، وأن يكبت أعداءهم، ويكون ذلك للأجيال الآتية، الذين يشاهدون صدق هذا الخبر، سبيل هداية ونجاة..

حلقة لهما:

ومما يثير الانتباه أيضاً موقف النبي «صلى الله عليه وآله» من رسولي
بإذان، حين رآهما وقد حلقا لهما، وأعفيا شواربهما، حيث كره النظر
إليهما، واعترض عليهما بشدة، وقال: ويلكما من أمركما بهذا؟!..
فإن هذه الشدة في الاعتراض تشير إلى أن ذلك كان بالغ القبح عنده،
وأن قبحه هذا يدعو إلى إظهار النفور من فاعله، حتى لو كان غير مسلم،
أو من أهل بلد لم يدخل في طاعة أهل الإسلام.
والحديث حول حلق اللحية أو إعفائها جوازاً ومنعاً ليس محله هنا.

الفصل الثالث:

كتاب النبي ' إلى قيصر

كتاب النبي ' إلى قيصر:

هذا وقد كتب «صلى الله عليه وآله» أيضاً إلى قيصر كتاباً يدعو فيه إلى الإسلام، ونص الكتاب هو التالي:

«بسم الله الرحمن الرحيم: من محمد بن عبد الله إلى هرقل عظيم الروم: سلام على من اتبع الهدى.

أما بعد، فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإنما عليك إثم الأريسيين و ﴿تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾^(١).

(١) لقد كفانا العلامة الأحمدي مؤونة تتبع مصادر هذا الكتاب، حيث أشار في كتابه القيم: مكاتيب الرسول ج ٢ ص ٣٩١ و ٣٩٢ إلى المصادر التالية، وفقاً للطبعات المتوفرة لديه: السيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٧٥ وزيني دحلان ج ٣ ص ٦١ ورسالات نبوية ص ٣١١ ومسند أحمد ج ١ ص ٢٦٣ وتهذيب تاريخ ابن عساكر ج ١ ص ١٤١ و ج ٦ ص ٣٩٢ و ٣٩٠ و ج ٥ ص ٢٢ واليعقوبي ج ٢ ص ٦٧ وصبح الأعشى ج ٦ ص ٣٦٣ و ٣٦٤ والأموال لابن زنجويه ج ١ ص ١٢٠ و ج ٢ ص ٥٨٤ و ٥٨٥ والمنتظم ج ٣ ص ٢٧٨ و ٢٧٩ وكنز العمال ج ٢ ص ٢٧٥ =

= وفي (ط أخرى) ج ٤ ص ٢٣٧ (١٩٤٢) (عن أحمد والبيهقي والنسائي) و
ج ١٠ ص ٣٨٥ و ٤١٧ و ٤١٩ و ٤١١ والدر المنثور ج ٢ ص ٤٠ (عن عبد
الرزاق، البخاري، ومسلم، والنسائي، وابن أبي حاتم والبيهقي في سننه) وج ٤
ص ٣٠ ومشكل الآثار للطحاوي ج ٢ ص ٣٩٧ و ٣٩٨ ودلائل النبوة لأبي نعيم
ص ٢٩٠ والمعجم الكبير للطبراني ج ٤ ص ٢٦٦ وج ٨ ص ١٧ - ٢٧ بطرق
متعددة وج ٢٥ ص ٢٣٦ وج ١٢ ص ٢٤٢ ونصب الراية للزيلعي ج ٤ ص ٤١٨
وسنن أبي داود ج ٤ ص ٣٣٥ والأموال لأبي عبيد ص ٣٢ و ٣٦٢ وأعيان الشيعة
ج ١ ص ٢٤٤ وصحيح البخاري ج ١ ص ٧ و ٨٣ وح ٤ ص ٥٤ و ٥٥ و ٥٧
وج ٦ ص ٤٥ وج ٩ ص ١٩٣ وج ٨ ص ٧٢ وصحيح مسلم ج ٣ ص ١٣٩٦
والكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٨١ وفي (ط أخرى) ص ٢١٢ والطبري ج ٢
ص ٢٩١ وفي (ط أخرى) ص ٦٤٩ والبداية والنهاية ج ٤ ص ٢٦٤ وجمهرة
رسائل العرب ج ١ ص ٣٣ والأغاني ج ٦ ص ٩٣ والمواهب اللدنية للقسطلاني
ج ٣ ص ٣٨٤ وإعلام السائلين ص ١٠ - ١٩ وناسخ التواريخ في سيرة رسول الله
«صلى الله عليه وآله» ص ٢٧٤ والتراتيب الإدارية ج ١ ص ١٤٢ وثقات ابن
حبان ج ٢ ص ٥ وج ١ ص ١ ومآثر الإنافة ج ٣ ص ٢٤٧ وفقه السيرة ص ٣٧١
والتأريخ لابن خلدون ج ٢ ق ٢ ص ٣٦ وتأريخ الخميس ج ٢ ص ٣٣ والفاثق
للزحشري ج ١ ص ٣٦ و ١٤ وحياة الصحابة ج ١ ص ١١٠ وتفسير القرطبي
ج ٤ ص ١٠٥ وتفسير المنار ج ٣ ص ٣٢٨ وزاد المعاد لابن القيم ج ٣ ص ٦٠
ودلائل النبوة للبيهقي ج ٤ ص ٣٧٩ و ٣٨٠ و ٣٨٤ وعبد الرزاق ج ٥ ص ٣٤٦
والوثائق ص ١٠٧/٢٦ وقال: قابل مسند أحمد ج ٣ ص ١٣٣ وج ٤ ص ٧٤ و
٧٥ وأشار إلى المجالات العصرية المتعرضة للكتاب ونقله أيضاً عن جمع ممن تقدم
(وعن تفسير النسائي ج ٣ ص ٤٤١ والمنتقى لأبي نعيم ورقة ١٣٢ وصبح
الأعشى ج ٦ ص ٣٧٦ ومفيد العلوم ومبيد الهموم للقزويني ص ١٧ ووسيلة =

مضامين الكتاب:

وبالمراجعة والمقارنة بين كتاب النبي «صلى الله عليه وآله» لكسرى، وكتابه لقيصر، يتضح مدى التوافق بين الكتابين، باستثناء اختلافات يسيرة فيما بينهما، سوف نحاول الإلماح إلى بعض ما تمس الحاجة إليه، فنقول:

= المتعبدين ص ٨ مخطوطة بانكى پور في الهند ورقة ٢٧ والإمتاع للمقريري (خطية كوپر لو) ص ١٠١٢ والمبعث والمغازي للتمي خطية ورقة ١٢ والوفاء لابن الجوزي ص ٧٢٤) وراجع: مدينة البلاغة ج ٢ ص ٢٤٧ ومروقة المصاييح ج ٤ ص ٢٢١ ومشكاة المصاييح بهامش المرقاة ص ٢٢١ وحياة محمد لهيكل ص ٣٥٢ والمصباح المضيء ج ٢ ص ٧٧ ونشأة الدولة الإسلامية ص ٢٩٩ و ٣٠٠.

وأشار إلى الكتاب: الترمذي ج ٥ ص ٦٨ والبحار ج ٢١ ص ٢٨٦ وج ١٧ ص ٢٠٧ وج ١٥ ص ٣٠ وج ٤ ص ١٠٠ وج ٢٠ ص ٣٨٦ والجامع للقيرواني ج ١ ص ٢٨٨ والطبقات الكبرى ج ١ ق ٢ ص ١٦ وج ٤ ق ١ ص ١٨ والتنبيه والإشراف ص ٢٢٦ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٩ ص ١٧٧ وج ١٠ ص ١٣٠ و ١٣١ ومسند أحمد ج ١ ص ٢٦٢ وتفسير غازر ج ٢ ص ٦٥ وتفسير ابن كثير ج ١ ص ٣٧١ وتفسير الثعالبي ج ١ ص ٢٧٥ وابن هشام ج ٤ ص ٢٥٤ والنهاية لابن الأثير في «دعى» و «أرس» وكذا في لسان العرب. وراجع: فتح الباري ج ١٣ ص ٤٣٠ وج ١ ص ٣٥ وج ٦ ص ٧٩ وج ٨ ص ١٦٥ والعمدة ج ١ ص ٧٩ وج ١٤ ص ٢١٠ وج ١٨ ص ١٤٤ وعون المعبود ج ٤ ص ٤٩٨ و ٤٩٩ ومجمع الزوائد ج ٥ ص ٣٠٦ والأم للشافعي ج ٤ ص ١٧١.

يؤتك الله أجرَك مرتين:

ورد في الكتاب قوله «صلى الله عليه وآله»: «يؤتك الله أجرَك مرتين» وهذا يتضمن إشارات لأمر عديده، منها:
أولاً: لقد ذكر له «إيتاء الأجر» لا إعطاءه، والإيتاء يتضمن معنى الجزاء بل قد فسر به^(١).

وهو أيضاً يشير إلى: أن ما يصل إليه إنما هو أحد طرفي معاملة أو فقل مبادلة من طرفين، فهو نظير آسى واكل أي أن الإيتاء إعطاء على سبيل المقابلة بشيء قد أوجب ذلك، ودعا إليه.. وقد يستبطن ذلك معنى السهولة واليسر أيضاً.

ثانياً: إن هذا الإيتاء الذي جاء على سبيل المقابلة والجزاء على فعل الإسلام، إنما هو من الله تعالى، فلا منة فيه لأحد عليه، ولا يطلب منه شكر ومكافأة لمخلوق مثله..

ثالثاً: إن هذا العطاء داخل في مقولة الأجر والمثوبة التي أوجبها إيمان؛ يعتبر عند الله عملاً محترماً، ومحفوظاً لعامله الذي قام به باختياره، وليس استجابة لعملية ابتزاز، وقهر، وإخضاع مذل. بل هو أمر فرضه على العامل معرفته بواقع كونه مربوباً، لا بد أن يؤدي فروضه وواجباته بأمانة وصدق وإخلاص.

رابعاً: لعل إيتاء الأجر مرتين، إنما كان لأجل إيمانه نفسه.
أو ربما يكون الأجر مرتين هو أجر الدنيا وأجر الآخرة..

(١) راجع: لسان العرب ج ١ ص ٦٧.

أو ربها لأجل إيمانه نفسه وإيمان قومه.

وربما يكون ذلك جارياً وفق السنة في أهل الكتاب، فقد قال تعالى:
﴿الَّذِينَ آمَنَّا هُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ، وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ
إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ، أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا
صَبَرُوا وَيَدْرُؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾^(١).

وروي عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» أنه قال: «من أسلم من أهل
الكتاب فله أجره مرتين»^(٢).

وذلك لأن أهل الكتاب ينالون أجرهم مرة بصبرهم على أذى الطواغيت،
وأذى المنحرفين عن الحق، وذلك في المرحلة السابقة على ظهور نبينا الأكرم
«صلى الله عليه وآله»، وينالون أيضاً أجراً آخر من أجل إيمانهم بمحمد رسول
الله «صلى الله عليه وآله»، وتحملهم الأذى في جنب الله تعالى.

إثم الأريسيين:

وقد جاء في الكتاب إلى هرقل: «فإن توليت، فإنما عليك إثم الأريسيين».
وقد ذكر العلامة الأحمدي «رحمه الله»: اختلافات الناقليين في هذه

(١) الآيات ٥٢ - ٥٤ من سورة القصص.

(٢) راجع: المعجم الكبير ج ٨ ص ١٩١ وبمعناه في ص ٢١٢ والسنن الكبرى ج ٧
ص ١٢٨ ومشكل الآثار ج ٢ ص ٢١٥ و ٣٩٤ ومسنند أحمد ج ٥ ص ٢٥٩
ومكاتيب الرسول ج ٢ ص ٣٩٥ عنهم، ومجمع الزوائد ج ١ ص ٩٣ والدر المنثور
ج ٥ ص ١٣٣ وكنتز العمال ج ١ ص ٩٦ وجامع البيان ج ٢٧ ص ٣١٧ وتفسير
القرآن العظيم ج ٣ ص ٤٠٥.

الكلمة أو الفقرة^(١)، ولا نرى حاجة للتعرض لها ههنا..

غير أن علينا أن نشير إلى المراد بهذه الكلمة، فنقول:

قد تقدم بعض الحديث عن المراد بها، حين الكلام عن كتابه «صلى الله عليه وآله» إلى ملك الفرس، ونضيف إلى ذلك هنا: أن أقرب الوجوه في معناها هو:

أن المراد بالأرسيين: أتباع آريوس أسقف الإسكندرية، الذين كانوا يقولون بالتوحيد الخالص، وأنكروا التثليث، واعتبروا المسيح عبداً من عباد الله المخلصين.

وكانوا قد كثروا وانتشرت دعوتهم، فأخاف ذلك الإمبرطور الروماني قسطنطين، الذي كان وثنياً وتنصر، فجمع عدداً كبيراً من الأساقفة، بلغ (٣١٨) أسقفاً.. وبعد مناقشات حامية وفي ظل الترهيب والتخويف سيطر أنصار التثليث على أتباع آريوس، وفرضوا عقيدة التثليث، وحوصر أتباع آريوس بقرار الكنيسة بمنع تداول عقائدهم^(٢).

وقال أبو عبيد: إن الأرسيين هم الخدم والخول^(٣)، الذين يصدّهم أربابهم عن الدين والحق.

وقيل: هم الأكارون، لأنهم كانوا عندهم من الفرس، وهم عبدة النار،

(١) مكاتيب الرسول ج ٢ ص ٣٩٦ و ٣٩٧.

(٢) راجع: تاريخ الفكر المسيحي (تأليف حنا الخضري) ج ١ ص ٦١٧، ودائرة المعارف للبيستاني، كلمة «أرس».

(٣) الأموال ص ٣٣ والنهاية في اللغة ج ١ ص ٣٨ ولسان العرب ج ١ ص ١١٧ وعن فتح الباري ج ٨ ص ١٦٧.

فجعل عليهم إثمهم؛ إذ كانوا سبياً في عدم إيمانهم.
وقيل: أتباع عبد الله بن أريس - رجل كان في الزمن الأول - قتلوا نبياً
بعثه الله إليهم.
وقيل: الأريسيون: الملوك، واحداهم إريس، فالملك هو إريسهم الذي
يجيبون دعوته ويطيعون أمره.
وقيل: هم العشَّارون^(١).

ما جرى عند ملك الروم:

ونحن نذكر هنا: ما جرى عند ملك الروم، ونختار النص الذي أورده
العلامة الأحمدي «رحمه الله»، وهو التالي:
«وكتب مع دحية إلى قيصر كتاباً، يدعو به إلى الله تعالى ودين الإسلام،
وأمره أن يدفعه إلى قيصر، فلما وصل دحية إلى الحارث ملك غسان، أرسل
معه عدي بن حاتم ليوصله إلى قيصر.
فلما ذهب به إليه، قال قومه لدحية: إذا رأيت الملك فاسجد له، ثم لا
ترفع رأسك أبداً حتى يأذن لك.
قال دحية: لا أفعل هذا أبداً، ولا أسجد لغير الله.
قالوا: إذاً لا يؤخذ كتابك.
فقال له رجل منهم: أنا أدلك على أمر يؤخذ فيه كتابك ولا تسجد له.

(١) النهاية في غريب الحديث ج ١ ص ٤٢ ولسان العرب ج ٦ ص ٦ وراجع: السيرة
النبوية لدحلان (بهامش السيرة الحلبية) ج ٣ ص ٦٠ والبحار ج ٢٠ ص ٣٨٨ و
٣٩٦ ومكاتب الرسول ج ٢ ص ٣٩٧.

فقال دحية: وما هو؟

قال: إنه له على كل عتبة منبراً يجلس عليه، فضع صحيفتك تجاه المنبر حتى يأخذها هو ثم يدعوا صاحبها، ففعل.

فلما أخذ قيصر الكتاب وجد عليه عنوان كتاب العرب، وقال: إن هذا كتاب لم أره بعد سليمان:

بسم الله الرحمن الرحيم

فدعا الترجمان الذي يقرأ بالعربية ثم قال: أنظروا لنا من قومه أحداً نسأله عنه».

أبو سفيان عند ملك الروم:

وروي عن ابن عباس، عن أبي سفيان، أنه قال: «في الهدنة التي كانت بيني وبين رسول الله «صلى الله عليه وآله» خرجت للتجارة إلى الشام، فبينما أنا بالشام إذ جيء بكتاب من رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى هرقل، فأرسل هرقل إليه في ركب من قريش، فأتوه وهم بإيلياء، فدعاهم في مجلسه، وعلى رأسه تاج، وحوله عظماء الروم، ودعا بترجمانه، فقال: أيكم أقرب نسباً بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟

فقال أبو سفيان: أنا أقربهم نسباً.

فقال: أدنوه مني، وقربوا أصحابه فاجعلوهم عند ظهره، ثم قال: إني سائل هذا عن هذا الرجل، فإن كذبتني فكذبوه، فقال: حدثني عن هذا الذي خرج بأرضكم ما هو؟

قلت: شاب.

قال : كيف نسبه فيكم؟

قلت: هو فينا ذو نسب.

قال: فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله؟

قلت: لا.

قال: فهل كان من آبائه ملك؟

قلت: لا.

قال: فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟

قلت: بل ضعفاؤهم.

قال: أيزيدون أم ينقصون؟

قلت: لا، بل يزدون.

قال: فهل يرتد أحد منهم عن دينه سخطة له؟

قلت: لا.

قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟

قلت: لا.

قال: فهل يغدر؟

قلت: لا.

قال: فهل قاتلتموه؟

قلت: نعم.

قال: فكيف كان قتالكم إياه؟

قلت: الحرب بيننا وبينه سجال.

قال: كيف عقله ورأيه؟

قلت: لم نعب له عقلاً ولا رأياً قط.

قال: كيف حسبه فيكم؟

قلت: هو فينا ذو حسب.

قال لترجمانه: قل له: فما يأمركم به؟

قلت: يأمرنا بالصلاة، والزكاة، والصدق، والعفاف، والصلة، وأن نعبد الله وحده لا شريك له، ودينهنا عما كان يعبد آباؤنا، ويأمرنا بالوفاء بالعهد، وأداء الأمانة، والطهارة.

فقال لترجمانه: قل له: إني سألتك عن حسبه، فزعمت أنه فيكم ذو حسب، وكذلك الرسل تبعث في أحساب قومها.

وسألتك هل كان في آبائه ملك فزعمت أن لا.

فقلت: لو كان من آبائه ملك قلت: رجل يطلب ملك آبائه.

وسألتك عن أتباعه أضعفاؤهم أم أشرافهم.

فقلت: بل ضعفاؤهم. وهم أتباع الرسل.

وسألتك هل تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال، فزعمت أن لا، فقد عرفت أنه لم يكن ليدعي الكذب على الناس ثم يذهب فيكذب على الله.

وسألتك هل يرتد أحد منهم عن دينه بعد أن يدخله سخطه له،

فزعمت أن لا، وكذلك الإيوان إذا خالط بشاشة القلوب.

وسألتك هل يزيدون أو ينقصون، فزعمت: أنهم يزيدون وكذلك الإيوان

حتى يتم.

وسألتك هل قاتلتموه، فزعمت: أنكم قد قاتلتموه، فيكون الحرب

بينكم وبينه سجالاً، ينال منكم وتنالون منه، وكذلك الرسل تبلى، ثم

تكون لهم العاقبة.

وسألتك هل يغدر، فزعمت أنه لا يغدر، وكذلك الرسل لا تغدر.

وسألتك هل قال هذا القول أحد قبله، فزعمت أن لا.

فقلت: لو قال هذا القول أحد قبله، قلت: رجل ائتم بقول قيل قبله.

قال ثم قال: إن يكن ما تقول حقاً فإنه نبي، وقد كنت أعلم أنه خارج، ولم أكن أظنه منكم، ولو أعلم أني أخلص إليه لأحببت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت قدميه، وليبلغن ملكه ما تحت قدمي.

قال: ثم دعا بكتاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» فقرأه.

وذكر أن ابن أخي قيصر أظهر الغيظ الشديد، وقال لعمه: قد ابتدأ

بنفسه وسماك صاحب الروم.

فقال: والله إنك لضعيف الرأي، أترى أرمي بكتاب رجل يأتيه

الناموس الأكبر، وهو أحق أن يبدأ بنفسه؟ ولقد صدق أنا صاحب الروم،

والله مالكي ومالكة.

وفي نقل آخر: إن هذا الرجل أخوه.

قال أبو سفيان: فلما فرغ من قراءة الكتاب إرتفعت الأصوات عنده،

وكثر اللغط، فأمر بنا فأخرجنا.

قال: قلت لأصحابي: لقد أمر أمر ابن أبي كبشة، إنه ليخافه ملك بني

الأصفر.

قال: فما زلت موقناً بأمر رسول الله «صلى الله عليه وآله».

إكرام الرسول :

ثم أمر الملك بإنزال دحية وإكرامه، وأمر منادياً ينادي: ألا إن هرقل قد ترك النصرانية، واتبع دين محمد «صلى الله عليه وآله»، فأقبل جنده قد تسلحوا حتى أطافوا بقصره.

فأمر مناديه فنادى: ألا إن قيصر إنما أراد أن يجربكم، كيف صبركم على دينكم، فارجعوا قد رضي عنكم.

ثم قال للرسول: إني أخاف على ملكي، إني لأعلم أن صاحبك نبي مرسل، والذي كنا نتظره ونجده في كتابنا، ولكنني أخاف الروم على نفسي، ولولا ذلك لاتبعته، فاذهب إلى ضغاطر الأسقف، فاذكر له أمر صاحبكم، فهو أعظم في الروم مني، وأجوز قولاً مني عندهم، صاحبك والله نبي مرسل.

فجاء دحية فأخبره بما جاء به من عند رسول الله «صلى الله عليه وآله». فقال ضغاطر: صاحبك والله نبي مرسل، نعرفه في صفته، ونجده في كتابنا باسمه، ثم ألقى ثياباً كانت عليه سوداء، ولبس ثياباً بيضاء، ثم أخذ عصاه، ثم خرج على الروم وهم في الكنيسة.

فقال: يا معشر الروم: إنه قد جاءنا كتاب أحمد يدعونا فيه إلى الله، وإني أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن أحمد رسول الله، فوثبوا عليه وثبة رجل واحد فضربوه فقتلوه، فرجع دحية إلى هرقل فأخبره الخبر.

فقال: قد قلت لك: إنا نخافهم على أنفسنا، وضغاطر كان والله أعظم عندهم مني.

ويظهر من بعض الألفاظ (كما يظهر من الإصابة عن بعض الرواة):

أن ضغاطر اجتماع مع ملك الروم، فأقرأه الكتاب، فقال: هذا النبي الذي
كنا ننتظره.

قال: فما تأمرني؟

قال: أما إني فمصدقته ومشيعه.

قال قيصر: أما إن فعلت يذهب ملكي^(١).

(١) في مكاتيب الرسول ج ٢ ص ٤٠٥ قال العلامة الأحمدي: راجع في تفصيل بحث دحية
وقصة أبي سفيان: السيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٧٣ وسيرة دحلان ج ٣ ص ٥٨ ودلائل أبي
نعيم: ٢٨٧ و ٢٩٠ والبحار ج ٢٠ ص ٣٨٩ ومسند أحمد ج ٣ ص ٢٦٣ وتهذيب
تأريخ ابن عساكر ج ١ ص ١٤١ و ج ٦ ص ٣٩٢ والدر المنثور ج ٢ ص ٤٠ ومشكل
الآثار للطحاوي ج ٣ ص ٣٩٧ والدلائل للبيهقي ج ٤ ص ٢٧٩ - ٢٨٤ والأموال
لأبي عبيد ص ٣٤ و ٣٦٢ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٢٤٤ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٩
ص ١٧٧ و ج ١٠ ص ١٣٠ وفتح الباري ج ١ ص ٣٥ و ج ٦ ص ٧٩ و ج ٨ ص ١٦٥
وعمدة القاري ج ١ ص ٩٩ و ج ١٤ ص ٢١٠ و ج ١٨ ص ١٤٤ وعون المعبود ج ٤
ص ٤٩٨ والطبقات الكبرى ج ١ ق ٢ ص ١٦ وثقات ابن حبان ج ٢ ص ٥ والبخاري
ج ١ ص ٢ - ٥ و ج ٤ ص ٥٧ وتأريخ الخميس ج ٢ ص ٣٢ والبداية والنهاية ج ٤
ص ٢٦٢ - ٢٦٨ وتأريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٦٤٦ والكامل لابن الأثير ج ٢
ص ٢١١ والإصابة ج ٢ ص ٢١٦ وأسد الغابة ج ٣ ص ٤١ ومجمع الزوائد ج ٨
ص ٢٣٦ و ٢٣٧ و ج ٥ ص ٣٠٦ - ٣٠٨ وحياة الصحابة ج ١ ص ١٠٤ وراجع:
الطبراني في الكبير ج ١٢ ص ٤٤٢ (١٣٦٠٧) و ج ٢٥ ص ٢٣٣ - ٢٣٨ و ج ٤
ص ٢٦٦ و ج ٨ ص ١٧ - ٢٨ بأسانيد متعددة والمصنف لعبد الرزاق ج ٥ ص ٣٤٤
والروض الأنف ج ٣ ص ٢٤٩ والأموال لابن زنجويه ج ٢ ص ٥٨٤ و ٥٨٥ و ٥٨٩
والمستظم ج ٣ ص ٢٧٧ و ٢٧٨.

تعالوا إلى كلمة سواء:

وبعد، فإننا نلاحظ على ما تقدم ما يلي:

إنه قد ورد في كتابه «صلى الله عليه وآله» إلى ملك الروم قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾^(١).

وقد تقدم: أن بعض النصوص صرحت: بأن كتاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى الكفار هو: ﴿تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ...﴾ الآية^(٢).

وعن الزهري: كانت كتب النبي «صلى الله عليه وآله» إليهم واحدة، كلها فيها هذه الآية^(٣).

وقد تقدم: أنه «صلى الله عليه وآله» قد كتب هذه الآية إلى كسرى^(٤). وسيأتي: أنه كتب بها إلى المقوقس وإلى النجاشي أيضاً. وقال أبو عبيد: «كتب رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى كسرى، وقيصر، والنجاشي كتاباً واحداً:

(١) الآية ٦٤ من سورة آل عمران.

(٢) الدر المنثور ج ٢ ص ٤٠ عن الطبراني عن ابن عباس وراجع المصادر المتقدمة.

(٣) البداية والنهاية ج ٣ ص ٨٣ والمصادر المتقدمة.

(٤) راجع: الأموال ص ٣٤ وكنز العمال ج ١٠ ص ٤١٧ والبحار ج ٢١ ص ٢٨٧ الدر المنثور ج ٥ ص ١٠٧ والمصنف لابن أبي شيبة ج ١٤ ص ٣٣٨ وسنن سعيد بن منصور ج ٢ ص ١٨٩ ومكاتب الرسول ج ٢ ص ٣٢٠.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من محمد رسول الله، إلى كسرى، وقيصر، والنجاشي.

أما بعد، ﴿تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ...﴾ الآية^(١).

وهذه الآية قد جاءت في سورة آل عمران.

وقد ذكروا أيضاً: أنه «صلى الله عليه وآله» قد ذكر هذه الآية لأهل

نجران، حين جاؤوا إلى المدينة^(٢).

وقالوا: إن النبي «صلى الله عليه وآله» قد كتبها.

وقيل: نزلت لأنها نزلت سنة تسع، وهي سنة قدوم النجرانيين^(٣).

وقيل: بل بعد نزولها؛ لأن نزولها كان في أول الهجرة في شأن اليهود^(٤).

ونقول:

إن قراءة النبي «صلى الله عليه وآله» للآية على النجرانيين، والطلب إليهم العمل بمضمونها لا يدل على نزول الآية في ذلك الحين، فإن مضمونها عام صالح للاستفادة منه في كل حين، وقد دلت الروايات على

(١) الأموال ص ٣٤ ومكاتيب الرسول ج ٢ ص ٣٢٠ و ٤٥٦ والمصنف لابن أبي

شيبه ج ٨ ص ٤٦١ وكنز العمال ج ١٠ ص ٦٣٢.

(٢) الدر المنثور ج ٢ ص ٤٠ عن ابن جرير عن محمد بن جعفر بن الزبير، وعن السدي.

(٣) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٤٤ وراجع: عمدة القاري ج ١ ص ٩٣.

(٤) الدر المنثور ج ٢ ص ٤٠ عن ابن جرير، وابن أبي حاتم، وعبد بن حميد، والسيرة

الحلبية ج ٣ ص ٢٤٤ وراجع: عمدة القاري ج ١ ص ٩٣ وجامع البيان ج ٣ ص ٤١٠ و ٤١٥ وفتح القدير ج ١ ص ٣٤٩.

نزولها قبل ذلك حين كان يحتج على يهود المدينة.
كما أن من الجائز أن يكون أهل نجران قد جاؤوا إلى المدينة في سنة ست.

الآية تفرض التوحيد:

وربما يتوهم بعضهم، أو يتعمد القول: بأن مفاد الآية هو دعوة أهل الكتاب إلى الالتزام بالقواسم المشتركة بيننا وبينهم، وهي عبادة الله، وتوحيده، ويبقى ما عداها خاضعاً للبحث والحوار..
إنه كلام غير صحيح، بل إن الآية تريد أن تلزم أهل الكتاب بالتوحيد، وأن تفرض عليهم التخلي عن الشرك، وعبادة غير الله، وأن لا يتخذ بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله.

وهو أمر لا يرضاه أهل الكتاب، وقد صرح القرآن بأنهم: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ...﴾^(١).

وصرح أيضاً بشركهم، وعبادتهم لغير الله عز وجل، حيث قال: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ...﴾^(٢).

وقال: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ، أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ، مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ، قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا

(١) الآية ٣١ من سورة التوبة.

(٢) الآيتان ١٧ و ٧٢ من سورة المائدة.

وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ. ﴿١﴾

وقال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقُمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا..﴾ ﴿٢﴾

وقال سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَّ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ..﴾ ﴿٣﴾

وقال تبارك وتعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهَوْنَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ، اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ، يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ ﴿٤﴾

كما أن آية الجزية صريحة: في أن من أهل الكتاب، من لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر، ولا يدين دين الحق ﴿٥﴾.

فهذه الآيات كلها تدل: على أن أهل الكتاب لا يعبدون الله وحده لا شريك له، كما يريد أن يدّعيه هذا البعض. بل إن قوله تعالى: ﴿تَعَالَوْا إِلَى

(١) الآيات ٧٣ - ٧٧ من سورة المائدة.

(٢) الآية ٥٩ من سورة المائدة.

(٣) الآية ١١٦ من سورة المائدة.

(٤) الآيات ٣٠ - ٣٢ من سورة التوبة.

(٥) الآية ٢٩ من سورة التوبة.

كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ... ﴿الآية، يدل: على أنهم بعيدون عن كلمة
السواء، ولا يلتزمون بها تماماً كاتخاذهم أحبارهم أرباباً من دون الله.
فإن الآية قد دعتهم إلى الالتزام بهذين الأمرين بصيغة واحدة، وسياق
واحد، وذلك يدل على عدم التزامهم بهما معاً، كما قلنا..

ويؤيد ذلك: ما روي من أن النبي «صلى الله عليه وآله» كلم النضر بن
الحارث حتى أفحمه، ثم قال: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ
جَهَنَّمَ...﴾ الآية، فلما خرج النبي «صلى الله عليه وآله» قال ابن الزبعرى: أما
والله لو وجدته في المجلس لخصمته، فاسألوا محمداً أكل ما يُعبد من دون الله في
جهنم مع من عبده؟ فنحن نعبد الملائكة، واليهود تعبد عزيزاً، والنصارى تعبد
عيسى.

فأخبر النبي «صلى الله عليه وآله»، فقال: يا ويل أمه، أما علم أن «ما» لما
لا يعقل، و «من» لمن يعقل؟
فنزلت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا...﴾ الآية^(١).

(١) المناقب لابن شهر آشوب ج ١ ص ٤٩ والكنى والألقاب ج ١ ص ٢٩٤ والبحار
ج ١٨ ص ٢٠٠ والقواعد الفقهية ج ٥ ص ٣٣٨ عن الكاشف ج ٣ ص ١٣٦
وعن أسباب النزول للواحدي ص ١٧٥ وعن الدر المنثور ج ٥ ص ٦٧٩.
وراجع: البداية والنهاية ج ٣ ص ١١١ والسيرة النبوية لابن هشام ج ١ ص ٢٤١
والسيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ٥٣ وسبل الهدى والرشاد ج ٢ ص ٤٦٥
وجامع البيان ج ١٧ ص ١٢٨ والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ١٦ ص ١٠٣
وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٣ ص ٢٠٨.

المجوس أهل كتاب:

وإذا كان «صلى الله عليه وآله» قد كتب بآية «كلمة السوء» إلى ملك الفرس بالإضافة إلى النجاشي، وقيصر، والمقوقس، فإن ذلك يعني: أن المجوس أيضاً من أهل الكتاب.

وقد ورد في الأحاديث: أنه كان لهم كتاب فضيعوه، أو أحرقوه^(١). فتضييعهم له، لم يخرجهم عن أحكامه، ولا أوجب معاملتهم معاملة أهل الشرك.

جواب قيصر:

ويقول المؤرخون أيضاً: إن قيصر قد رد دحية بن خليفة الكلبي مكرماً، وأهدى إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» هدية، وكتب إليه: «.. إلى أحمد رسول الله، الذي بشر به عيسى، من قيصر ملك الروم: إني جائي كتابك مع رسولك، وإني أشهد أنك رسول الله، نجدك عندنا في الإنجيل، بشرنا بك عيسى بن مريم. وإني دعوت الروم إلى أن يؤمنوا بك، فأبوا، ولو أطاعوني لكان خيراً

(١) فقه القرآن ج ١ ص ٣٤٢ و ٣٤٤ وميزان الحكمة ج ٤ ص ٣١٨٣ والكافي ج ٣ ص ٥٦٨ ومن لا يحضره الفقيه ج ٢ ص ٥٤ وتهذيب الأحكام ج ٤ ص ١١٣ وج ٦ ص ١٥٩ و ١٧٥ والوسائل (ط دار الإسلامية) ج ١١ ص ٩٦ و ٩٧ والفصول المهمة ج ٢ ص ٢١٢ والبحار ج ١٤ ص ٤٦٣ ومكاتيب الرسول ج ٢ ص ٤١٣ والتفسير الصافي ج ٢ ص ٣٣٤ ونور الثقلين ج ٢ ص ٢٠٢ وقصص الأنبياء للجزائري ص ٥١٤ وعن فتح الباري ج ٩ ص ٣٤٣.

لهم. ولوددت أني عندك، فأخدمك، وأغسل قدميك»^(١).
وجعل كتاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» في الديباج والحريز،
وجعله في سفظ^(٢).

فلما وصل كتابه إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، قال: «يبقى
ملكهم ما بقي كتابي عندهم»^(٣).
ونقل الحلبي أنه «صلى الله عليه وآله» قال: «كذب عدو الله، إنه ليس
بمسلم»^(٤).

وقد ذكر السهيلي: أن هرقل وضع كتاب رسول الله «صلى الله عليه
وآله»، الذي كتب إليه في قصبة من ذهب، تعظيماً له، وأنهم لم يزالوا
يتوارثونه كابراً عن كابر، في أرفع صوان، وأعز مكان، حتى كان عند

(١) تاريخ يعقوبي ج ٢ ص ٦٧ و ٦٨ وراجع: السيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٤٦ والسيرة
النبوية لدحلان (مطبوع مع الحلبية) ج ٣ ص ٦٣ والروض الأنف ج ٤ ص ١٩٦
ومكاتيب الرسول ج ٢ ص ٤١٠.

(٢) دلائل النبوة لأبي نعيم ص ٢٩١ وراجع: الروض الأنف ج ٤ ص ١٩٧ ومكاتيب
الرسول ج ٢ ص ٤١٠ وسبل الهدى والرشاد ج ١١ ص ٣٥٤.

(٣) تاريخ يعقوبي ج ٢ ص ٦٨ وراجع: مسند أحمد ج ٣ ص ٤٤٢ وج ٤ ص ٧٤
والبحار ج ٢٠ ص ٣٨٦ ومكاتيب الرسول ج ٢ ص ٤١٠ و ٤١٦ ومجمع الزوائد
ج ٨ ص ٢٣٥ وعن فتح الباري ج ١ ص ٤٢ وكنز العمال ج ١ ص ٢٦٨ والبداية
والنهاية ج ٥ ص ٢٠ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ٢٨ وسبل الهدى
والرشاد ج ٥ ص ٤٥٨ وج ١١ ص ٣٥٥.

(٤) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٤٦ والسيرة النبوية لدحلان (مطبوع مع الحلبية) ج ٣
ص ٦٣ وموارد الظمان ص ٣٩٣.

«أذفونش» الذي تغلب على طليطلة، وما أخذ أخذها من بلاد الأندلس، ثم كان عند ابن بنته، المعروف بـ «السليطين».

حدثني بعض أصحابنا: أنه حدثه من سألته رؤيته من قواد أجناد المسلمين، كان يعرف بعبد الملك بن سعيد، قال: فأخرجه إلي، فاستعبرته، وأردت تقبيله، وأخذه بيدي، فمنعني من ذلك، صيانة له، وضناً به عليّ.

حراجة موقف أبي سفيان:

ولا نريد التعليق على المحاوراة التي جرت بين قيصر وأبي سفيان، بل نكتفي بالقول: إن أبا سفيان لم يكن سعيداً حين كان يجيب على أسئلة قيصر، وذلك من جهتين:

إحدهما: أنه يرى: أعدى أعدائه قد أصبح يشكل قضية كبيرة لقيصر، ولكسرى، ولغيرهما من ملوك الأرض، وأن هؤلاء الملوك الأقوياء جداً لم يستهينوا بأمر هذا النبي «صلى الله عليه وآله»، بل تلقوا أمره، وقرأوا كتبه لهم باهتمام بالغ، وبجدية ظاهرة، وكان موقفهم منه يتسم بكثير من التروي، والحرص على عدم ظهور أية بادرة عداوة من قبلهم تجاهه، سوى ما ظهر من كسرى..

وقد أسلم بعض هؤلاء الملوك، أو أسلم كبار من أعوانهم ورجالاتهم، ومن لم يعلن إسلامه، فإنه اتخذ جانب المداراة، والتودد له، وأرسل له الهدايا، وخصه بالعبارات الرضية، والرفيقة..

وهذا أمر لا بد أن يزعج أبا سفيان جداً، إلى حد الصدمة، ويجعله أكثر يأساً من الوصول إلى مبتغاه، ألا وهو القضاء على دعوته، والتخلص من

الدين الذي جاء به بيسر وسهولة..

الثانية: إنه وجد نفسه مضطراً للصدق في أجوبته على أسئلة قيصر، ليحفظ لنفسه موطئ قدم لديه. ولا بد أن يكون ذلك صعباً عليه؛ لأنه يدرك أن كلماته سوف تترك انطباعاً إيجابياً لدى قيصر عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وهو أمر كان أبو سفيان يخشى عواقبه وتبعاته كل الخشية، ولا يرضاه في حال من الأحوال.

لم أكن أظنه منكم:

ويشير الانتباه هنا: قول قيصر لأبي سفيان: إنه يعرف: أنه نبي، وأنه خارج لا محالة، ولكنه لم يكن يظن أنه من العرب..
غير أننا نقول:

هل كان سوء حال العرب، واستغراقهم في جهالاتهم وضلالاتهم هو الذي صرف ذهن قيصر عن تداول احتمال أن يكون الرسول الموعود منهم؟! وإلا فإن واقع الحال يشير إلى أنه برغم كل هذا التحريف للحقائق الذي ظهر في كتبهم التي يعتقدون بها، فقد حفلت تلك الكتب بنفسها بإشارات ودلالات كثيرة جداً، تؤكد على أن هذا النبي هو من العرب، ومن مكة المكرمة بالتحديد. ونذكر مثالين على ذلك، وهما:

١ - ورد في الأصل العبراني من سفر التكوين ما ترجمته: «ولإسماعيل سمعته (إبراهيم) ها أنا أباركه كثيراً، وأنميّه، وأثمره كثيراً، وأرفع مقامه

كثيراً بمحمد، واثنى عشر إماماً يُلدهم إسماعيل، وأجعله أمة كبيرة»^(١).
٢ - «هذه شهادة يوحنا إذ أرسل إليه اليهود من أورشليم الكهنة
واللاويين، يسألونه: من أنت؟!

اعترف ولم ينكر، واعترف: لست المسيح.

فسألوه: من أنت إذن؟! أأنت إيليا؟!

قال: لست إياه.

أأنت النبي؟!

أجاب: لا.

فقالوا له: من أنت فنحمل الجواب إلى الذين أرسلونا الخ..»^(٢).
وهناك العديد من المؤلفات التي أوردت بشارات العهدين برسول الله
«صلى الله عليه وآله»، فيمكن الرجوع إليها والوقوف على بعض من ذلك..
ويكفي أن نشير إلى أن الله تعالى يقول: ﴿يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾^(٣).
ويقول: ﴿النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ
وَالْإِنْجِيلِ﴾^(٤).

ومعرفة قيصر بظهور نبي في آخر الزمان يدل على أن ذلك - كما أشار
إليه القرآن - كان معروفاً عندهم. وهناك شواهد كثيرة على هذا الأمر لسنا
بصدد تتبعها.

(١) سفر التكوين ١٧ : ٢٠.

(٢) إنجيل يوحنا ١ / ١٩ فما بعدها.

(٣) الآية ١٤٦ من سورة البقرة، والآية ٢٠ من سورة الأنعام.

(٤) الآية ١٥٧ من سورة الأعراف.

ليبلغن ملكه تحت قدمي:

وقد تقدم أن قيصر قد أعلن: بأن ملك هذا النبي - الذي كان عالماً بأنه سيظهر - سوف يبلغ إلى تحت قدميه.. والمتوقع في حالات كهذه أحد أمرين:

أولهما: أن يؤمن ويسلم، ويستسلم للأمر الواقع، ويُرجع الأمر إلى النبي «صلى الله عليه وآله» نفسه..

الثاني: أن يثور، وأن يزجر، ويتهدد، ويتوعد، ويباشر العمل في تجهيز الجيوش، لإنزال الضربة الحاسمة بهذا الذي يخشاه على ملكه..

ولكن قيصر لم يفعل لا هذا ولا ذاك.. بل عامل النبي «صلى الله عليه وآله» بالمداراة والرفق.. ولكنه لم يدخل في الإسلام.

تقدم وسيأتي أنه قد ادّعى الإسلام فكذّبه رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وهذا يدل على أنه قد نافق، وماكر، وكذب على الرسول «صلى الله عليه وآله»، وسعى لدفعه برفق وأناة؛ لأنه يريد التصدي لإنسان يعرف أنه نبي مرسل، ويدرك أن إعلان الحرب عليه معناه إعلان الحرب على الله سبحانه، وهو يعرف أنه قد يعجز عن مواجهة بشر مثله، فهل يقدر على أن يواجه الله تعالى، ويعلن الحرب عليه؟!

حنكة قيصر في استجواب أبي سفيان:

وقد أظهر استجواب قيصر لأبي سفيان: أن هذا الرجل كان على جانب كبير من الحنكة والمعرفة بالأمور، وبمناشئها، ودوافعها، كما أنه كان مطلعاً على شيء من تاريخ دعوات الأنبياء «عليهم السلام»، وخصوصياتهم، بالإضافة إلى

قدر كبير من الدراية والبصر بأحوال الناس، وبأخلاقهم، وطبيعة نظرتهم
للأمور، ويتضح لك فيما يلي:

نظرة في أسئلة قيصر:

وإذا ألقينا نظرة على أسئلة قيصر لأبي سفيان، فإننا سوف نخرج
بنتيجة مفادها: أنها قد اختيرت بعناية فائقة، حيث عرف من خلالها كل
الأمور والمزايا والخصوصيات التي تحتم نجاح مهمة رسول الله «صلى الله
عليه وآله»، وأنه لا قدرة لأحد على الوقوف في وجه دعوة لها هذه الميزات،
والخصوصيات.

ونذكر من ذلك على سبيل المثال:

١ - أن قيصر لم يسأل أبا سفيان عن معجزة رسول الله «صلى الله عليه
وآله»، وعن السبب في عدم انصياعهم لمعجزته. بل اتخذ الحوار بينهما منحى
آخر يصب في اتجاه التعرف على ما يفيد في وضع خطة لمواجهة هذه الدعوة
التي يخشاها كل الخشية ويريد أن يتجنب الصدام معها.

٢ - أنه سأل أبا سفيان عن نسب وحسب رسول الله «صلى الله عليه
وآله»، فأخبره: أنه ذو نسب وحسب.. وله مكانة مرموقة فيما بين قومه..
وبديهي: أن الناس العاديين يعظمون ذوي الأحساب، ويحبون التقرب
منهم، ولا يرضيهم إلحاق الأذى بهم، ولا يؤنسهم التطاول عليهم..
ومعرفة قيصر بهذا الأمر بالنسبة لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، سوف
تزعجه، وتزيد من هواجسه..

٣ - حين لم يجد قيصر في آباء رسول الله «صلى الله عليه وآله» ملكاً،

فإنه فقد المبرر لاتهمه «صلى الله عليه وآله» بأنه يريد أمراً لنفسه، وأنه طالب
جاء ومقام ضاع منه..

٤ - وإذا كان ضعفاء الناس هم أتباع رسول الله «صلى الله عليه وآله»،
فإن ذلك يعني: أن الشرفاء والرؤساء - وهم قليلون - يفقدون سيطرتهم
على أولئك الضعفاء، الذين هم الكثرة الكاثرة، والذين يعيشون حالة من
التلاحم، والتعاضد، ويعطف بعضهم على البعض الآخر، ويحن إليه،
وتتلاقى مشاعرهم بالمظلومية والقهر، وتشارك أمانيتهم في التعلق بمن يأتي
لينجيهم مما هم فيه، من ظلم وعسف أولئك الأسياد، ويهديهم إلى طريق
الخلاص من متاعبهم، وآلامهم..

٥ - ومن الواضح: أن الوثوق بصدق القائد والرئيس أمر مهم جداً في
حصول الاطمينان لدى الناس بأقواله وأفعاله، وفي سكون نفوسهم إليه..
وهو يقلل أيضاً من فرص التشكيك في صدقيته، وفي خلوصه، وإخلاصه..
وهو من موجبات احترام الناس وإكبارهم له.

كما أن ذلك يؤكد لهم صحة ما جاء به، ويزيد تقديسهم له..

٦ - وإن عدم ارتداد أحد ممن يدخل في دينه «صلى الله عليه وآله»،
يشير إلى أن باطن هذا الدين لا يخالف ظاهره، وأن شعاراته متوافقة مع
حقائقه، وأنه منسجم مع الفطرة والحقيقة الإنسانية، مؤيد بالمنطق القويم،
والعقل السليم، وأنه صالح لكل المستويات، ومتوافق مع عقول الناس من
مختلف الفئات، وجميع المجتمعات..

كما أن ذلك يدل على أن من يؤمن بهذا الدين يجد فيه مبتغاه، وأنه حتى
لو كان قد دخل فيه لألف سبب وسبب، فإن هذا الدين قادر على تحويل

العلقة الظاهرية، إلى علة إيمانية حقيقية وواقعية..

٧ - يضاف إلى ذلك: أن أهل الإيمان في ازدياد مستمر، وأن هذا الدين لا يتراجع ولا ينحسر، وأن ذلك ينسحب على جميع القوميات، والطبقات، والفئات.

وهذا يعطي: أنه لا خصوصية لبلاد العرب ولا لأحوالهم في ذلك، بل الخصوصية هي للتكوين الإنساني نفسه، حيث إنه إذا وجد ما يسانحه، ويتلاءم معه، فإنه يتلاحم معه، ويندمج فيه.

٨ - ولأجل ذلك سأل قيصر أخيراً عن التعاليم التي جاء بها، فلما أخبره ببعضها أدرك أنها تعاليم إنسانية إلهية خالصة، وهي التي تبحث الفطرة عنها، لتتكامل بها ومعها. وهي التي تأنس بها النفس، وتهفو إليها الروح، ويرشد إليها عقل الإنسان ويرضاها وجدانه، وضميره..

وفي هذا الحوار نقاط كثيرة أخرى، كلها تصب في اتجاه واحد، وهو: أن قيصر أراد أن يكتشف ثغرة في دعوة رسول الله «صلى الله عليه وآله» تفسح المجال لتسديد الضربة القاصمة له، ليتخلص منه، فلم يجد.. ولأجل ذلك عقب بقوله: «وليلغن ملكه ما تحت قدمي».

بل وجد أن أي صدام مع هذا النبي سوف يؤدي إلى غرس شجرة الإسلام في بلاده، وهي شجرة أصلها ثابت وفرعها في السماء، لا مجال للتخلص منها، في أي حال، بل يكون السعي في هذا الاتجاه من موجبات قوتها، وتجذرها، وانتشار أغصانها في كل اتجاه..

فآثر العمل على تجنب ذلك، ومارس المكر والحيلة، ولا يحق المكر السيئ إلا بأهله، ولتعلمن نبأه بعد حين.

ولو أنه كان راغباً في الإسلام، فقد كان باستطاعته وهو الرجل
المجرب، والخصيف أن يفعل ذلك، وأن يمهد السبل للإسلام أهل مملكته
وفق ما يأمره به نبي الله «صلى الله عليه وآله».

هرقل ماكر وكاذب:

تقدم: أن ملك الروم بعدما قرأ كتاب رسول الله «صلى الله عليه وآله»
واطلع من أبي سفيان على ما أحب أن يطلع عليه.. «أمر منادياً ينادي: ألا
إن هرقل قد آمن بمحمد واتبعه.

فدخلت الأجناد في سلاحها، وأطافت بقصره، تريد قتله، فأرسل
إليهم: أني أردت أن أختبر صلابتكم في دينكم، فقد رضيت عنكم. فرضوا
عنه.

ثم كتب إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»: أنه مسلم، ولكنه مغلوب
على أمره..

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: كذب عدو الله، ليس بمسلم، بل
هو على نصرانيته.. أو نحو ذلك»^(١).

(١) الروض الأنف ج ٤ ص ١٩٦ وراجع: حياة الصحابة ج ١ ص ١٠٦ و ١٠٧
والبداية والنهاية ج ٤ ص ٢٦٧ و ٢٦٨ وج ٥ ص ١٥ وتهذيب تاريخ دمشق ج ١
ص ١١٤ وعن فتح الباري ج ١ ص ٣٥ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٤٦ والسيرة
النبوية لدحلان (بهامش الحلبية) ج ٣ ص ٦٣ وسائر المصادر التي ذكرناها
سابقاً، حين أوردنا ما جرى بين هرقل وأبي سفيان، وموارد الظمان ص ٣٩٣
وصحيح ابن حبان ج ١٠ ص ٣٥٨.

ونقول:

إن التأمل في هذا الذي جرى يدل دلالة واضحة على مكر هذا الرجل، وعلى سوء سريره، حيث اختار هذه الطريقة التحريضية المثيرة، التي من شأنها أن تلهب مشاعر الناس، وتعجل باتخاذهم قرار الرفض، تحت وطأة الشعور بالخوف والوجل من أمر مجهول لهم، لم يطلعوا على أي شيء منه يفيد في طمأننتهم إلى مصيرهم ومستقبلهم معه..

وقد كان بإمكانه أن يفعل كما فعل باذان، وملك الحبشة، وغيرهما من الملوك الذين أسلموا، ولم يثيروا الناس من حولهم، بل هم قد يسروا لهم سبيل الإيمان والهداية، وأفسحوا لهم المجال في هذا الأمر، بعيداً عن أجواء التشنج والإثارة والتحدي.. فأنا الله قلوبهم بالحق، وفتح أعينهم على الخير، وأسلموا لله رب العالمين..

نعم، إن ما فعله قيصر قد أوجب صدود الناس عن التفكير في حقيقة ما يعرضه رسول الله «صلى الله عليه وآله» عليهم، وأصبحوا يتعاملون بانفعال، وبعصبية بالغة، وبتحفظ شديد. وبذلك يكون قد أوصد أبواب الهداية إلى الله تعالى، وحرّمهم من بركاتها..

وقد أكد هذا الصدود لديهم والإصرار على الممانعة منهم، حين لوّح لهم بأن هذا النبي هو من قوم لم يكن يظن أن يكون منهم، فأثار في نفوس أتباعه مشاعر الاستكبار، والتعالي، وساقهم إلى رفض الانصياع لنبي يخرج من قوم ليس لهم شأن، ولا مقام، ولا بد أن يعتبروا الانصياع لنبي من قوم لهم هذه الصفة نقيصة وعاراً، ولا يليق صدوره من أهل الشرف والشهامة، والرياسة، والزعامة.

ولعل الذي دعاه إلى ذلك: خوفه من أن يكون انتشار الإسلام في رعيته سبباً في تعاظم نفوذ كلمة رسول الله «صلى الله عليه وآله» فيهم، إلى حد يؤثر على نفوذه، ويضعف مكانته عندهم، مع إدراكه أن الانقياد للدين ولرموزه يكون هو الأشد؛ لأنه انقياد نابع من ضمير الإنسان، ومن أعماق روحه، وشغاف قلبه، لا خوفاً من عصاً، ولا طمعاً بشيء من حطام الدنيا. فابتكر هذه الطريقة من أجل حسم الأمر لصالحه، وهكذا كان.

وأما إعلان الحرب من قبله على رسول الله «صلى الله عليه وآله» فهو غير سديد؛ لأنه سوف ينتهي إلى ما انتهت إليه قریش في حربها معه.. كما سيأتي توضيحه حين الكلام عن موقف المقوقس.

وبذلك يكون قيصر قد باء بإثم الأريسيين، أو القبط، الذين كان يستطيع أن يهديهم إلى الحق، ويأخذ بأيديهم إلى النجاة فساقهم إلى الكفر، وأوردهم موارد السوء والبوار والهلاك..

أكثر من كتاب إلى قيصر:

هذا وبمراجعة المصادر التاريخية يتضح: أنه «صلى الله عليه وآله» قد أرسل كتباً أخرى إلى قيصر، أحدها حينما كان راجعاً من تبوك، وقد طلب منه أن يعطي الجزية، فإن أبى، فعليه أن يواجه الحرب، إلا أن يلتزم بأن لا يحول بين الفلاحين، وبين الإسلام^(١).

(١) مكاتيب الرسول ج ٢ ص ٤١٠ و ٤١١ عن المصادر التالية: الأموال ص ٢٢ وفي (طبعة أخرى) ص ٣٢، ورسالات نبوية ص ٣١٣ - ١١٧ ومدينة البلاغة ج ٢ ص ٢٤٧ عن جبهة رسائل العرب والوثائق: ١١٠ / ٢٧ عن (الأموال وصبح =

وغزوة تبوك كانت في سنة تسع، فأرسل هذا الكتاب إلى قيصر في هذه السنة يدل على أنه لم يقبل منه ادعاءه للإسلام، بعد أن ظهرت دلائل كذبه، ومكره في دعواه هذه، فهدده في هذا الكتاب بالحرب، أو إعطاء الجزية. وسوف نتعرض مرة أخرى لهذا الكتاب حين الحديث عن غزوة تبوك فيما يأتي إن شاء الله تعالى.

لا أقبل زبد المشركين:

وقد ذكرنا فيما تقدم: أنه «صلى الله عليه وآله» كان لا يقبل هدية مشرك، أو كافر. فقد يقال: إن هذا لا يتلاءم مع ما ذكرته الروايات من قبوله «صلى الله عليه وآله» هدية قيصر، إذا كان كافراً؟! ويمكن أن يجاب عن ذلك بعدة أجوبة:

أحدها: أنه «صلى الله عليه وآله» كان لا يقبل هدية المشركين. أما هدية أهل الكتاب، مثل: النصراني، واليهودي، فلم يكن يردها كما دلت عليه

= الأعشى ج ٦ ص ٣٦٣ و ٣٧٧ وسنن سعيد بن منصور ج ٢ ص ١٨٧ والمطالب العالية ج ٤ ص ٢٢٣١ و ٢٤٧٩ وراجع ٤٣٤٢ عن الحارث بن أسامة وقال: انظر مجلة المعارف شهر يونيو ١٩٣٥ م: ٤١٦ - ٤٣٠، وراجع: نشأة الدولة الإسلامية ص ٢٩٩ و ٣٠٠ (عن أبي عبيد، والقلقشندي، ومحمد حميد الله)، وراجع أيضاً ص ٧١٣. وأوعز إليه الحلبي في السيرة ج ٢ ص ٣٧٧ والبداية والنهاية ج ٥ ص ١٥ وابن عساكر ج ١ ص ١١٣ و ١١٤ ودحلان هامش الحلبي ج ٢ ص ٣٧٤ وسعيد بن منصور في سننه ج ٢ ص ١٨٧.

بعض الروايات^(١).

وقد كان قيصر نصرانياً، وكان كسرى مجوسياً، ويعد المجوس من أهل الكتاب أيضاً.

وأما ما روي من أنه «صلى الله عليه وآله» كان يقول: «اللهم لا تجعل لفاجر ولا فاسق عندي نعمة»^(٢)..

فربما يقال: إن المراد به: من كان محارباً من الفساق والفجار..

الثاني: قد يقال: إن المقصود بما سبق هو: أنه «صلى الله عليه وآله» كان يرد هدية المشرك المحارب، أما غيره، فكان يقبل هديته، حتى لو كان مشركاً^(٣)، فضلاً عن أن يكون يهودياً أو نصرانياً.

(١) إختيار معرفة الرجال (ط جامعة طهران) ص ١٦٠ و (ط مؤسسة آل البيت) ج ٢ ص ٢٦٨ والبحار ج ١٦ ص ٣٧٤ وج ٥٠ ص ١٠٧ والوسائل (ط دار الإسلامية) ج ١٢ ص ٢١٧ وعون المعبود ج ٨ ص ٢١٥ وسبل الهدى والرشاد ج ٩ ص ٣١ وجامع الرواة ج ١ ص ٣٠٠ ومعجم رجال الحديث ج ٨ ص ٨٩.

(٢) النصائح الكافية ص ١٥٦ وراجع: من لا يحضره الفقيه ج ٣ ص ٢٩٩ (ط مؤسسة النشر الإسلامي) وكنز العمال ج ٢ ص ١١١ و ٢١١ والجامع لأحكام القرآن ج ١٧ ص ١٠٨ و ٣٠٨ (ط مؤسسة الرسالة)، وأبو طالب مؤمن قريش للخنيزي وتذكرة الموضوعات ص ٦٨ وكشف الخفاء ج ١ ص ٨٩ و ٣٣١ وج ٢ ص ٣٢١ وتفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٣٥٣ والدر المنثور ج ٦ ص ١٨٦ و ١٨٧.

(٣) الروض الأنف ج ٤ ص ١٩٦.

ونقول:

أولاً: إن هذا الكلام غير ظاهر الوجه، فإن المشرك إذا كان محارباً، فهو لا يهدي لرسول الله «صلى الله عليه وآله» شيئاً..
ثانياً: إن الحديث غير مقيد بالمحارب ولا بغيره. فراجع النصوص المنقولة في ذلك، حين الحديث عن إيمان أبي طالب رضوان الله تعالى عليه، فإن مفادها: أن نفس شركهم هو السبب في عدم قبول الهدية منهم.
ثالثاً: قد ادّعى البعض: أنه «صلى الله عليه وآله» قد قبل هدية قيصر؛ لأنها فيء للمسلمين ولذلك قسمها عليهم. ولو أنها كانت هدية خاصة، بحيث تكون لشخصه «صلى الله عليه وآله»، ولا يستفيد منها سواه، أو أهل بيته الذين هم تحت تكفله، فإنها تكون له خالصة، كما كانت هدية المقوقس خالصة له، وقد قبلها منه؛ لأنه لم يكن محارباً للإسلام..

ونقول:

إن هذا الكلام غير دقيق:

أولاً: إن قيصر لا يختلف في موقفه عن المقوقس من حيث إنه يداري رسول الله «صلى الله عليه وآله» دون أن يدخل في دينه.
ثانياً: إن قيصر قد أظهر في رسالته التي بعثها لرسول الله «صلى الله عليه وآله»: أنه قد أسلم، غاية الأمر: أن الرسول «صلى الله عليه وآله» قد أخبر عنه أنه غير صادق فيما يقول، وأنه قد اتبع سبيل النفاق والمكر في هذا الأمر.

وقد كان «صلى الله عليه وآله» يعامل المنافقين كما يعامل المسلمين. وكان عارفاً بهم، وقد أخبر حذيفة بأسمائهم، ولم يؤثر عنه «صلى الله عليه وآله»

وآله»: أنه عاملهم كما يعامل أهل الكفر أو الشرك.

ثالثاً: إنه لا دليل على أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد اعتبر ذلك فيئاً للمسلمين، إذ لماذا لا يكون «صلى الله عليه وآله» قد ترك لأصحابه أمراً هو له، ترفعاً منه «صلى الله عليه وآله»، وتنزهاً، أو إظهاراً للشمم والنبيل، أو إثارةً منه لأصحابه، ليتعلم منه الناس ذلك، ولتصل أخباره إلى من أرسل تلك الهدية، والذي كان يظن أن هديته سوف يكون لها وقعها الخاص لدى المرسل إليه، بسبب ندرتها، وقيمتها، وأهميتها من الناحية المادية..

رابعاً: إن الفيء ملك خالص لرسول الله «صلى الله عليه وآله» وليس لأحد فيه نصيب، فإن هؤلاء لم يأخذوه في ساحة الحرب، ليكون غنيمة لهم.

الفهارس

- ١ - الفهرس الإجمالي
- ٢ - الفهرس التفصيلي

١- الفهرس الإجمالي

١

الباب الثاني: عهد الحديبية.. وقائع.. وآثار

- الفصل الأول: بيعة الرضوان... ٧-٤٦
الفصل الثاني: عهد الحديبية: أحداث وتفاصيل ٤٧-٨٨
الفصل الثالث: إدانة البريء... ٨٩-١٢٤
الفصل الرابع: تبرئة المذنب... ١٢٥-١٥٠
الفصل الخامس: اللمسات الأخيرة... ١٥١-١٦٤
الفصل السادس: عهد الحديبية: نتائج وآثار... ١٦٥-١٩٥

الباب الثالث: حتى خيبر

- الفصل الأول: أشخاص أراد الناس أن يمدحهم... ١٩٥-٢٠٤
الفصل الثاني: سرايا وقضايا بين الحديبية وخيبر... ٢٠٥-٢٣٢
الباب الرابع: دعوة ملوك الأرض..

- الفصل الأول: بيانات تمهيدية... ٢٣٥-٢٦٠
الفصل الثاني: كتاب النبي ' إلى كسرى... ٢٦١-٢٩٢
الفصل الثالث: كتاب النبي ' إلى قيصر... ٢٩٣-٣٣٢
الفهارس: ٣٣٣-٣٤٠

٢ - الفهرس التفصيلي

١

الباب الثاني: عهد الحديبية.. وقائع.. وآثار

الفصل الأول: بيعة الرضوان..

حديث البيعة:	٧
أول من بايع:	١٥
لماذا تعددت بيعة ابن الأكوع؟!	١٧
هل بايعوه على الموت؟!	١٩
بيعة المنافقين في الحديبية:	٢٠
حديث: «لا يدخل النار من شهد الحديبية» لا يصح:	٢٢
بيعة النبي ' عن عثمان:	٢٤
محاولة فاشلة:	٢٥
الرد على الشيعة:	٢٦
الصحيح في القضية:	٣٤
سؤال وجوابه:	٣٥
دليل على موت الخضر:	٣٦
هل أسلم ابن عمر قبل أبيه؟!	٣٨
لا توقدوا ناراً بالليل:	٤٠
عمر يقطع شجرة بيعة الرضوان:	٤١
الفصل الثاني: عهد الحديبية: أحداث وتفصيل	
تقديم:	٤٩

٥٠.....	عهد الحديبية :
٥٩.....	الاصطفاف للقتال، واللواء مع علي × :
٦٠.....	قريش في مأزق:
٦٢.....	رعب قريش وضراعتها في الصلح:
٦٤.....	معرفة النبي ' بعدوّه:
٦٤.....	جلوس النبي ' وجلوس سهيل:
٦٤.....	اختلاف نصوص العهد:
٦٥.....	مصادر العهد:
٦٨.....	كلمات تحتاج إلى توضيح:
٦٩.....	من هو كاتب العهد؟:
٧١.....	محنة أبي جندل، وحوادث أخرى:
٧٦.....	عمر وأبو جندل:
٧٦.....	هل عندكم أمان أو عهد؟!:
٧٨.....	اثنا عشر رجلاً آخر:
٧٨.....	متى قتل ابن زنيم؟!:
٧٩.....	سهيل يضرب ولده:
٨٠.....	الصلف الذي لا يطاق:
٨٠.....	هل في موقف الرسول ' تناقض؟!:
٨١.....	إنّا لا نغدر:
٨١.....	غضب قريش من خزاعة:
٨٣.....	صلح الحديبية لا يشمل النساء:
٨٥.....	١ - سبيعة الأسلمية:
٨٦.....	٢ - أروى بنت ربيعة:

- ٣- أميمة بنت بشر: ٨٦
٤- أم كلثوم بنت عقبة: ٨٧
٥- زينب ربيبة رسول الله ' : ٨٧
نساء لحقن بالمشركين: ٨٨

الفصل الثالث: إدانة البريء..

- هل عصي علي × أمر رسول الله ' ؟! ٩١
ظهور الحق الدفين: ٩٤
الشك فيما ينسب لعللي × : ٩٦
استنطاق النصوص: ١٠٢
الحدث مستعار بكامل تفاصيله: ١٠٥
من أسباب التزوير: ١٠٦
لك مثلها يا علي: ١٠٩
ضع يدي عليها: ١١٠
النبي ' يقرأ ويكتب: ١١٣
الأول: ولا تخطه يمينك: ١١٣
الثاني: النبي الأمي: ١١٤
ما يقوله علماءنا: ١١٥
ألف: النبي ' كان يقرأ: ١١٩
ب: النبي ' كان يكتب: ١٢٠

الفصل الرابع: تبرئة المذنب..

- استدراج مدروس: ١٢٧
لا نعطي الدنيا في ديننا: ١٢٨
شك عمر في النبوة: ١٣٠

- شكوك عمر استمرت إلى الطائف: ١٣٧.....
استمرار شكوك عمر إلى حجة الوداع: ١٣٨.....
المسلمون يرفضون الإحلال: ١٤٠.....
التبرك: ١٤٤.....
ما نحره ' عند المروة: ١٤٤.....
الهدي عن سبعة: ١٤٤.....
حلمهم الكبير الطعن في علي X : ١٤٤.....
الفصل الخامس: اللمسات الأخيرة..

- في طريق العودة: ١٥٣.....
نوم المسلمين عن صلاتهم: ١٥٦.....
صلح الحديبية أعظم الفتح: ١٥٨.....
النبي ' يذكرهم: ١٦٣.....
أبو بكر.. في موازاة رسول الله ' : ١٦٣.....
تبرك سهيل بن عمرو: ١٦٤.....
الفصل السادس: عهد الحديبية: نتائج وآثار..

- آثار ونتائج عهد الحديبية: ١٦٧.....
أبو بصير يقتل أسريه، ويعتصم بالساحل: ١٧٩.....
مصير أبي بصير: ١٨٥.....
أبو بصير يقتل أسره: ١٨٦.....
النبي ' يحير المشرك: ١٨٧.....
النبي ' لا يحيب أبا بصير: ١٨٧.....
ويل أمه مسعر حرب، لو كان معه رجال: ١٨٧.....
النبي ' يقبل خمس السلب: ١٨٨.....

١٨٨	قريش تعيش الإرباك والانقسام:
١٨٩	أسلم وغفار وجهينة مع أبي جندل:
١٩٠	ذل قريش:

الباب الثالث: حتى خيبر

الفصل الأول: أشخاص أراد الناس أن يمدحواهم..

١٩٧	إيضاحات ضرورية:
١٩٨	وفاة أم رومان:
٢٠٣	إسلام أبي هريرة:
٢٠٤	إسلام عمران بن حصين:

الفصل الثاني: سرايا وقضايا بين الحديبية وخيبر..

سرية أبان بن سعيد إلى نجد: خطأ! الإشارة المرجعية غير معروفة.
٢١٠	حكم الظهار:
٢١٧	تحريم الخمر:
٢١٧	أسطورة سحر النبي ':
٢٢٥	تناقض الروايات:
٢٢٦	النبي ' الأسوة، والقُدوة، والمثال:
٢٢٧	إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً:
٢٢٨	حفظ الله تعالى لأنبيائه ^:
٢٢٩	هل كان يهودي يخدم رسول الله '!؟:
٢٣١	الرسول ' بدون شعر!!:
٢٣١	تصنيف الروايات المتقدمة:

الباب الرابع: دعوة ملوك الأرض.

الفصل الأول: بيانات تمهيدية

٢٣٧	كتابة إلى ستة من الملوك:
٢٣٨	الملوك الستة الذين كتب إليهم:
٢٣٩	حاملو الكتب:
٢٣٩	التشاقل عن تنفيذ أمر الرسول :
٢٤١	لماذا باللغة العربية؟!:
٢٤٣	تفاوت مستويات الرسائل العربية:
٢٤٤	الكتابة في عهد رسول الله :
٢٤٥	لم يكن النبي يكتب بيده:
٢٤٧	بداية كتب الرسول :
٢٥٢	البدء باسمه الشريف:
٢٥٣	الحمد والتسليم:
٢٥٤	إتخاذ الخاتم:
٢٥٦	النبي ' يؤرخ رسائله:
٢٥٦	كتب دعوة لا كتب حرب:
٢٥٨	حساسية مخاطبة الملوك:
٢٦٠	رسائل النبي ' للملوك:

الفصل الثاني: كتاب النبي ' إلى كسرى

٢٦٣	رسالته ' إلى كسرى:
٢٦٥	إختلاف الكتب:
٢٦٩	بسم الله الرحمن الرحيم:
٢٧٠	عظيم فارس:

- ٢٧١ سلام على من اتبع الهدى:
- ٢٧٢ وآمن بالله ورسوله:
- ٢٧٣ الشهادة لله بالوحدانية:
- ٢٧٣ وأن محمداً عبده ورسوله:
- ٢٧٤ أدعوك بدعاية الله:
- ٢٧٥ فإني أنا رسول الله:
- ٢٧٥ إلى الناس كافة:
- ٢٧٦ لأنذر من كان حياً:
- ٢٧٦ ويحق القول على الكافرين:
- ٢٧٧ أسلم تسلم:
- ٢٧٧ فإن أبيت فعليكم إثم المجوس:
- ٢٧٨ ولا تزر وازرة وزر أخرى:
- ٢٧٩ إثم المجوس أو إثم الأكارين:
- ٢٨١ من هو حامل الرسالة؟!:
- ٢٨٢ حديث تسليم الكتاب:
- ٢٨٤ عدوانية كسرى تجاه رسول الله ':
- ٢٨٧ قريش في مهب الريح:
- ٢٨٧ باذان ملك اليمن:
- ٢٨٨ باذان وعقله:
- ٢٨٩ كفاية باذان:
- ٢٨٩ باذان لم يسلم طمعاً:
- ٢٩١ تفاؤل رسول الله ':
- ٢٩٢ حلقتا لحاهما:

الفصل الثالث: كتاب النبي ' إلى قيصر..

كتاب النبي ' إلى قيصر:	٢٩٣
مضامين الكتاب:	٢٩٧
يؤتلك الله أجر ك مرتين:	٢٩٨
إثم الأريسيين:	٢٩٩
ما جرى عند ملك الروم:	٣٠١
أبو سفيان عند ملك الروم:	٣٠٢
إكرام الرسول ' :	٣٠٦
تعالوا إلى كلمة سواء:	٣٠٨
الآية تفرض التوحيد:	٣١٠
المجوس أهل كتاب:	٣١٣
جواب قيصر:	٣١٣
حراجة موقف أبي سفيان:	٣١٥
لم أكن أظنه منكم:	٣١٦
ليبلغن ملكه تحت قدمي:	٣١٨
حنكة قيصر في استجواب أبي سفيان:	٣١٨
نظرة في أسئلة قيصر:	٣١٩
هرقل ماكر وكاذب:	٣٢٢
أكثر من كتاب إلى قيصر:	٣٢٤
لا أقبل زبد المشركين:	٣٢٥
الفهارس:	
١- الفهرس الإجمالي	٣٣١
٢- الفهرس التفصيلي	٣٣٣

